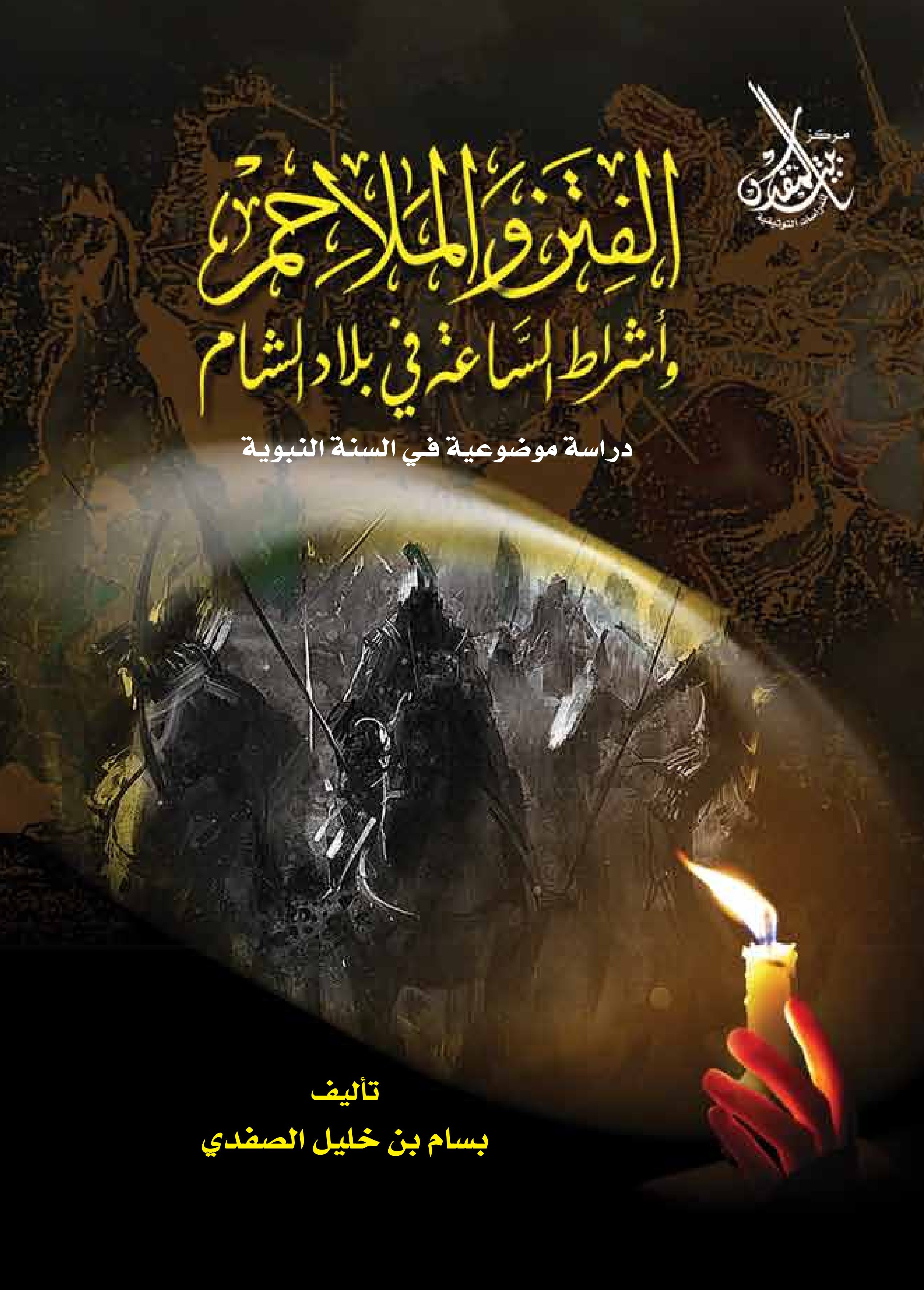

الفتن والملاحم
وأشراط الساعة في بلاد الشام
دراسة موضوعية في السنة النبوية
تأليف
بسام بن خليل الصفدي



تأليف

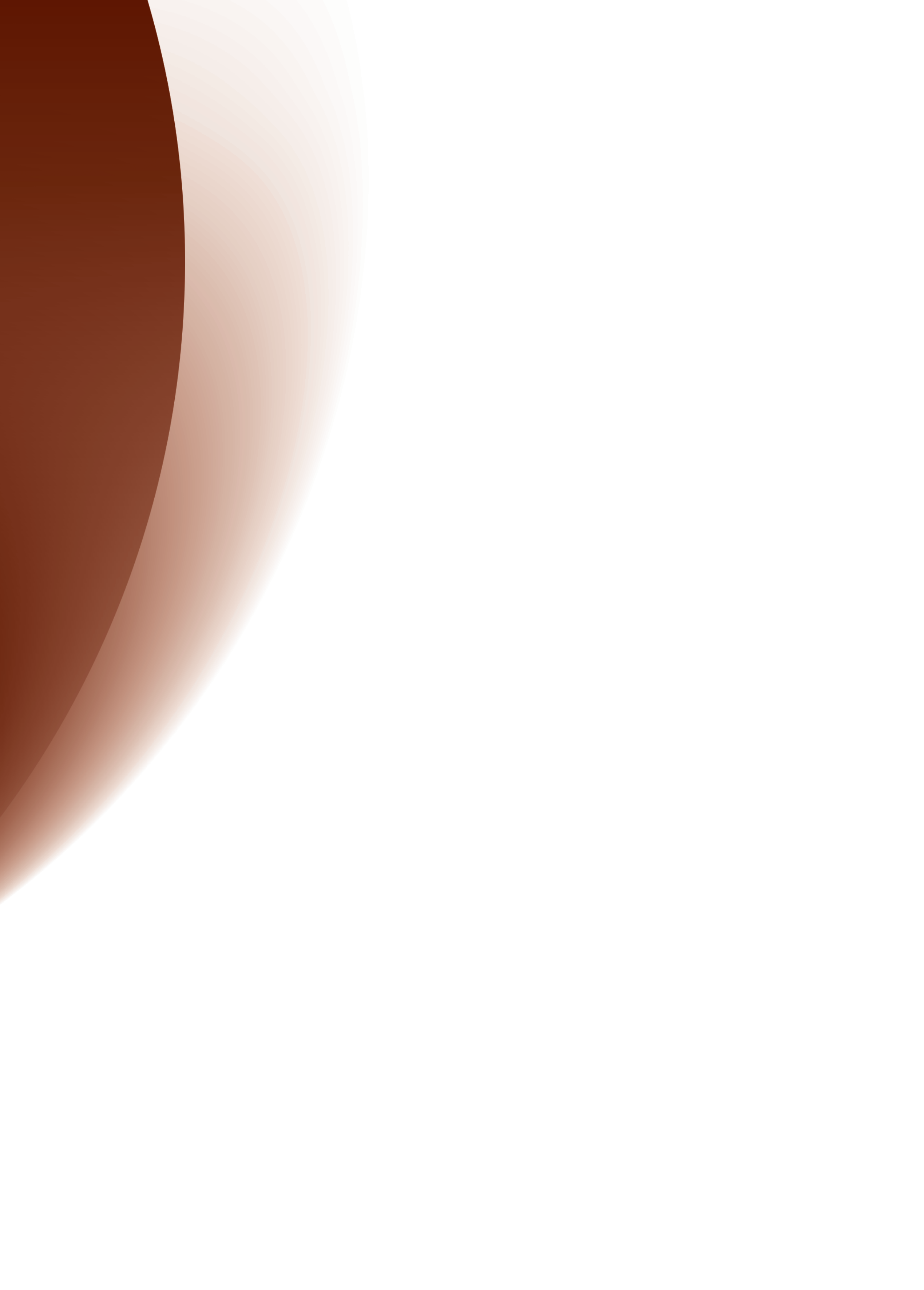
بسام بن خليل الصفدي

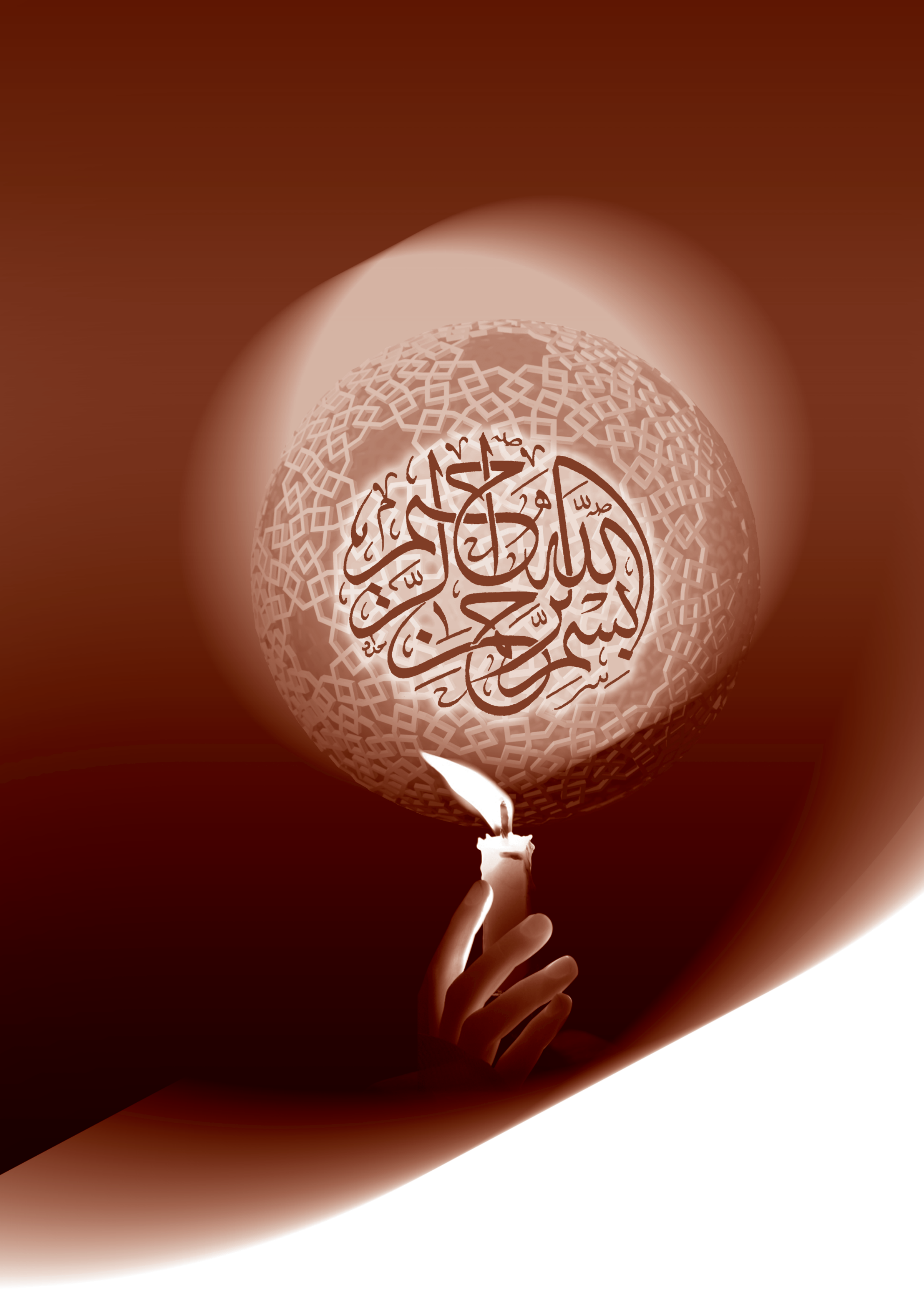
تقديم

فضيلة الشيخ المحدث/ **عبد الله السعد**

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **نافذ حماد**

فضيلة الشيخ الدكتور/ **سلمان الداية**




بسم الله الرحمن الرحیم



مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رؤية شرعية في القضية الفلسطينية

مكاتب مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

فلسطين
غزة - الرمال - برج ذو النورين - طابق ٦ هاتف: ‎+٩٧٠٨٢٨٦١٦٥٤
جوال: ‎+٩٧٠٥٩٧٩٩٤٦٨٨ / ناسوخ: ‎+٩٧٠٨٢٨٦١٦٥٤
maqdes192009@hotmail.com

لبنان
لبنان - صيدا - ساحة القدس - عزّام بلازا - الطابق الأول
محمول: ٩٦١٣٥٦٦٠٧٠ + - هاتف وناسوخ: ٩٦١٧٧٥٤٧٨٩ +
muqdes_saida@hotmail.com

مصر
القاهرة - مدينة نصر - الحي العاشر - هاتف وناسوخ: ‎+٢٠٢٢٤٧٢٤٦٥٦ - محمول: ‎+٢٠١٠٠٩٣٩٦٦٠١
للمراسلة: مكتب بريد الحي العاشر - رقم بريدي: ١١٥٢٨- ص.ب: ٣٩
aqsana.cairo@yahoo.com

اليمن
صنعاء - الأصبحي - شارع الحربي - قرب محطة بترول الأصبحي
هاتف: ‎+٩٦٧٦٧٣٨٤٨ - الجوال: ‎+٩٦٧٧١١١٣٠٨٢٩ / ‎+٩٦٧٧١٣٤٨٩٣١٧
aqsasanaa@yahoo.com

موقع المركز على الإنترنت: www.aqsaonline.org
البريد الإلكتروني: chief_aqsa@hotmail.com

القاهرة: بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة الرئيس - رقم حساب ٢٦١٣٨٢
صنعاء: بنك التضامن الإسلامي الدولي - فرع صنعاء الرئيس - رقم حساب ٤٨٣٥٤١-١٠١-٠٠
لبنان - صيدا - وقف مركز بيت المقدس بنك البركة - رقم الحساب: ٠٠١-٢٠١٠١٧-٠١٠٣



دار الرسالة للنشر والتوزيع
القاهرة - مدينة نصر - ٢ شارع الصناعة متفرع من عباس العقاد
محمول: ٠٠٢٠١٢٢٣١٢٠٦٤٣ - تلفون: ٠٠٢٠٢٢٢٦٠٥٦٢٥
الاميل: daralresala@yahoo.com

رقم الإصدار: ٤٠

الإهـــداء

إلى أمتي الغالية...

التي ينبض قلبي بحبها، ويحترق شوقاً إلى عزها ومجدها.

إلى طلبة العلم، وحماة الملَّة...

الذين ينفون عن دين الله تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين.

إلى الأسود الأبطال...

النافرين في سبيل الله، المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، الذابِّين عن حياض دينهم، وعِرض أُمَّتهم.

إلى أسرى المسلمين...

المستضعفين في سجون الظالمين، الذين ما حَنَوا هاماتهم إلا لرب العالمين.

إلى الغرباء...

القابضين على الجمر في زمن الغربة.

إلى أخي الحبيب أبي أنس مصباح عودة...

صاحب الأيادي البيضاء، الذي فجعت بموته وأنا أكتب هذا الكتاب، أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يرفع درجته في المهديين، ويخلفه في عقبه في الغابرين، وأن يفسح له في قبره، وينور له فيه.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الكتاب.





شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، أحمده تبارك وتعالى على عظيم فضله وإحسانه، وجليل منته وإنعامه، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فلولا توفيقه وامتنانه ما رحت ولا جئت، ولا كتبت سواداً في بياض.

فله المحامد والمدائح كلها   بخواطري وجوارحي ولساني

ثم إنني أتوجه بالشكر إلى الجامعة الإسلامية، التي أسأل الله تبارك وتعالى أن يقيمها صرح علمٍ وهداية، وتوجيهٍ وبناء.

كما وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور: إسماعيل بن سعيد رضوان، الذي حباني بكرمه، وأفادني بعلمه، وسدَّدني بتوجيهه، ولم يبخل عليَّ بوقته ونصحه، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظه بحفظه، ويبارك له في علمه، ويجزيه عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى أستاذيَّ الكريمين الفاضلين، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتسديدها، وتقويمها، وإثرائها بالملاحظات والتوجيهات.

فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد بن يوسف أبو حلبية.

فضيلة الأستاذ الدكتور: نافذ بن حسين حماد.

وشكر الله لوالديَّ الكريمين العزيزين الغاليين، اللذين ذلَّلا لي الصعاب، وهيَّئا لي الأسباب، واكتنفاني بعطفهما، وغمراني بحبهما، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظهما، ويبارك فيهما، ويجزيهما عني خير ما جزى والدين عن ولدهما.

كما وأشكر زوجتي الفاضلة، التي تجشمت معي الصعاب، وتحمَّلت المشاق، وواصلت الليل بالنهار، حتى يسَّر الله إتمام هذه الرسالة، فأسأل الله تبارك وتعالى

أن يبارك فيها، ويجزيها خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر إلى مشايخي وأساتذتي الكرام، الذين غرسوا في قلبي حب العلم، وبذل الغالي والنفيس في طلبه وتحصيله، وأخص منهم بالذكر: صاحب الفضيلة الشيخ الوالد الدكتور: **أبا عبد الرحمن سلمان بن نصر الداية**، فله مني جزيل الشكر، ومن الله عظيم الثواب والأجر، أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بعلمه، ويسدد على الحق خطانا وخطاه.

كما وأشكر كل أخٍ أسداني نصحاً، أو منحني علماً، أو قدَّم لي عوناً، وأخص منهم بالذكر:

الأخ: أحمد بن خليل الصفدي.

والأخ: عماد بن مصباح الداية.

والأخ: حسن بن سليمان حلس.

والأخ: محمد بن خالد كلاب.

وختاماً: أسأل ربي العظيم أن يتسلم هذا العمل مني متقبلاً، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وموجباً للفوز بغفرانه وعفوه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



تقديم فضيلة الشيخ المحدِّث عبد الله السعد

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوْلَه، وامتنَّ على رسوله بالآيات الباهرات تصدّق قولَه، وأرضاه في أمته وآتاه سؤْلَه، فهم أكثر أتباع الأنبياء عددًا، وأكرمهم نجدةً ومددًا، وصلى الله وسلم على النَّبيِّ الأمِّي المختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، وعلى آله وصحبه النُّجُب الأخيار، وعلى تابعيهم حتى دار القرار، أما بعد..

فإنَّ من تمام منّة الله على عباده، وإعذاره لهم، «ولا أحد أحبّ إليه العذر من الله»؛ أن جعل بين يدي يوم الدين والحساب، اليوم الذي يؤمن به المؤمنون من عباده، ويَجمَعون في قلوبهم خوفَه ورجاءَه، لما يكون فيه وممّا وراءه، يوم تشيب الولدان، ويتناسى الخلّان، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها، جعل سبحانه بين يديه علامات وأمارات تبيّن قربه، وتؤذِن بدنوّه، -وكلّ ما هو آتٍ قريب-، ثم هو سبحانه وتعالى أخبر عن ذلك القُرْبِ في كتابه، وأخبر عنه رسوله ﷺ، وكلّما ازداد القرب كانت الأمارات أكثر وأظهر.

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء)، وقال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ (القمر)، وقال عز وجلّ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾ (محمد).

وأخبر سبحانه وتعالى عن بعض أمارتها على سبيل الإيماء والإشارة، فقال سبحانه عن سدّ يأجوج ومأجوج: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ

وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ هَٰذِهِۦ... ﴾، وأخبر سبحانه عن الدابّة التي تكلم الناس فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

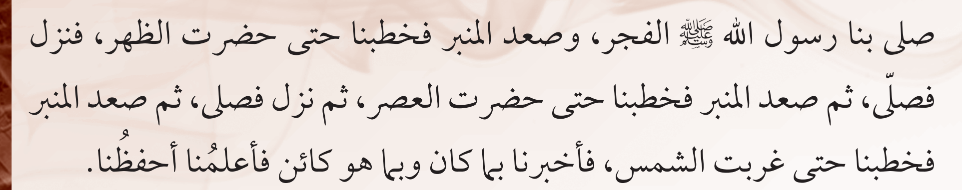
بل جاء في القرآن الإشارة إلى نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه من أماراتها، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ وهذا ظاهرٌ على القول بأن المقصود بقوله: (قَبْلَ مَوْتِهِ) أي موت عيسى، وقد صحّ هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وهو اختيار ابن جرير وابن كثير رحمهما الله.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[الزخرف] على القول بأن الضمير عائد على عيسى عليه السلام، وهو ظاهر على قراءة من قرأ: (لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ)، بفتح العين واللام، وهو اختيار ابن كثير رحمه الله.

وأما السُّنَّة الشَّريفة؛ فقد جاء فيها من البيان والتفصيل لهذه العلامات، ما يُهدى به المؤمنون، وتقام الحجة به على كل مفتون، بل وصف النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه دقيق الحوادث الكائنات، كما وصف عظيم الفتن المدلهّمات.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال:



صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمُنا أحفظُنا.

ومن أبرز تلك الأمارات وأظهرها في النصوص، وقوع الفتن، وتكاثرها، وتتابعها، حتى يرقق بعضها بعضًا، وينسي بعضها بعضًا، وأعظم الفتنة -ولا ريب- الفتنةُ في الدين؛ إذ لا نجاة لمن سلب دينه في تلك الفتن -عياذًا بالله-.

وقد بيّن ﷺ كيف العمل حينها، وما أسباب اتقاء فتن ذلك الزمان، وكيف المخرج، في أحاديث كثيرة، منها:

ما روى مسلم في صحيحه عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جَشَره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقّق بعضها بعضًا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول: المؤمن هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذى يحبّ أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر".

وعند مسلم أيضًا من حديث العلاء عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا".

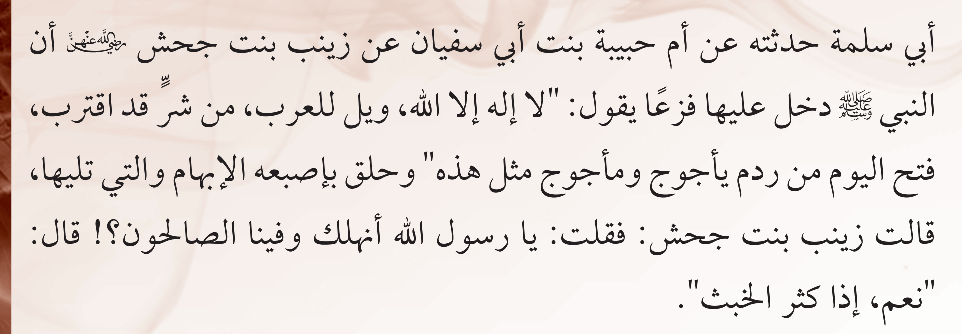
وروى الإمام مسلم رحمه الله أيضًا من حديث عثمان الشحام قال: انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبى بكرة وهو في أرضه، فدخلنا عليه فقلنا: هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم، سمعت أبا بكرة يحدث قال: قال رسول الله ﷺ: "إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت -أو وقعت- فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه" قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: "يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحجر ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت". قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أُكرهتُ حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: "يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار".

وهذا البيان والتأكيد منه ﷺ، من كمال نصحه لأمته وشفقته عليهم، ولا غروَ فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

بل خاف النبي عليه الصلاة والسلام هو نفسه من الساعة وأماراتها، مع علمه بإنجاء الله له، وصرفِ فِتَنها عنه، وما ذاك إلا لحياة قلبه، ونور بصيرته، وقدْره ربّه تعالى حقَّ قدره، وهكذا المؤمنون، حالهم كما قال الله: ﴿ ..... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ ٱلْحَدِيدَ .... ﴾.

فقد روى الشيخان من حديث بريد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله..

وفي الصحيحين أيضًا من حديث الزهري عن عروة بن الزبير أن زينب بنت



أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب، من شرٍّ قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: "نعم، إذا كثر الخبث".

وفي البخاري من حديث الزهري عن عروة عن هند بنت الحارث الفراسية عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة -وفي رواية محمد بن أبي عتيق عن الزهري: "فزعًا"- فقال: "سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن! وماذا فتح من الخزائن! أيقظوا صواحبات الحجر؛ فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة".

ثمّ لم يزل الصحابة رضي الله عنهم على هذا الهدي سائرين، يحفظون هذه الفتن ويتعلّمونها ويعلّمونها؛ ليتقوها، ويحذّروا الناس منها.

ففي الصحيحين من حديث الأعمش عن شقيق عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله. قال: إنك عليه - أو عليها - لجريء. قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد؛ ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقا. قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذًا لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أنّ دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط.

وحذيفة رضي الله عنه هو القائل -كما في الصحيحين أيضًا-: "كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله، عن الشر مخافة أن يدركني..".

وتقدّم في حديث عمرو بن أخطب رضي الله عنه عند مسلم قوله: "فأعلمُنا أحفظُنا".

وهذه الأخبار ليست أخبارًا محضةً، لا تعلّقَ لها بالعمل، بل هي أخبار متضمنةٌ معنى الإنشاء والطلب، والأمر والنهي، فأسعدُ الناس بها هم من استمسك بالسنة والهدى؛ إذا رأى العلامات المذكورة فيها، فذاكم الموفق السعيد، أما من ازداد علمُه بهذه الأخبار وقلّ عملُه، ودرى خبرَها ولم يمتثل أمرَها؛ فقد استكثر على نفسه الحجج، ولم يجنِ سوى الخيبة، فهو المخذول الشقيّ -أعاذنا الله-.

روى الشيخان في صحيحهما عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: "وماذا أعددت لها؟" قال: لا شيء؛ إلا أني أحب الله ورسوله. فقال ﷺ: "أنت مع من أحببت".

وهذا الحبّ -ولا شكّ- مستلزم للعمل الصالح، الذي لا يدخل أحدٌ الجنة بدونه.

ومن هذه العلامات والأمارات التي تكون بين يدي الساعة؛ ما جاء في الأحاديث الصحاح والحسان، من ملاحم آخر الزمان، التي تكون بين أهل الكفر وأهل الإيمان، وإن كانت حربهم مستمرة مدى الأزمان، لم تكِلَّ سيوف الحق من قراعهم ولا يزالون، ولم يفتأ أعداء الدين يكيدون ويمكرون، ويمكر الله وهو خير الماكرين، إلا أن صراع تلك الحقبة أعظم احتدامًا، وجيوش الفريقين أشدّ التحامًا، ويمتاز أهل الإيمان بعسكرهم، وأهل الباطل بعساكرهم، والعاقبة للمتقين.

ومما وقع في عصرنا هذا، وقد أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام كثرة القتل، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض".

وهذا الأمر قد لمسناه في السنوات الأخيرة، بل كلّما مرّت الأيام هو في ازدياد، تصديقًا لما أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

ومن العلامات أيضًا التي وقعت مقدماتها في وقتنا قتال المسلمين لليهود.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله".

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله".

وفي هذين الحديثين عدّة علامات ودلائل على نبوّته ﷺ، فمنها:

١ - ما أشار به إلى أن اليهود سيوف يكون لهم كيان وسلطان وقوة، ودليل ذلك قوله: "لتقاتلنّ"، ولم يقل: تقتلون. فالمقاتلة لا تكون إلا لمن كان له كيان وسلطان، بخلاف القتل فإنه يكون للمقدور عليه، فلا يكون له قوة يقاتل بها ويدافع، ويؤيد ذلك الرواية الأخرى -وهي في الصحيحين- "تقاتلكم اليهود"، وهذه الرواية أصرح في الدلالة على ما تقدم، وهذا ما حصل في هذا العصر لليهود، بعد قيام دولتهم، وقد مرّ عليهم مئات من السنين كانوا ضعفاء فلم تكن دولة لهم ولا سلطان [(١)].

١- ويؤيد ذلك ما أخرج الطبراني وابن منده وابن قانع من طريق محمد بن أبان عن يزيد بن يزيد بن جابر عن بسر بن سعيد عن أبي إدريس الخولاني عن نهيك بن صريم قال: قال رسول الله ﷺ: "لتقاتلن المشركين حتى تقاتل بقيتكم على نهر الأردن الدجال أنتم شرقيه وهم غربيّه". ومحمد بن أبان: الأكثر على تضعيفه.

وجاء عند أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه على شرطها والبيهقي في الكبرى من طريقه من حديث ثعلبة بن عباد العبدي سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في ذكر الدجال وفيه أنه: ".. وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا، آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى كأنها عين أبي تحيى -لشيخ حينئذ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة رضي الله عنها وإنها متى يخرج -أو قال متى ما يخرج فإنه سوف يزعم انه الله فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله

٢- أن هذا القتال لن ينتهي بصلح أو اتفاق، وإنما تكون نهايته بقتل ذريع لليهود، والواقع الآن يشهد بذلك، فالمفاوضات بين العرب واليهود مرّ عليها عقود ولم تنتهِ باتفاق، حتى إن بعض قادة العرب تنازلوا عن أشياء كثيرة، حتى قيل: ليس هناك شيء آخر بعد ذلك يتنازلون عنه.

٣- أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن الحجر والشجر سوف يتكلم، ما عدا شجرة الغرقد، والآن اليهود يكثرون من زراعة هذه الشجرة حول قراهم وأماكن تجمّعاتهم، وهذا مصداق لما أخبر عنه ﷺ.

سلف، ومن كفر به وكذبه لم يعاقب بشيء من عمله، -وقال حسن الأشيب: بسيئ من عمله سلف- وإنه سيظهر -أو قال سوف يظهر- على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس يحصر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالًا شديدًا، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى وجنوده، حتى إن جذم الحائط -أو قال أصل الحائط وقال حسن الأشيب وأصل الشجرة- لينادي: -أو قال: يقول- يا مؤمن -أو قال يا مسلم- هذا يهودي- أو قال هذا كافر- تعال فاقتله، قال: ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في أنفسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا وحتى تزول جبال على مراتبها ثم على أثر ذلك القبض قال ثم شهدت= خطبة لسمرة ذكر فيها هذا الحديث فما قدم كلمة ولا أخرها عن موضعها ". وهذا لفظ أحمد، ولم يذكر ابن خزيمة والحاكم والبيهقي قوله: "يا يهودي".

وثعلبة ليس بالمشهور، وإنما اشتهر بهذا الحديث، فهو مقلّ جدًا؛ ولذا حكم علي بن المديني بجهالته، وأما الترمذي فقد صححّ له هذا الحديث، ولكنه لم يسق الخطبة، ويظهر أنه تعمّد ذلك كما هي طريقته، وأما أبوداود والنسائي فقد صرّحا بأنهما لم يذكرا الخطبة، والسياق الذي معنا إنما وقع في بعض رواياته.

ويؤيده في الجملة ما جاء عند مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن الدجال يقتل بباب لدّ.

والشاهد من هذه الأحاديث أن قتل اليهود سوف يكون في فلسطين، والواقع الآن يشهد بذلك فهم قد اجتمعوا فيها من مختلف أقطار العالم، ومن المعلوم أن من أكثر أتباع الدجال هم اليهود، كما ثبت عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أنه يتبع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصبهان.

٤- قد يستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام: "حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله"، شدّة العداوة بينهما، وأن اليهود قد بالغوا في قتل المسلمين والاعتداء عليهم وأذيتهم -وهذا هو الواقع الآن بل هو في ازدياد- حتى إن الله عز وجل ينطق الشجر والحجر، ويكونان مع المسلمين في قتل اليهود، كي تشفى صدور المؤمنين منهم، ويذهب الغيظ الذي في قلوبهم، فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الكريم، الذي لم تزل دلائل نبوته تظهر وتتجدد منذ أن بعث وإلى قيام الساعة.

ووجه ذلك أن النبي ﷺ لم يخبر عن انتصار على اليهود فقط، بل عن شدة قتلٍ لهم، وهذا بسبب طغيان وظلم شديد منهم، والله سبحانه لا يظلم أحدًا، بل هو الحكم العدل.

ومن المعلوم أنه قد جاءت النصوص الصحيحة الصريحة في فضل الشام وبركتها، وما امتنّ الله به عليها وعلى أهلها وأنعم، فمن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء]، وقوله سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء]، وعامة المفسرين أنها الشام، وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء]، وروى البخاري في صحيحه من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" قال: قالوا: وفي نجدنا. قال: قال "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" قال: قالوا: وفي نجدنا. قال: قال: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان".

ومن ذلك التفضيل الرباني؛ ما يكون آخر الزمان في حين الفتن والملاحم، حيث تكون الشام مأرز الإيمان، كما كانت في أول الإسلام من أعظم معاقله، فتتجلّى

بركتها، ويسطع نور فضلها، فيصير بها عسكر أهل الإيمان، ثم ينحاز إليها جند الرحمن، فينزل نبي الله وروحه وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام بها، ويكون على يده نهاية صراع أهل الكفر والإيمان، فيقذف الله بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

وقد اطّلعت على رسالة الأستاذ/ بسّام بن خليل الصفدي -وفقه الله- في هذا الموضوع، بعنوان: (الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام) فألفيتها رسالةً علمية مفيدة، حسنة النظْم، سهلة الأسلوب والفهم، مرتَّبة الفصول والأبواب، تكلَّم فيها عن فضل الشام وبركتها، والفتن والملاحم الكائنة بها، وما يكون من أشراط الساعة المتعلقة بها، وجمع الأخبار في ذلك، ودرس أسانيدها ومتونها، ثم حكم بما ترجّح عنده عليها، وأفاض في النُّقول عن أهل العلم، من شُرَّاح الحديث، والمدوّنين في الفتن وأشراط الساعة، ولم يُخلِ رسالته من التذكير والنَّصيحة، وتبيين الواجب الشرعي عند حلول تلك الخطوب، فأجزل الله له المثوبة، ونفع بها كتب، إنه سميع مجيب.

كتب

عبد الله بن عبدالرحمن السعد

الرياض ٩/ ٢/ ١٤٣٦ هـ



تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور / نافذ حماد
أستاذ الحديث الشريف وعلومه بالجامعة الإسلامية بغزة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد عرفت الشيخَ "بسام" منذ زمن في دراسته في الكلية ومرحلتي الماجستير والدكتوراه، تدريسًا ومناقشة وإشرافًا، عرفته طالبًا مجدًّا، وباحثًا محققًا، وداعيةً موفقًا، يتميز بهمّة عالية، وحرص على التدقيق العلمي، ومجالسة الشيوخ، وحسن التعلم، وطيب المعشر.

أمّا كتابه في الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام، فهو في الأصل أطروحته للماجستير، شرفت بالمشاركة في مناقشتها، وسعدت يومها بالاطلاع عليها، واستمتعت بقراءتها، وقد وجدتها تمتاز بما نفتقده عند كثير المعاصرين الذين تعرضوا لهذا الموضوع أو جانب منه في دراساتهم، من حيث:

المنهج العلمي الصحيح الذي يتسم بالعمق، والغوص في أعماق النصوص، وعرض الأدلة، ومعالجتها، ودراسة الآراء، ومناقشتها، والترجيح بينها، مع التحري والموضوعية، بأسلوب متين، يدل على علم وفهم دقيق، وجهد شخصي كبير، لا تخطؤه عين الناظر البصير.

صحة اللغة، وسلامة التراكيب، ووضوحها، ودقة التعبير، وفصاحة الأسلوب.

جودة التنسيق والتبويب، والتنظيم والترتيب، مع دقة البيانات، وربط النتائج بالمقدمات.

الاعتناء بالعزو والتوثيق، وتخريج الأحاديث، والاهتمام بالإحالات إلى المراجع الأصيلة، وحسن استخدام الهوامش.

لذا فالكتاب الذي بين أيدينا، المهم في موضوعه، يسد ثغرة في المكتبة الحديثية والعقدية، ويضيف جديدًا في هذا المجال.

فجزى الله تعالى الشيخَ "بسام" خير الجزاء، وأدعوه سبحانه أن يبارك في علمه، ويوفقه إلى مزيد من العطاء.

كتب

الأستاذ الدكتور/ نافذ بن حسين حمّاد

غزة - فلسطين



تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور / سلمان الداية
أستاذ الفقه وأصوله بالجامعة الإسلاميَّة بغزة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، وبعد:

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٦]، من فوائد الآية: أن الله سبحانه أقام العلماء أصحاب الإيمان شاهدين بما أوتوا من العلم على أن يوم القيامة حق لا ريب فيه، وأن الدنيا ما هي إلا محض قدر سابق متبوع

باليـوم الآخـر الذي يفصل الله فيه بين العباد، مؤمنهـم وكافرهم، فاقتضى هذا أن يكون الراسـخون هم أعلم الناس بحقيقة اليـوم الآخر، وما يتعلق به من أشراط وأمارات وفتن وبشارات تسبقه.

وإن الإيمان باليوم الآخر يدفع كل مبتغ للسلامة من هول يوم القيامة أن يحيط بـه -وبـما يتعلق به مـن أشراط وفتن وملاحم- علماً؛ ليكون على حذرٍ شـديد من الْهُويِّ في مسـتنقع الفتن والشـبهات التي تعصف بالناس آخر الزمان، فعن عُثْمَانَ الشَّـحام، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدٌ السَّـبَخِيُّ، إِلَى مُسْلِم بْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَهُوَ فِي أَرْضِه، فَدَخلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَـا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّـاعِي إِلَيْهَـا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَـتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِـلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِه، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَـمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِه، وَمَنْ كَانَـتْ لَـهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِه» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَـيْفِه فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّه بِحَجَر، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْـتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالَ: فَقَـالَ رَجُلٌ: يَا رَسُـولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَـقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَـيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَـهْمٌ فَيَقْتُلُنِـي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم.

وإني لأحمـد الله تعـالى أن اصطفانا لنكون أهل الشـام أصحـاب القدر الميمون في أول الزمـان وآخـره، حيث فيها منتهى الإيمان والخلافـة إذا ظهرت الفتن، عَنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عَمْرِو بْنِ الْعَـاصِ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْـتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَـابِ انْتُـزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَـادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَـصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَـاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ». رواه الحاكم في مستدركه، وقال:


هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

هـذا وقد دفع إليَّ ابني وختني البار: بسـام بن خليل الصفدي رسـالته العلمية الموسومة بـ (الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام- دراسة موضوعية في السنة النبوية) لأنظر فيها؛ فوجدتها قيمة، عظيمـة النفع، ثرية بدليل الوحي كتاباً وسـنةً، رصينـةً في مادتهـا، بليغةً في أسـلوبها، مرتبة في أفكارها، سـهلة في تناولها، واعظةً لمن تأملها، ومبشرةً لأهل الإيمان في الشام وغيرها.

فأشـكر لابني الْهُمَام هذا الجهد المبارك، سائلاً الله تعالى أن يجعله من الراسخين الموقعين عن رب العالمين، وأن يكتب لرسالته القبول عند ذوي الحجى من العلماء، وأن ينفع بها طلبة العلم؛ رجاء أن تكون عاجل بشراه.

والحمـد لله رب العالمين، وصـلى الله وسـلم وبارك عـلى نبينا محمـد، وعلى آله وصحبه.

كتبه

أبـو عبـد الرحمـن

د. سلمـان بـن نصـر الدايـة

غزة- فلسطين





المقدمة

إنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾. (آل عمران:١٠٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾. (النساء:١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾.(الأحزاب)

أما بعد:

فإن الناظر في حال أمتنا اليوم، يجد أنها تمر بأصعب مراحلها أيامها، ولقد تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، وأصابها من الذل والهوان ما تنفطر له الأكباد، وتتقطع له القلوب.

وما كان ذلك إلا لبعد الأمة عن كتاب ربها -جل وعلا-، وسنة نبيها ﷺ، وهَجْرِهَا أحكامَ دينها وشريعتها، فكان لا بد والحالة هذه من الرجوع بصدق وحزم إلى المعين الصافي، والسلسبيل الشافي؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإن الذي يتأمل بقلب واعٍ، وعينٍ فاحصةٍ في هذا الصراع الذي تدور اليوم رَحَاهُ بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، ومعسكر التوحيد ومعسكر الشرك؛

يجد أن بؤرته ومركزه في بلاد الشام؛ مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان في الصحيحين من حديث عمير بن هانئ أنه سمع معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». قَالَ عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ، قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ[1].

كما دلت النصوص على أن مستقبلَ الإسلام، وبزوغَ فجره، وتشييدَ صرحه، وإعادةَ مجده، والانطلاقةَ الكبرى لأهل السنة والجماعة، والقضاءَ على قوى الكفر والإلحاد، والنفاقِ والإفسادِ، كل ذلك إنما يكون في بلاد الشام.

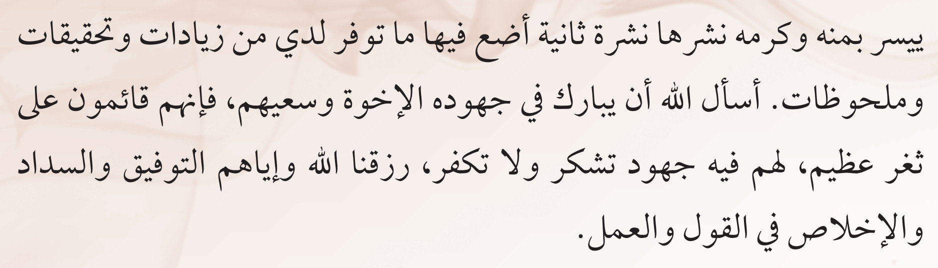
ولقد حبا الله بلاد الشام بنعم جليلة، وفضائل غزيرة، فهي الأرض المباركة الطيبة، المقدسة الطاهرة، أرض الصدق والإيمان، والمحشر والمنشر، ديارُ النبيين، ومُهَاجَرُ المؤمنين، ومقر دار الإسلام والمسلمين، بها عمود الإسلام ومستقر الإيمان، تكفل الله بها، فاصطفاها من أرضه، واصطفى لها خيرته من عباده.

فأنعِم بها من بلاد طيبة مباركة، على ثراها ينزل المسيح عليه السلام، ويستقر المهدي رضي الله عنه، ويُقتل الدجال، ويُقضى على يأجوج ومأجوج، ويُباد اليهود والروم، وتقوم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.

من أجل ذلك كله توجهت همتي إلى دراسة ما يتعلق بهذه البلاد المباركة، وما يقع على ثراها من الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وإبرازِ مستقبل الإسلام فيها، وبيانِ واجب المسلمين تُجَاهَهَا، فكانت هذه الرسالة بعنوان: "الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام دراسة موضوعية في السنة النبوية".

وقد طلب الإخوة في "مركز بيت المقدس" نشرها وطباعتها، فنظرت فيها نظرة عَجلى لانشغالي وعدم تفرغي، وصححت ما ند عن البصر، وعسى الله أن

١- سيأتي تخريجه (ص١١٤).



ييسر بمنه وكرمه نشرها نشرة ثانية أضع فيها ما توفر لدي من زيادات وتحقيقات وملحوظات. أسأل الله أن يبارك في جهوده الإخوة وسعيهم، فإنهم قائمون على ثغر عظيم، لهم فيه جهود تشكر ولا تكفر، رزقنا الله وإياهم التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل.

ورغبت إلى مشايخي الكرام: فضيلة الشيخ المحدث عبد الله السعد، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور نافذ حماد، وفضيلة الشيخ الدكتور سلمان الداية = في قراءة الرسالة، والنظر فيها، ففعلوا مأجورين مشكورين، وتفضَّلوا عليَّ بكتابة هذه المقدمات التي ازدانت بها، وزادت نُضرة وبهاء، فجزاهم الله عني خيراً، وبارك فيهم، ونفع بعلمهم، ورزقنا الله وإياهم التوفيق والثبات والإخلاص.

وكتب إليَّ الشيخ عبد الله السعد مشكوراً بعض الملحوظات فأفدت منها، وجزء منها متعلق بالنظر في بعض الأسانيد والرواة لم يتيسر لي إعادة النظر فيها لأن الملحوظات وصلتني متأخرة، وسأفعل بمشيئة الله في نشرة ثانية.

وهذا أوان ذكر الخطة والمنهج الذي سلكته في هذه الرسالة.

أولاً: أهمية الموضوع وبواعث اختياره:

١- تعلق الموضوع ببلاد الشام، ولا يخفى ما لبلاد الشام من أهمية ومكانة.

٢- تعلقه بمستقبل الإسلام العظيم الذي يهم كل مسلم ومسلمة.

٣- بيان اهتمام السلف بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وحرصهم على نشرها وبيانها وتوضيحها.

ثانياً: أهداف البحث:

١- جمع وبيان الأحاديث المقبولة المتعلقة بالفتن والملاحم وأشراط الساعة الواقعة في بلاد الشام.

٢- تنبيه الأمة إلى الأحداث الجسام التي ستشهدها أرض الشام؛ فتُعِدُّ العُدَّة

لذلك وتستعد.

٣- زرع الثقة في قلوب أبناء الأمة، وبيانُ أن المستقبل لهذا الدين ولهذه الأمة.

٤- بيان منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

ثالثاً: منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي في جمع واستقراء نصوص السنة، ويستعين بالمنهج الاستنباطي، ويتمثل عمل الباحث في النقاط التالية:

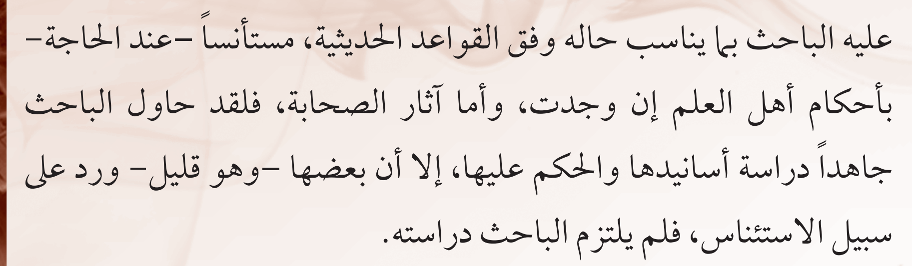
١- الاقتصار على الأحاديث المقبولة، التي تدور بين الصحة والحسن، واستبعادُ ما لم يصح وما لم يثبت.

٢- الاكتفاء بإيراد الأحاديث المتعلقة ببلاد الشام دون غيرها، إلا ما كان له وجه ارتباط بالشام؛ فيُورَدُ للحاجة إليه.

٣- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، يكتفي الباحث بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، سوى ما كان فيه علة من تدليس، أو اختلاط، أو نحو ذلك، فإن الباحث يبينها، ويزيل الإشكال الحاصل بسببها، وإن كان في غير الصحيحين من كتب السنة، يتوسع الباحث في تخريجه بما يفي بالمقصود.

٤- إذا كان الحديث في الصحيحين، فإن الباحث يذكر سند الحديث في سياق التخريج من أول موضع الاتفاق في السند، وإذا خَرَّجَ الباحث الحديث من كتاب واحد من كتب السنة، فإنه يذكر إسناده كاملاً في سياق تخريجه، وإذا روى الحديثَ غيرُ واحدٍ من الأئمة، فإن الباحث يذكر السند من موضع اتفاقهم في سياق التخريج، ويُصدِّر تخريج الحديث بذكر الإسناد الذي يقوم بدراسته، ويسوقه إلى أول موضع الاتفاق.

٥- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فالعزو إليهما أو إلى أحدهما كفيل بصحة الحديث، وإن كان الحديث في غير الصحيحين من كتب السنة، حكم



عليه الباحث بما يناسب حاله وفق القواعد الحديثية، مستأنساً -عند الحاجة- بأحكام أهل العلم إن وجدت، وأما آثار الصحابة، فلقد حاول الباحث جاهداً دراسة أسانيدها والحكم عليها، إلا أن بعضها -وهو قليل- ورد على سبيل الاستئناس، فلم يلتزم الباحث دراسته.

٦- إذا كان الراوي ثقة، أو متفقاً على توثيقه، فإن الباحث يشير إلى ذلك، ولا يترجم له إلا إذا دعت الحاجة إليه، وكذلك إذا كان الراوي ضعيفاً، أما إذا كان الراوي مختلفاً فيه، فإن الباحث يذكر أقوال المُعدِّلين والمجرِّحين، ويتوسع في ذلك حسب حال الراوي، ثم ينتهي إلى الترجيح وفق القواعد المقررة عند أهل العلم.

٧- بيان غريب الحديث، والبلدان، والرجوع في ذلك إلى المصادر الأصيلة ما أمكن.

٨- يحرص الباحث على الرجوع إلى كتب شروح الحديث، وبيان معانيها، ويستعين في ذلك بالدراسات المعاصرة.

٩- الترجمة للأعلام غير المشهورين، واستبعاد من اشتهر منهم.

١٠- عمل فهارس تخدم الدراسة، وتسهل الاستفادة منها.

رابعاً: الدراسات السابقة:

١- وقف الباحث على كثيرٍ من الكتب التي تحدثت عن بلاد الشام، وفضائلها، والفتن التي تقع فيها. ومن أهم هذه الكتب: فضائل الشام ودمشق للرَّبْعِي، وفضائل الشام للسمعاني، ولابن عبد الهادي، ولابن رجب الحنبلي، ولشمس الدين الأسيوطي، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام للعز بن عبد السلام، وغيرها مما هو مذكور في ثنايا هذه الرسالة.

٢- أما بالنسبة لكتب الفتن والملاحم وأشراط الساعة؛ فإن عشرات الكتب أُلِّفت في هذا الباب، ومن أهم ما وقف عليه الباحث من تلك الكتب: السنن الواردة في

الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمرو الداني، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة لأبي عبد الله القرطبي، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، والإشاعة لأشراط الساعة للبَرْزَنجِي، وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود التويجري، وغيرها مما هو مذكور في ثنايا هذه الرسالة.

٣- وقف الباحث على رسالة علمية للأخ: عماد الدين البراوي في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، وعنوان رسالته: "الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام".

- ولقد قام الباحث فيها بجهد مشكور، والرسالة كما هو واضح من عنوانها تناولها الباحث من ناحية عقدية، وتعرض فيها للفرق بين اليهودية والإسلام في النظر إلى الفتن، والملاحم، وأشراط الساعة المتعلقة بالشام.

- أما رسالتنا هذه فهي تتناول الموضوع من جانب حديثي، يتم فيه جمع النصوص واستقراءُها، والنظر في أسانيدها، ولا نتعرض فيها لما يتعلق باليهود ومعتقداتهم في ذلك.

- وقسم الأخ رسالته إلى ثلاثة فصول: الأول منها في مكانة الشام وارتباطها في الملاحم وأشراط الساعة، والثاني في الملاحم التي تشهدها الشام، والثالث في أشراط الساعة التي تشهدها الشام، والمنهج الذي سلكه في ترتيب الفتن والملاحم والأشراط ليس واضحاً ولا منسجماً مع النصوص النبوية؛ نظراً لطبيعة رسالته،

- بخلاف ما يقوم به الباحث في هذه الرسالة حيث تم ترتيب الفتن والملاحم والأشراط على النحو الذي جاء في النصوص النبوية.

- وأغفل الباحث ذكر جملة من الأحاديث المتعلقة بالملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام، كما وأنه أغفل ذكر بعض الملاحم والأشراط التي تشهدها هذه البلاد.

٤- وقف الباحث على كتاب بعنوان: "بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة" دراسة حديثية تاريخية في رصد الأحداث كما أنبأنا عنها النبي ﷺ، وكما أشار إلى بعضها القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة. لمحمد بن سعيد البارودي.

وهي دراسة قيمة، إلا أنه فات المؤلف الكثير من الأحاديث، إضافة إلى أن جزءاً من الأحاديث التي أوردها بحاجة إلى تحرير في دراسة أسانيدها والحكم عليها.

خامساً: خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها ما يلي:

١- أهمية الموضوع، وبواعث اختياره.

٢- أهداف البحث.

٣- منهج الباحث، وطبيعة عمله في البحث.

٤- الدراسات السابقة.

٥- خطة البحث.

أما التمهيد فضمنته ما يلي:

أولاً: معنى الشام، وتسميته، وأصل اشتقاقه، وحدُّه.

ثانياً: فضائله، وحرص الصحابة والتابعين عليه.

ثالثاً: تعريف الفتن لغة واصطلاحاً.

رابعاً: تعريف الملاحم لغة واصطلاحاً.

خامساً: تعريف أشراط الساعة لغة واصطلاحاً.

أما الفصول فهي على النحو التالي:

الفصل الأول: الفتن في بلاد الشام، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: كثرة الفتن، واشتدادها في آخر الزمان.

المبحث الثاني: اختصاص الشام بالإيمان عند وقوع الفتن.

المبحث الثالث: الوصية بسكنى الشام، والهجرة إليها، لاسيما عند وقوع الفتن.

المبحث الرابع: أهل الشام ميزان لصلاح الأمة وفسادها عند وقوع الفتن.

الفصل الثاني: الملاحم في بلاد الشام، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أرض الشام مركز الصراع بين الحق والباطل، وهي عقر دار المؤمنين.

المبحث الثاني: اختصاص الشام بالطائفة المنصورة المقاتلة.

المبحث الثالث: قتال اليهود في بلاد الشام.

المبحث الرابع: ظهور المهدي وخوضه الملاحم مع الروم في بلاد الشام.

الفصل الثالث:أشراط الساعة الصغرى الواقعة في بلاد الشام،وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: فتح بيت المقدس.

المبحث الثاني: طاعون عمواس.

المبحث الثالث: التضييق على أهل بيت المقدس.

المبحث الرابع: الحصار الاقتصادي على بلاد الشام.

المبحث الخامس: نزول الخلافة في بلاد الشام.

المبحث السادس: اجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان بالشام.

الفصل الرابع: أشراط الساعة الكبرى الواقعة في بلاد الشام، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله إياه في بلاد الشام.

المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج، وهلاكهم في بلاد الشام.

المبحث الثالث: هبوب ريح من الشام تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة.

المبحث الرابع: حشر الناس إلى بلاد الشام.

سادساً: الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات التي تَوَصَّل إليها الباحث.

سابعاً: الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام والرواة.

٥- فهرس الأماكن والبلدان.

٦- فهرس المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.



Tartaria
Turche
China
India orien
talis
Arabia
Aegyptus
AFRICA
Nubia
OCEANVS AETHIOPICVS



التمهيد

أولاً: مَعْنَى الشَّام، وَتَسْمِيَتُه، وَأَصْلُ اشْتِقَاقِه، وَحَدُّهُ.

ثانياً: فضَائِلُهُ وَحِرْصُ الصَّحَابةِ والتَّابِعِينَ عَلَيْهِ.

ثَالِثَاً: تَعرِيفُ الفِتَنِ لُغَةً وَاصْطِلاَحاً.

رَابِعَاً: تَعْرِيْفُ المَلاَحِمِ لغَةً وَاصْطِلاَحاً.

خَامِسَاً: تَعْرِيْفُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلاَحاً.





أولاً: معنى الشام، وتسميته،وأصل اشتقاقه،وحَدُّه

الشام لغة:

الشين والهمزة والميم؛ أصل يدل على الجانب اليسار. من ذلك المشأمة،وهي خلاف الميمنة[١].

والشُّؤم: خلاف اليُمن،وقد شأم فلانٌ على قومه يشأمهم فهو شائم إذا جر عليهم الشُّؤم،وقد شُئم عليهم فهو مشئوم إذا صار شُؤماً عليهم[٢].

ويقال: تشاءم الرجل إذا أخذ نحو شماله،وأشأم وشاءم إذا أتى الشام،وتشأَّم إذا انتسب إليها[٣].

ويقال لليد الشِّمال: الشؤمى تأنيث الأشأم[٤]، واليد الشُّؤمي: ضد اليمنى[٥].

والشَّأْمُ: بلاد تذكر وتؤنث.

قال ابن بَرِّي[٦]:

١- مقاييس اللغة (ص ٥٤٦) لابن فارس.

٢- لسان العرب (٥/ ٧) لابن منظور،وانظر: مختار القاموس (ص ٣٢٠) للطاهر الزاوي.

٣- لسان العرب (٥/ ٧)،وانظر: تاريخ دمشق (١/ ٩) لابن عساكر، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٦٣) لابن الأثير، ومختار القاموس (ص٣٢٠)،والمعجم الوسيط (ص٤٦٩) لإبراهيم أنيس.

٤- لسان العرب (٥/ ٧).

٥- المصدر السابق (٥/ ٨)، وانظر: مختار القاموس (ص٣٢٠).

٦- هو: عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار بن برِّي المقدسي ثم المصري،أبو عبد الله النحوي الشافعي،ولد سنة ٤٩٩هـ،شاع ذكره وانتشر ولم يكن بمصر مثله،كان قيِّماً بالنحو واللغة= والشواهد،وصنف: اللباب في الرد على ابن الخشاب، وغلط الضعفاء من الفقهاء، وغيرها.

- مات سنة ٥٨٢هـ.

- انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٠٨) لابن خلكان، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ١٣٦) للذهبي، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/ ٣٤) للسيوطي، والأعلام (٤/ ٧٣) للزركلي.

شاهد التأنيث قول جَوَّاس بن القَعْطَل[1]:

جِئْتُم من البلدِ البعـيدِ نياطُه[2]　　　والشَّأْمُ تُنْـكَرُ كَهْـلُـهَا وَفَـتَاهَا

وشاهد التذكير قول الآخر[3]:

يقولون إنَّ الشّـأمَ يَقْتُلُ أهْلَـهُ　　　فمـن لـيَ إنْ لـم آته بِخُـلُود[4]

والشَّأْمُ جاءت عند العرب بفتح الهمزة وسكونها؛ مثل نَهْر ونَهَر لغتان[5].

وقد جاء الشآم لغةً في الشأم؛ قال المجنون[6]:

وخُبِّـرتُ ليلى بالشـآم مريضـة　　　فأقبلت من مصر إليها أعودها[7]

وفي الشأم لغة رابعة، وهي الشام من غير همز[8].

فتحصل من مجموع الكلام أن الشام فيها أربع لغات: الشأَم، الشأْم، الشآم، الشام[9].

التَّسْمية وأصل الاشتقاق:

قال أبو بكر ابن الأنباري[10]: «في اشتقاقه (أي الشام) وجهان: يجوز أن يكون

١- هو: جواس بن ثابت بن سويد بن الحارث بن حصن الكلبي،شاعر إسلامي، اشتُهر أبوه بالقعطل، عاش في زمن بني أمية، وتوفي نحو سنة ٧٠هـ. انظر: تاريخ دمشق (١١/ ٣٢٧)، وَذكر ابن عساكر أن اسمه: "جوَّاس بن بياض بن ثابت... " ولعل الصواب ما أثبتناه. والأعلام (٢/ ١٤٣).

٢- المراد بذلك البعد،ونياط المفازة: بعد طريقها، كأنها نيطت وعلقت بمفازة أخرى لا تكاد تنقطع. انظر: لسان العرب (٨/ ٧٤٣).

٣- المراد به: أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم، البغدادي،المعروف بثَعلَب، أبو العباس، الإمام العلامة المحدث،ولد سنة ٢٠٠هـ، وله: المصون في النحو، والقراءات،ومعاني القرآن،وغيرها. مات سنة ٢٩١هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٥)، وبغية الوعاة (١/ ٣٩٧)، والأعلام (١/ ٢٦٧).

٤- لسان العرب (٥/ ٨).

٥- معجم البلدان (٣/ ٣٠٣) لياقوت الحموي.

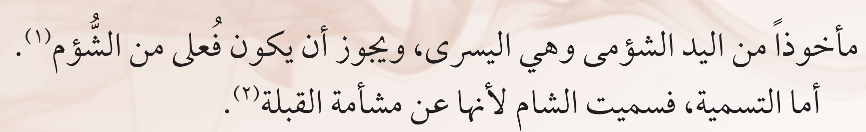
٦- هو: قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً، وإنما لقب بذلك لهُيَامه في حب ليلى بنت سعد. توفي سنة ٦٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٠٨) للصفدي، والأعلام (٥/ ٢٠٨).

٧- لسان العرب (٥/ ٨).

٨- انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٣/ ٣٧٣) لأبي عبيد البكري الأندلسي، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص٣٣٥) لمحمد بن عبد المنعم الحِميَري، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٣).

٩- انظر: خطط الشام (١/ ٧) لمحمد كرد علي.

١٠- هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين، أبو بكر ابن الأنباري، الإمام النحوي اللغوي،



مأخوذاً من اليد الشؤمى وهي اليسرى، ويجوز أن يكون فُعلى من الشُّؤم[١].

أما التسمية، فسميت الشام لأنها عن مشأمة القبلة[٢].

وقيل: الشام جمع شامة، وسميت بذلك لكثرة قراها، وتداني بعضها من بعض فشُبِّهت بالشامات[٣].

وقيل: سميت بذلك لأن قوماً من بني كنعان بن حام خرجوا عند التفريق[٤]؛ فتشاءموا إليها، أي: أخذوا ذات الشمال؛ فسميت الشام بذلك[٥].

وقيل: سميت الشام بِسَام بن نوح عليه السلام، وذلك أنه أول من نزلها فجُعلت السين شيناً لتغير اللفظ العجمي[٦].

وذُكرت أسبابٌ غير هذه الأسباب في تسمية الشام، أعرضنا عنها خشية الإطالة[٧].

وهذه الأقوال كلها حسنة سوى القول الأخير منها لعدم ثبوته، وانتفاء صحته. ولا يمنع أن يجتمع أكثر من سبب في التسمية، والله تعالى أعلم.

حدُّ الشَّام:

قال ياقوتَ الحموي[٨] في بيان حدود الشام: «وأما حدها فمن الفرات إلى

ولد سنة ٢٧١هـ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً، وله: غريب الحديث، والأضداد، وغيرها. توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤)، وبغية الوعاة (١/ ٢١٤)، والأعلام (٦/ ٣٣٤).

١- انظر: تاريخ دمشق (١/ ٩)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٤).

٢- لسان العرب (٥/ ٨)، وانظر: مقاييس اللغة (ص٥٤٦).

٣- معجم البلدان (٣/ ٣٥٤) ونسبه إلى جماعة من أهل اللغة،وانظر: الروض المعطار (ص٣٣٥) والشامات: قرية من قرى سيرجان من كرمان على ستة فراسخ (والفرسخ: ثلاثة أميال). انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٥٣). والشامات تقع اليوم في إيران.

٤- المراد بالتفريق هنا: تفرق الناس حين كانوا ببابل،ولهذا التفرق أسباب؛ انظرها في تاريخ دمشق (١/ ٩)، والروض المعطار (ص٣٣٥).

٥- معجم البلدان (٣/ ٣٥٤)، وانظر: تاريخ دمشق (١/ ٩).

٦- ذكره ياقوت في معجم البلدان (٣/ ٣٥٤)، ونسبه إلى بعض أهل الأثر،وأورده ابن عساكر في التاريخ (١/ ١٠)،ونسبه إلى ابن المقفع،وأنكر جماعة من أهل العلم أن يكون سام نزل الشام، وهو الصحيح. انظر: تاريخ دمشق (١/ ١٠)، ومعجم ما استعجم (٣/ ٣٧٣).

٧- يُنظر للاستزادة: تاريخ دمشق (١/ ٧-١١٠)، ومعجم البلدان (٣/ ٣٥٤)، وغيرها من الكتب المشار إليها آنفاً.

٨- هو: ياقوت بن عبد الله الرومي، مولى عسكر الحموي،شهاب الدين،أبو عبد الله،الأديب السفار

العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جَبَلَي طَيِّئ[1] من نحو القبلة إلى بحر الروم[2] وما بشأمة ذلك من البلاد»[3].

وقال ابن شداد[4]: «ذكر أصحاب الاعتناء بتحديد المسالك والممالك أن حده الجنوبي العريش من جهة مصر، وحده الشمالي بلاد الروم، وحده الشرقي البادية من أيلة[5] إلى الفرات، .... وحده الغربي بحر الروم»[6].

وقال أبو إسحاق الاصطخري[7]: «وأما الشام فإن غربيَّها بحر الروم، وشرقيَّها البادية من أَيْلَة إلى الفرات إلى حد الروم، وشماليَّها بلاد الروم، وجنوبيَّها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور[8]»[9].

النحوي الأخباري المؤرخ، ولد سنة ٥٧٤هـ، من أئمة الجغرافيين، وله: معجم البلدان، ومعجم الأدباء، وغيرها. توفي سنة ٦٢٦هـ. انظر: وفيات الأعيان (٦/ ٢٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣١٢)، والأعلام (٨/ ١٣١).

١- جبلا طيئ: هما: أجأ، وسلمى؛ يقعان في منطقة حائل في الجزيرة العربية، وبينهما مسيرة ليلتين، وطيئ: قبيلة عربية قحطانية منازلها في الجبلين. انظر: معجم البلدان (١/ ١١٩)، وأطلس الحديث النبوي (ص٢٤٨) لشوقي أبو خليل.

٢- وهو البحر المتوسط، وفي كتب التاريخ والبلدان غالباً ما يسمونه بحر الروم، ومن أسمائه: بحر الملح والبحر المالح، وبحر الشام. انظر: خطط الشام (١/ ٩).

٣- معجم البلدان (٣/ ٣٥٤).

٤- هو: محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد الله، عز الدين بن شداد الأنصاري الحلبي، ولد بحلب سنة ٦١٣هـ، ورحل إلى حرَّان ومصر، وكان مُعَظَّماً عند الأمراء محبوباً لديهم، واستوطن مصر بعد استيلاء التتار على حلب، وله: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. وتوفي في القاهرة سنة ٦٨٤هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٨٨) لابن العماد الحنبلي، والأعلام (٦/ ٢٨٣).

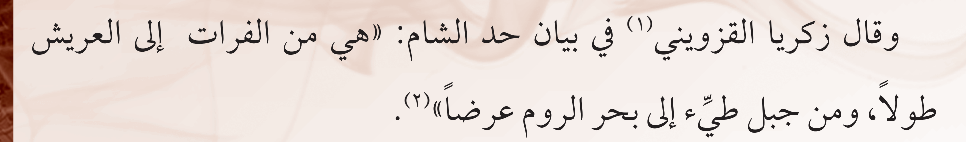
٥- مدينة على شاطئ البحر مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام، على رأس خليج العقبة، وسميت بأيلة بنت مدين، وقيل: هي القرية التي كانت حاضرة البحر، وهي التي تسمى الآن العقبة. انظر: معجم البلدان (١/ ٣٤٧)، ومعجم ما استعجم (١/ ٢١٧)، والروض المعطار في خبر الأقطار (ص٧٠)، وأطلس الحديث النبوي (ص٥٧).

٦- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (١/ ٤).

٧- هو: إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق الاصطخري، جغرافي، رحالة، من أهل اصطخر بإيران، طاف بلاد العرب، وبعض بلاد الهند، وله: صور الأقاليم، ومسالك الممالك. لم يترجم له في كتب المتقدمين. توفي سنة ٤٣٦هـ. انظر: الأعلام (١/ ٦١)، و معجم المؤلفين (١/ ٦٨) لعمر رضا كحَّالة.

٨- الثغور من الشام، وهي تشمل عدة مدن؛ منها: ملطية، والحدث، ومرعش، والهارونية، وأذنة، وطرسوس، وغيرها. وهي قسمان: الثغور الجزرية، والثغور الشامية وكلاهما من الشام.
- انظر: مسالك الممالك (ص٥٥).

٩- مسالك الممالك (ص٥٥).



وقال زكريا القزويني[1] في بيان حد الشام: «هي من الفرات إلى العريش طولاً، ومن جبل طيِّء إلى بحر الروم عرضاً»[2].

وقال شمس الدين الأسيوطي[3]: «وأما حدودها؛ فإن حدها من الغرب البحر المالح، وعلى ساحله عدة مدائن، ومن الجنوب رمل مصر والعريش، ثم تيه بني إسرائيل، وطور سيناء، ثم تبوك، ثم دُومة الجندل[4]، ومن الشرق بَرِّيَّة السماوة[5]؛ وهي كبيرة ممتدة إلى العراق ينزلها عرب الشام، ومن الشمال مما يلي الشرق أيضاً الفرات إلى بلاد الجزيرة»[6].

ومما يذكر هنا: ما قاله ابن حبان في صحيحه معقباً على حديث الأمر بسكون الشام في آخر الزمان، حيث قال: «أول الشام بالس[7]، وآخره عريش مصر»[8].

١- هو: زكريا بن محمد بن محمود القُزْويني، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري، مؤرخ، قاض، جغرافي، ولد بقزوين سنة ٦٠٥هـ، ورَحل إلى الشام والعراق، وولي قضاء واسط، وله: آثار العبَّاد وأخبار البلاد، وعجائب المخلوقات، وخطط مصر. توفي سنة ٦٨٢هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٤٦).

٢- آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٠٥).

٣- هو: محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، شمس الدين الأسيوطي الشافعي المنهاجي المصري، ولد بأسيوط سِنة ٨١٣هـ، وجاور بمكة مدة، واستقر في القاهرة،وتوفي سنة ٨٨٠هـ وله: فضائل الشام،إتحاف الأخِصَّا بفضائل المسجد الأقصى. انظر: الأعلام (٥/ ٣٣٤).

٤- بلدة تقع بين الحجاز والشام، على مقربة من تبوك، وهي حصن منيع ومعقل حصين،بعث رسول الله ﷺ إليها جيشاً، وأمَّر عليهم عبد الرحمن بن عوف ففتحها،وكان فتحها صلحاً. انظر: معجم ما استعجم (١/ ٥٦٥)، والروض المعطار (ص٢٤٥).

٥- مفازة بين الكوفة والشام،طويلة قليلة العرض، سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها، وقيل غير ذلك. انظر: معجم ما استعجم (٢/ ٧٥٤)، ومعجم البلدان (٣/ ٢٧٨)، والروض المعطار (ص٣٢٢).

٦- فضائل الشام (ص٣٠٩)، والكتاب ضمن مجموع يضم خمسة كتب في فضائل الشام.

٧- بلدة بالشام، تقع بين حلب والرِّقَّة، على شاطئ الفرات الغربي،تحمل منها التجارات التي ترد من الشام ومصر إلى بغداد. انظر: الأعلاق الخطيرة (٢/ ١٤)، وآثار العباد وأخبار البلاد (ص٣٠٦)، ومعجم ما استعجم (١/ ٢٢٢)، ومعجم البلدان (١/ ٣٩٠).

٨- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بَلَبان، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمَّان، ذكر الأمر بسكون الشام في آخر الزمان إذ هي مركز الأنبياء (١٦/ ٢٩٥)، رقم (٧٣٠٥).

وقال الحميري[١]: «وأول طول الشام من مَلَطْيَة[٢] إلى رفح»[٣].

ثم إن ابن رجب الحنبلي ذكر في فضائل الشام[٤] بعض الأحاديث والآثار في بيان حدود الشام، ولكنَّ شيئاً منها لم يثبت.

وقال الدكتور شوقي أبو خليل في بيان حدود الشام: «تمتد الشام من جبال طوروس شمالاً، إلى سيناء جنوباً، ومن ساحل البحر المتوسط غرباً، حتى روافد الفرات والصحراء العربية شرقاً»[٥].

والأقوال التي تقدم ذكرها متقاربة إلى حد كبير، إلا أن بعضها فيه إجمال وبعضها فيه تفصيل، وبينهما شبه اتفاق على حدود الشام الشمالية، والشرقية، والغربية، إلا أن الخلاف وقع في الحدود الجنوبية للشام؛ فبعضهم جعلها إلى رفح، وبعضهم جعلها إلى العريش، وبعضهم إلى سيناء، والأكثر على أن حدها الجنوبي عريش مصر، وهو الذي يميل إليه الباحث.

وبلاد الشام بتعبيرنا الحالي تشكل بمجموعها سوريا، وفلسطين، والأردن، ولبنان، ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية سايكس بيكو[٦].

١- هو: محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، أبو عبد الله السَّبتي، كان آية في الحفظ، صدوق اللهجة، سليم الصدر، تام الرجولية، وله: الروض المعطار في خبر الأقطار. انظر: بغية الوعاة (١/ ١٦٤)، ومقدمة الروض المعطار بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

٢- من ثغور الشام، بناها أبو جعفر المنصور بعد أن أخربتها الروم، وفتحها حبيب بن مسلمة الفهري عنوة. انظر: آثار العباد وأخبار البلاد (ص٥٦٤)، ومعجم ما استعجم (٢/ ١٢٥٦)، ومعجم البلدان (٥/ ٢٢٣)، والروض المعطار (ص٥٤٥).

٣- الروض المعطار (ص٣٣٥).

٤- (ص٢٠٩).

٥- أطلس الحديث النبوي (ص٢٣٠).

٦- هي الاتفاقية التي تمت بين فرنسا وبريطانيا، وفيها تم الاتفاق على تقسيم المنطقة العربية؛ بحيث تكون العراق لبريطانيا، وكذلك الأردن، ومنطقة حيفا، وما حولها في فلسطين، وأما سوريا ولبنان فتكونان لفرنسا، وأما فلسطين فتوضع تحت إشراف دولي، وتعد هذه الاتفاقية من أخطر المؤامرات التي مرت على العالم العربي، وسميت بذلك نسبة لاسمي الوزيرين: وزير الخارجية البريطاني "سايكس"، ووزير الخارجية الفرنسي "بيكو". انظر: خطط الشام (٣/ ١٦١).



ثانياً: فضَائِلُهُ وَحِرْصُ الصَّحَابةِ والتَّابِعِينَ عَلَيْهِ

بلاد الشام بلاد مباركة، عظيمة الشأن، رفيعة القدر، حباها الله بنعم جليلة، وفضائل غزيرة، وما أجمل ما قاله المقدسي[1] في مفتتح حديثه عن إقليم الشام: «إقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيين، ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومهاجَر إبراهيم.. مع مشاهد لا تحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخا، وآخرة ودنيا، به يرق القلب وتنبسط الأعضاء للعبادة..»[2].

وثبت للشام في الوحيين من الفضائل ما يشرح الصدور، ويبهج النفوس، أبدأها بما ذكر الله في كتابه على وجه السرعة والاختصار.

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3].

قال ابن جرير الطبري: «هي أرض الشام، وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام»[4].

١- هـو: محمـد بن أحمد بن أبي بكر البنَّاء، المقدسي، المعروف بالبشَّـاري، شـمس الديـن، أبو عبد الله، رحالـة جغرافي، ولد في القدس سـنة ٣٣٦هـ، وتعاطى التجارة، فطاف أكثر بلاد الإسـلام، وامتاز عن غيره من علماء البلدان بكثرة ملاحظاته، وسعة نظره، توفي سنة ٣٧٥هـ، وقيل: غير ذلك. انظر: الأعلام (٥/ ٣١٢)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٥٢).

٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص١٥١).

٣- سورة الأنبياء،آية (٧١).

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ٥٧١٨).

وأكثر المفسرين على أن الأرض المشار إليها في الآية هي بلاد الشام[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطاً إلى أرض الشام من أرض الجزيرة[2] والعراق»[3].

وسماها الله مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء[4].

وهذه البركة ثابتة لبلاد الشام في غير موضع من كتاب الله، ومنها:

- قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾[5].

والأرض التي أورثها الله بني إسرائيل، وبارك فيها في الآية هي أرض الشام [6] عند جماهير المفسرين، ونقله ابن جرير وغيره[7] عن الحسن البصري، وقتادة بن دِعامة السَّدُوسي.

وقال شيخ الإسلام:»معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أُغرق فرعون في اليم»[8].

- وقوله تعالى عن سليمان ﷺ: ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾[9].

١- انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٠٥) للقرطبي، وتفسير القران العظيم (٥/ ٢٠٦) لابن كثير.

٢- الجزيرة المعنية: التي تقع بين نهري دجلة والفرات، وليس المراد: جزيرة العرب. انظر: معجم البلدان (٢/ ١٥٦)، وأطلس الحديث النبوي (ص١٢١).

٣- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦) لابن تيمية.

٤- الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٠٥)، وانظر: فضائل الشام (ص٢٠٩) لابن رجب، حيث أفرد باباً كاملاً للحديث عن بركة الشام.

٥- سورة الأعراف، آية (١٣٧).

٦- ومِمَّا يُنَبَّه عليه هنا: أن هذه الآية وما شابهها لا تدل مطلقاً على أن اليهود لهم أي حق في هذه الأرض المباركة، فهذا منافٍ للحقائق الشرعية والتاريخية، ولا مجال هنا لتفصيل القول في ذلك. انظر: ليس لليهود حق في فلسطين لجمال عبد الهادي مسعود ووفاء رفعت جمعة، والقدس قضية كل مسلم (ص٤٧-٨٢) ليوسف القرضاوي .

٧-انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/ ٣٦١٨)، والجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٧٢)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٧٣).

٨- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦).

٩- سورة الأنبياء، آية (٨١).

وهذه الأرض المباركة هي أرض الشام، وهو اختيار ابن جرير[١]، والقرطبي[٢]، وابن كثير[٣]، وعليه أكثر المفسرين.

قال شيخ الإسلام: «إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان»[٤].

- وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾[٥].

والله تبارك وتعالى أعلى شأن هذه البلاد في كتابه، فهي الأرض المقدسة، ومبوأ الصدق، ومحل قسم الله تبارك وتعالى[٦].

وللشيخ صلاح الخالدي كلام نفيس عن بركة الشام في ظلال الآيات التي ذكرنا طرفاً منها، حيث قال: وعندما ننظر في الآيات السابقة[٧]، فإننا نستخلص منها بعض الدلالات، والإشارات، واللطائف، والإيحاءات، منها:

- أن فعل (باركنا) في الآيات الست كلها، مسند إلى الله تعالى، أي أن الذي بارك هذه الأرض المباركة هو الله.

- أن فعل (باركنا) في الآيات الست مطلق، غير مقيد، ولا محدد بزمن أو نوع، وهذا يدل على أن البركة الربانية لهذه الأرض المباركة مطلقة غير محددة ولا مقيدة،

١- انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ٥٧٢٧).
٢- انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٢٢).
٣- انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٠٨).
٤- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٦).
٥- سورة الإسراء، آية (١).
٦- انظر: تاريخ دمشق (١/ ١٤٠-١٥٣) ففيه كلام بديع جامع حول فضائل الشام، وفضائل الشام (ص٢٠٧-٢١٣) لابن رجب.
٧- ذكر -حفظه الله- ست آيات، واقتصرنا على أربعة منها رعاية للاختصار، والآيتان الباقيتان هما: قوله تعالى عن إبراهيم وإسحاق - عليهما السلام - ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣﴾ (سورة الصافات: ١١٢-١١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾. (سورة سبأ: ١٨).

وهي شاملة لكل أنواع البركة، ومن مظاهر هذه البركة الربانية: البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والبركة الاقتصادية، والبركة الاجتماعية، والبركة الجهادية، والبركة الحضارية، والبركة المستقبلية،... وغير ذلك.

– التعبير عن البركة الربانية بالفعل الماضي (باركنا) يدل على ثبوت واستقرار البركة الربانية لهذه الأرض؛ لأن الفعل الماضي يفيد الثبات والاستقرار، فالله سبحانه قد شاء استقرار البركة في هذه الأرض، وجعلها ثابتة فيها.

ولهذا ستبقى هذه البركة الشاملة مستقرة فيها على اختلاف فترات التاريخ، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بلغوا من جهود في ذلك، وستبقى لها هذه البركة حتى قيام الساعة.

لن يزيل بركة الأرض المباركة فترات خاصة قصيرة من التاريخ، يأذن الله فيها بسيطرة الكفار على هذه الأرض، وحكمهم لها، ثم يأذن بدحرهم عنها، كما حصل للصليبيين في الماضي، وكما يحصل لليهود الآن، فإن بركة الأرض في هذه المرحلة تكون في إحياء الإيمان في قلوب المسلمين، وإيقاظ روح الجهاد والتحدي فيهم، وتجميعهم على الجهاد لدحر الكفار وطردهم، وهذه بركة جهادية ملحوظة»[1].

فَضَائِلُ الشَّامِ فِي السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ:

إن الناظر في أحاديث النبي ﷺ يجد أن الشام لها نصيب وافر، وحظ زاخر من النصوص التي بينت فضلها وفضل أهلها، وبركتها وعظيم منزلتها عند الله وعند رسوله ﷺ.

وسترد معنا في الفصول والمباحث اللاحقة جملة وافرة من هذه النصوص؛ ولهذا سنقتصر هنا على إيراد بعض النصوص التي هي مظنة عدم الورود في الفصول والمباحث اللاحقة:

١– حقائق قرآنية في القضية الفلسطينية (ص٣٧–٣٨).

- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[١].

والحديث ظاهر الدلالة على فضيلة بلاد الشام، ورفيع منزلتها، ولهذا يقول العز بن عبد السلام: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن؛ دل على تفضيل الشام على اليمن مع ما أثنى الله به على أهلها في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»[٢].

وبيَّن المُلَّا علي القاري في شرحه على المشكاة سبب تقديم الشام على اليمن فقال: «ولعل تقديمه على اليمن يشير إلى أنه مبارك في أصله؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، ولوجود كثير من الأنبياء فيه، فالمراد زيادة البركة»[٣].

- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طُوبَى لِلشَّامِ»، فَقُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِأَنَّ

١- إسناده: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد، عن ابن عون، عن نافع...
- البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (ص٢٠٥)، رقم (١٠٣٧)، وكتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قِبَل المشرق (ص١٣٥٥)، رقم (٧٠٩٤) واللفظ له، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن (ص٨٨٥)، رقم (٣٩٥٣) بنحوه، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون"، وأحمد= (٩/ ٤٥٨- ٤٥٩)، رقم (٥٦٤٢) بنحوه، وفيه: "فقال رجل: وفي شرقنا يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: من هنالك يطلع قرن الشيطان وبها تسعة أعشار الشر"، و(١٠/ ١٩٤)،رقم (٥٩٨٧)، ثلاثتهم من طريق نافع (مولى ابن عمر) به.
- تنبيه: المراد بالنجد في الحديث: ما ارتفع من الأرض، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، وهي مشرق أهل المدينة. انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٩)، وأكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان (ص٧٧وما بعدها) للحكيم محمد أشرف سندهو.
٢- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٣٤).
٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٣٨).

مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»[1].

---

١ - إسناده: حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثني أبي (جرير بن حازم بن زيد) قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب...
- الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن (ص٨٨٥)، رقم (٣٩٥٤) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث يحيى بن أيوب، وأحمد (٣٥/ ٤٨٣)، رقم (٢١٦٠٦) بنحوه، و(٢١٦٠٧) بنحوه، وابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب الحجاز واليمن وفارس وعمان، ذكر بسط الملائكة على الشام لساكنها= (١٦/ ٢٩٣)، رقم (٧٣٠٤) بنحوه، الحاكم، كتاب التفسير (٣/ ١٠٩٦)، رقم (٢٩٠٠) بنحوه، و(٢٩٠١) بمثله، إلا أن فيه: " عليهم"؛ بدل: " عليها "، كلهم من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شِماسة به.
- محمد بن بشار، ووهب بن جرير، وجرير بن حازم؛ ثلاثتهم من الثقات.
- ويحيى بن أيوب: هو الغافقي، أبو العباس المصري.
- وثقه: يحيى بن معين، والبخاري (فيما نقله عنه الترمذي)، والعجلي، ويعقوب بن سفيان (الفسوي)، وإبراهيم الحربي، وذكره ابن حبان في الثقات.
- وقال يحيى بن معين (في رواية)، وأبو داود، والذهبي: صالح.
- وقال ابن عدي: " ولا أرى في حديثه إذا روى عنه ثقة أو يروي عن ثقة حديثاً منكراً فأذكره، وهو عندي صدوق، لا بأس به".
- وقال ابن حجر في التلخيص الحبير: فيه مقال، ولكنه صدوق.
- - واختلف فيه قول النسائي؛ فقال مرة: ليس به بأس، وقال أخرى: ليس بذاك القوي.
- وقال أحمد بن صالح (المصري): كان يحيى بن أيوب من وجوه أهل البصرة، وربما خلَّ في حفظه، وقال مرةً: له أشياء يخالف فيها.
- وقال الساجي (أبو يحيى): صدوق يَهِم.
- وقال ابن حجر في التقريب: صدوق، ربما أخطأ.
- وقال ابن سعد: منكر الحديث، وقال أحمد: سيء الحفظ، وقال أبو حاتم: محله الصدق، يُكتب حديثه ولا يحتج به، وضعفه العقيلي، وقال الإسماعيلي (أبو بكر)، وابن القطان الفاسي: لا يحتج به، وقال الدارقطني: في حديثه اضطراب.
- انظر: معرفة الثقات (٢/ ٣٤٧) للعجلي، الجرح والتعديل (٩/ ١٢٨) لابن أبي حاتم، والضعفاء والمتروكون (ص٢٤٨) للنسائي، والضعفاء الكبير (٤/ ٣٩١) للعقيلي، والثقات (٧/ ٦٠٠) لابن حبان، والكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٢١٤) لابن عدي، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/ ٣٦٢) للذهبي، وميزان الاعتدال (٦/ ٣٦)، والتلخيص الحبير (٢/ ٤٠) لابن حجر، وهدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٦٣٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٥)، وتقريب التهذيب (ص١٠٤٩).
- قال الباحث: أعدل الأقوال في يحيى بن أيوب: ما ذهب إليه الحافظ ابن عدي، وانتهى إليه= الحافظ ابن حجر، وهو أنه صدوق، وقول ابن حجر في التقريب لا ينافي قوله في تلخيص الحبير؛ فإنه أشار في التقريب إلى أن خطأه يسير، وهذا لا ينزله عن مرتبة الصدوق، وهذا اختيار الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٩).
- ويزيد بن أبي حبيب: هو أبو رجاء المصري، ثقة يرسل. تقريب التهذيب (ص١٠٧٣).
- وإرساله لا يضر؛ لتصريحه بالسماع عند الإمام أحمد، رقم (٢١٦٠٧).



قال العز بن عبد السلام: «أشار ﷺ إلى أن الله سبحانه وتعالى وكَّل بها الملائكة يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد الله بن حوالة[1] في أنهم في كفالة الله ورعايته»[2].

«وطوبى: تأنيث أطيب، أي: راحة وطيب عيش حاصل للشام؛ لأن ملائكة البليغ الرحمةِ التي وسعت رحمته كل شي تحفها وتحوطها بإنزال البركات، ودفع المهالك والمؤذيات»[3].

– عن أَبِي عَسِيب[4] مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ»[5].

– وعبد الرحمن بن شِماسة: هو أبو عمرو المَهري المصري، ثقة ثبت.
– فهذا إسناد حسن رواته ثقات، سوى يحيى بن أيوب؛ فهو صدوق كما تقدم. وتابع يحيى عمرو بنُ الحارث عند ابن حبان، رقم (٧٣٠٤).
– وعمرو بن الحارث: بن يعقوب الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه حافظ. تقريب التهذيب (ص٧٣٢).
– وبهذه المتابعة يرتقي الإسناد إلى الصحة.
– قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
– قال الباحث: يحيى بن أيوب احتج به مسلم، والبخاري إنما روى له في المتابعات والشواهد. انظر: هدي الساري (ص٦٣٤).
– وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢١)، وتخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص٩).

١– سيأتي (ص٧٧).
٢– ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٣٤).
٣– فيض القدير (٤/ ٣٥٧) للمُناوي.

٤– هو: مولى رسول الله ﷺ، له صحبة ورواية، وهو مشهور بكنيته، قيل: اسمه أحمر، وقيل: هو سفينة، ونفى ذلك ابن حجر في الإصابة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٤١) لابن عبد البر، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/ ٢١٦)، رقم (٦٠٩٧) لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٢٢٩)، رقم (١٠٢٥٣) لابن حجر.
٥– إسناده: حدثنا يزيد...
– أحمد (٣٤/ ٣٦٦)، رقم (٢٠٧٦٧) واللفظ له؛ الحارث بن أبي أسامة، كما في "بغية الباحث عن زوائد الحارث" (١/ ٣٥٨)، رقم (٢٥٥) بنحوه، والمعجم الكبير (٢٢/ ٣٩١)، رقم (٩٧٤) بنحوه، وفيه: "وأرسلت الطاعون إلى الشام شهادة لأمتي ورجزاً على الكفار"، من طريق يزيد بن هارون، حدثنا مسلم بن عُبيد أبو نصيرة به.

أسكن الله تعالى الطاعون في الشام ليكثِّر شهداءهم، ويرفع درجاتهم، ويزكي أعمالهم، ولقد توفي في طاعون عِمْوَاس أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشُرَحبيل بن حَسَنَة، وآلاف من الأخيار من الصحابة والتابعين[1].

ثم إن النبي ﷺ أشار إلى اختصاص الشام بالإيمان عند وقوع الفتن، وأوصى بسكنى الشام والهجرة إليها، وأخبر أن بها الطائفة المنصورة المقاتلة، وأنها عُقر دار المؤمنين، وتوالت بشائره ﷺ لأهلها بالنصرة، والفتح، والتمكين، والانتصار على الكفر والكافرين إلى غير ذلك مما سنعرض له في المباحث التالية إن شاء الله.

حِرْصُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ عَلَىْ الشَّامِ:

إن الصحابة رضي الله عنهم لما سمعوا أحاديث النبي ﷺ وهو يحثهم على النزول بالشام، والهجرة إليها لا سيما عند اشتداد الفتن؛ تعلقت قلوبهم بالشام، ونزلها كثير منهم رضي الله عنهم، حتى قال الوليد بن مسلم: «دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ»[2].

وتقول عائشة رضي الله عنها فيما أسنده إليها ابن عساكر وهي تخاطب أهل العراق: «يا أهل العراق! أهل الشام خير منكم، خرج إليهم نفر من أصحاب رسول الله كثير، فحدثونا بما نعرف، وخرج إليكم نفر من أصحاب رسول الله قليل، فحدثتمونا

- مسلم بن عُبيد: وثقه الإمام أحمد، وقال ابن معين: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات، وخَلُصَ ابن حجر في التقريب إلى أنه ثقة.
- انظر: الجرح والتعديل (٨/ ١٨٨)، والثقات (٥/ ٣٩٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨٧)، وتقريب التهذيب (ص١٢١٥).
- فهذا إسناد صحيح، رواته كلهم ثقات.
- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٥): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات.
- وقال البوصيري في "إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة" (٢/ ٤٢٥): رواه الحارث، وأبو يعلى، وأحمد بن حنبل بسند صحيح.
- وقال الألباني في الصحيحة (٢/ ٣٨٨)، رقم (٧٦١): هذا إسناد صحيح.

١- واقدساه (١/ ١٠٥) لسيد العفاني.

٢- تاريخ دمشق (١/ ٣٢٧)، وعزاها ابن سرور المقدسي في "مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام" (ص٨٧) إلى أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث.

بما نعرف وما لا نعرف»[1].

وكلام عائشة رضي الله عنها إضافة إلى كونه توثيقاً لأهل الشام في الرواية، ووصفهم بصرف الهمة إلى العلم، فإنه ظاهر في الدلالة على كثرة من نزل الشام من صحابة رسول الله ﷺ.

وذكر ابن سعد في الطبقات[2] ما يزيد على مائة رجل ممن نزل بالشام من صحابة رسول الله ﷺ، وذكر منهم: أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، وعبادة ابن الصامت، وسعد بن عبادة، وأبو الدرداء، وشُرَحْبِيل بن حَسَنَة، وخالد بن الوليد، وعياض بن غُنْم، والفضل بن العباس، ومعاوية بن أبي سفيان.. وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين.

ومما يدل على حب الصحابة لها وحرصهم عليها أن أبا بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ،وكان قد جهز جيشاً لغزو الروم في أرض الشام أصر على إنفاذ جيش أسامة رغم أن جموع المرتدين تحيط بالمدينة، ورغم نصحه من قبل جميع الصحابة أن لا يرسل الجيش، إلا أنه أصر رضي الله عنه وقال كلمته المشهورة: «والذي نفسي بيده لأن تميل عليَّ العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ"[3].

وقد ذكر شيخ الإسلام عن عمر رضي الله عنه أنه " كان يفضلهم (أي: أهل الشام) في مدة خلافته على أهل العراق، حتى قَدِمَ الشام غير مرة، وامتنع من الذهاب إلى العراق، واستشار فأشار[4] عليه أن لا يذهب إليها، وكذلك حين وفاته لما طعن، أُدخِل عليه أهل المدينة أولاً، وهم كانوا إذ ذاك أفضل الأمة، ثم أدخل عليه أهل الشام، ثم أدخل عليه أهل العراق، وكانوا آخر من دخل عليه، هكذا في الصحيح. وكذلك الصديق كانت عنايته بفتح الشام أكثر من عنايته بفتح العراق،

١- تاريخ دمشق (١/ ٣٢٧).
٢- الطبقات الكبرى (٧/ ٣٨٤).
٣- انظر: تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٤٥) لابن جرير الطبري.
٤- هكذا، ولعلها: فأشير.

حتى قال: لكَفْر من كُفُور الشام أحب إليَّ من فتح مدينة بالعراق»[1] .

ثم إن العناية والحرص على نزول الشام وسكناها توارثته الأجيال من بعد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا، ولو ذهبنا نحصي من نزلها من التابعين فمن بعدهم من أهل العلم لاحتجنا إلى مجلدات[2].

١- مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨).

٢- انظر: المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٠٦-٤٨٣) ليعقوب بن سفيان الفسوي، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام (٢٦٤-٣٧٦)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل (٢/ ١٧٧-٤٠٧) لمجير الدين الحنبلي العُليمي.



ثَالِثَاً: الفِتَنُ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً

الفتنة لغة:

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون، أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار. من ذلك الفتنة، يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْناً. وفَتَنْتُ الذَّهبَ بالنَّار، إذا امتحنتُه»[1].

وقال الأزهري[2]: «جِماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، أي: أذبتهما بالنار ليتميز الرديَّ من الجيد، ومن هذا قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[3]، أي يحرقون بالنار»[4].

وقال ابن الأعرابي[5]: «الفتنة الاختبار، والفتنة المِحنة، والفتنة المال، والفِتنة الأولادُ، والفتنة الكُفْرُ، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنةُ الإحراق بالنار»[6].

وذكر الفيروزآبادي زيادة على ما ذكره ابن الأعرابي من معاني الفتنة: الإعجاب

١- مقاييس اللغة (ص٨٣٥)، وانظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٨٧) للزمخشري.

٢- هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح، أبو منصور، الأزهري اللغوي الأديب الهروي الشافعي، ولد سنة ٢٨٢هـ، وأخذ عن الربيع بن سليمان ونفطويه، وابن السرَّاج، وله: التهذيب في اللغة، والتقريب في التفسير، وغيرها. مات سنة ٣٧٠هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٣٤)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥)، وبغية الوعاة (١/ ١٩).

٣- سورة الذاريات، آية (١٣).

٤- تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٦) للأزهري.

٥- هو: محمد بن زياد الهاشمي مولاهم، أبو عبد الله، المعروف بابن الأعرابي، ولد سنة ١٥٠هـ، كان نحوياً عالماً باللغة والشعر، راوية للأشعار، وله: النوادر، والأنواء، والخيل، وغيرها. مات سنة ٢٣١هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٦)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧)، وبغية الوعاة (١/ ١٠٥).

٦- لسان العرب (٧/ ١٩).

بالشيء، والضلال، والإثم، والفضيحة[1].

وأورد ابن منظور في اللسان أكثر هذه المعاني، وزاد عليها معانٍ أخرى؛ منها: الخبرة، والإمالة عن الحق، وما يقع بين الناس من القتال، والقتل، والعذاب[2].

وذكر الشواهد على هذه المعاني وتوسع في ذلك، فمن أراد الزيادة فليرجع إليه.

وذكر الراغب الأصفهاني أن الفتنة تستعمل فيما يُدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهي في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً[3].

الفتنة في الاصطلاح الشرعي:

من أحسن ما وقفتُ عليه في ذلك: ما نقله ابن حجر في الفتح : «أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر، والإثم، والتحريق، والفضيحة، والفجور، وغير ذلك»[4].

وقال الجُرجاني: «الفتنة: ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر. يقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب، ومنه الفَتَّان، وهو الحجر الذي يجرب به الذهب والفضة»[5].

وقال الزمخشري: «الفتنة: الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهجر الشهوات والملاذ بالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم»[6].

١- مختار القاموس (ص٤٦٨).
٢- لسان العرب (٧/ ١٩-٢٠).
٣- مفردات القرآن (ص٣٧٤).
٤- فتح الباري (١٣/ ٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦٩١) لابن الأثير.
٥- التعريفات (ص٢٦٦).
٦- تفسير الكشاف (٣/ ٥٣٣).



رَابِعاً: تَعْرِيْفُ المَلَاْحِمُ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً

الملحمة لغة:

قال ابن فارس: «اللام والحاء والميم، أصل صحيح يدل على تداخل، كاللَّحم الذي هو متداخل بعضه في بعض، وسميت الحرب ملحمة لمعنيين؛ أحدهما: تلاحم الناس: أي تداخلهم بعضهم في بعض، والآخر: أن القتلى كاللَّحم المُلقى. واللَّحيم: القتيل»[١].

واللَّحيم: كثير لحم الجسد[٢].

«ولحمت الشيء: إذا لأمتُه، ويقال: لَحَم الصائغ الفضة إذا لأمها، ولاحمتُ الشيء بالشيء إذا ألصقته به، فأما ألحمت بالألف فمعناه قتلت، ويقال: ألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً»[٣].

وقال ابن منظور: «الملحمة: الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال. وألحمت القوم: إذا قتلتهم حتى صاروا لحماً. وألحم الرجل إلحاماً، واستلحم استلحاماً إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً»[٤].

«والملحمة: القتال في الفتنة، وكذلك حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف»[٥].

وقال في النهاية: «الملحمة هي: الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم، مأخوذ

١- مقاييس اللغة (ص٩٥٠).
٢- الفائق في غريب الحديث (٣/ ٣١١)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٨٣٠).
٣- غريب الحديث (٢/ ٢٨٩) للخطابي.
٤- لسان العرب (٨/ ٥٢)، وانظر: غريب الحديث (٢/ ٣١٧) لابن الجوزي.
٥- المصدر السابق (٨/ ٥٢)، والمعنى الثاني نقله عن ابن الأعرابي.

من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمة[1] الثوب بالسَّدَى[2]»[3].

الملحمة في الاصطلاح الشرعي:

ومن مجموع ما سبق نخلص إلى أن الملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة ذات القتل الشديد حيث يشتبك فيها الناس ويختلطون كاختلاط لُحْمَة الثوب بالسَّدَى.

١- وهي خطوط النسيج العرضية التي يُلحم بها السَّدَى. انظر: المعجم الوسيط (ص٨١٩).
٢- وهي خطوط النسيج التي تمد طولاً وهو خلاف اللُّحمة. انظر: المعجم الوسيط (ص٤٢٤).
٣- النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٨٣٠).



خَامِسَاً: تَعْرِيْفُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ لُغَةً وَاصْطِلَاْحَاً

الأشراط لغة:

الشين والراء والطاء، أصل يدل على عَلَم وعلامة، وما قارب ذلك من عِلْمٍ. من ذلك الشَّرْط: العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها[١].

وفي اللسان: "أشراط الشيء أوائله، قال بعضهم: ومنه أشراط الساعة، والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله"[٢].

وقال الأصمعي: "أشراط الساعة: علاماتها، قال: ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، أي هي علامات يجعلونها بينهم، ولهذا سميت الشُّرَط؛ ولأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها"[٣].

وقال الخطابي: "الشُّرْطَة أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة... وإنما سُمُّوا شرطة لتقدمهم أمام الجيش"[٤].

١- مقاييس اللغة (ص٥٥٥).
٢- لسان العرب (٥/ ٧٩).
٣- المصدر السابق (٥/ ٧٩)، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٧٣)، والفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٨)، ومختار الصحاح (ص١٩٠) للرازي.
٤- غريب الحديث (٢/ ٢٥٣)، وانظر: لسان العرب (٥/ ٧٩).

السـاعة لغة:

جزء من أجزاء الليل والنهار، والجمع ساعات وساعٌ.. وتصغيره سُويعة، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة[1].

والساعة في الأصل تطلق بمعنيين: أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من مجموع اليوم والليلة، والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال: جلست عندك ساعة من النهار، أي: وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة[2].

وقال الزجاج: "معنى الساعة في كل القرآن: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة"[3].

ومن معاني الساعة في اللغة: الوقت الحاضر، والمشـقة، والبعد، والهلكى كالجاعة للجياع[4].

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ في الاصْطِلَاْحَ الشرعي:

أما في اصطلاح الشرع، فقد نقل القرطبي عن بعضهم -ولم يسمِّه- أن أشراط

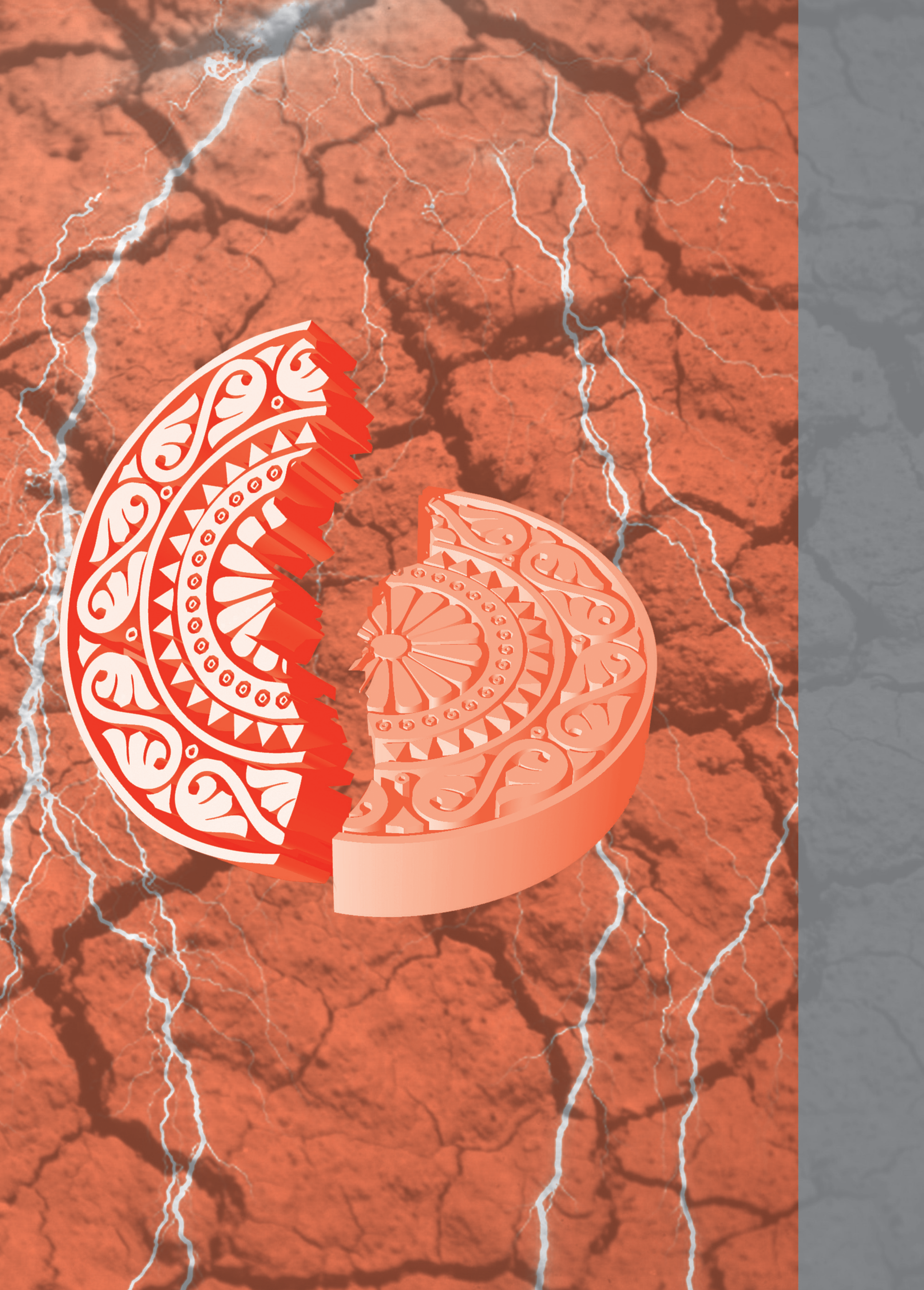
١- لسان العرب (٤/ ٧٤٩)، وانظر: المعجم الوسيط (ص٤٦٣).
٢- النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٥٤).
٣- المصدر السابق (ص٤٥٤).
٤- انظر: لسان العرب (٤/ ٧٤٩-٧٥٠).

الساعة: "هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها"[1].

وقال ابن حجر: "هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة"[2].

وقال الدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل: "أشراط الساعة: هي العلامات الدالة على قيام الساعة وعلى قرب وقوعها ممن أدركها"[3].

١- انظر: الجامع لأحكام القران (١٦/ ٤٠).
٢- فتح الباري (١٣/ ٩٩).
٣- قاله في تحقيقه على كتاب السَّخاوي "القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة"، قسم الدراسة (ص٥٩).



الفَصْلُ الأَوَّلُ

الفِتَنُ فِي بِلَادِ الشَّامِ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: كَثرَةُ الفِتَنِ وَاشْتِدَادُهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ.

المبحث الثاني: اخْتِصَاصُ الشَّام بِالإِيْمَانِ عِنْدَ وُقُوعِ الفِتَنِ.

المبحث الثالث: الوَصِيَّةُ بِسُكْنَى الشَّام وَالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، لَا سِيَّمَا عِنْدَ وُقُوعِ الفِتَنِ.

المبحث الرابع: أَهْلُ الشَّام مِيزَانٌ لِصَلَاحِ الأُمَّةِ وَفَسَادِهَا عِنْدَ وُقُوعِ الفِتَنِ.





المَبْحَثُ الأَوَّلُ
كَثْرَةُ الفِتَنِ وَاشْتِدَادُهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ

أخبر النبي ﷺ في كثير من الأحاديث عن ظهور الفتن وانتشارها، وعموم البلاء بها لا سيما في آخر الزمان، وأنها من أشراط الساعة، وأنها لا تزال تظهر وتنتشر وتشتد حتى تقوم الساعة.

وفي هذا المبحث نعرض لبعض هذه النصوص التي يبين فيها النبي ﷺ ظهور الفتن، وعظيم وقعها، وشدة خطرها، أعاذنا الله منها.

- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ -وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ»[1].

والحديث فيه إشارة إلى ظهور الفتن وانتشارها، وتغلغلها في الأوساط الإسلامية كما بوب عليه الحافظ ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم[2].

قال ابن حجر مبيناً المراد بظهور الفتن: «المراد كثرتها وانتشارها وعدم التكاتم بها، والله المستعان»[3].

١- البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (ص٢٠٥)، رقم (١٠٣٦) واللفظ له، وكتاب العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة في اليد والرأس (ص٤٢)، رقم (٨٥) بنحوه، وكتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (ص١١٦٨)، رقم (٦٠٣٧) بنحوه، وكتاب الفتن، باب ظهور الفتنِ (ص١٣٥٠)، رقم (٧٠٦١) بنحوه، وكتاب الفتن، باب.... (ص١٣٥٩)، رقم (٧١٢١) مطولاً، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (ص ١٠٧١)، رقم (١٥٧) بنحوه، كلاهما من حديث أبي هريرة به.

٢- النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٤٣).

٣- فتح الباري (١٣/ ٢٣).

وهـذا الـذي أخبر به النبي ﷺ مـن قبض العلم ورفعه، وكثـرة الزلازل، وتقارب الزمان، وظهور الفتن، وكثرة الهرج؛ ظهرت أوائله في عهد الصحابة رضي الله عنهم، والساعة لا تقوم حتى ينتشر ويستحكم في البلاد كما سيأتي تقريره من كلام ابن حجر.

وقال ابن بطال: «وهذا كله إخبار من النبي ﷺ بأشراط الساعة، وقد رأينا هذه الأشراط عياناً وأدركناها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وأُلقيَ الشُّح، وعَمَّت الفتن، وكَثُرَ القتل»[1].

وعقَّب ابن حجر على كلام ابن بطال قائلاً: «الذي يظهر أن الـذي شاهده كـان منه الكثير مع وجود مقابله، والمراد من الحديث: اسـتحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصِّرف، ولا يمنـع مـن ذلـك وجـود طائفـة مـن أهـل العلـم، لأنهـم يكونـون حينئذ مغمورين... وكذا القول في باقي الصفات، والواقع أن الصفات المذكورة وُجدت مباديها من عهد الصحابة ثم صارت تكثـر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك، وقد مضى الوقت الذي قال فيه ابن بطال ما قال نحو ثلثمائة وخمسين سنة، والصفات المذكورة في ازدياد في جميع البلاد، لكن يقل بعضهـا في بعـض ويكثر بعضها في بعض، وكلما مضت طبقـة ظهر النقص الكثير في التي تليها...»[2].

وعقَّب صدِّيق حسن خان على قولهما بقوله: «قلت: وقد مضى من الوقت الذي قـال فيـه الحافظ ابن حجر ما قال نحو خمسمائة سـنة، والآفات المذكـورة والفتن المسطورة في زيادة وفُشُوٍّ في جميع أقطار الدنيا، حتى ملئت الآن جوراً وظلماً، ومن زمان النبوة نحو ألف وأربع وتسعين ومائتين إلى يومنا هذا...»[3].

قـال الباحـث: رحم الله ابـن بطال، وابـن حجر، وصديق حسـن خان، كيف لـو رأوا حالنا وزماننا والفتن تغطي الأمة كالظُلَـل، وتنزل عليها كالقَطْر، وتلفها

١- شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٣).
٢- فتح الباري (١٣/ ٢١).
٣- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ص١٢).

كقطع الليل المظلم نسأل الله العافية.

- عَـنْ أَبِـى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَـادِرُوا بِالأَعْـمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِى كَافِرًا، أَوَ يُمْسِى مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[١].

يصـور النبـي ﷺ في هـذا الحديـث شـدة الفتـن وظلمتهـا بأنهـا كقطـع الليل المظلم؛«لفرط سوادها وظلمتها، وعدم تبين الفساد والصلاح فيها»[٢]،«ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه مظلماً؛ لإفادة تمكن الوصف منه، كقولهم: ليل أليل، وظل ظليل، فالمراد من الليل: الشديد الإظلام باحتجاب نجومه، وتمكن ظلمته»[٣].

وقـال الإمام النووي:«معنى الحديث: الحث عـلى المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبـل تعذرهـا، والاشـتغال عنها بما يحدث من الفتن الشـاغلة المتكاثـرة، المتراكمة كتراكـم ظـلام الليل المظلـم لا المقمر، ووصـف ﷺ نوعاً من شـدائد تلك الفتن، وهو أنه (أي الرجل) يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسُهُ -شكَّ الراوي-، وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم»[٤].

وقـال ابن علَّان[٥]: «وفي الحديث إشـارة إلى تتابع الفتن المضلة أواخر الزمان،

١- إسناده: حَدَّثَنِى يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ (قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ)، قَالَ: أَخْبَرَنِى الْعَلاَءُ بن عبد الرحمن...

- مسـلم، كتـاب الإيمان، باب الحـث على المبادرة بالأعـمال قبل تظاهر الفتـن (ص ٧٢)، رقم (١١٨) واللفـظ لـه، والترمـذي، كتـاب الفتن عن رسـول الله ﷺ، باب ما جاء سـتكون فتـن كقطع الليل المظلم (ص ٤٩٧)، رقم (٢١٩٥) من غير شـك، وقال: حسـن صحيـح؛ أحمد (١٣/ ٤٠٠)، رقم (٨٠٣٠)، (١٤/ ٤٤١)، رقـم (٨٨٤٩) من غير شـك في الموضعين، ثلاثتهـم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه (عبد الرحمن بن يعقوب الجهني) به.

٢- تحفة الأحوذي (٦/ ٥٦) للمباركفوري.

٣- التحرير والتنوير (٦/ ١٤٩) لابن عاشور.

٤- شرح النووي على مسلم (٢/ ٣١٤).

٥- هـو: محمـد علي بن محمد علان بـن إبراهيم بن محمد بن عـلان الصِّدِّيقي الشـافعي، العالم المفسر، والإمام المحدِّث، ولد بمكة سـنة ٩٩٦هـ، ولـه: ضياء السـبيل إلي معالم التنزيل، رسـالة في ختم البخاري سـماها: الوجـه الصبيح في ختم الصحيح، توفي سـنة ١٠٥٧هـ. انظـر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٤/ ١٨٦) للمُحِبِّي، والأعلام (٦/ ٢٩٣).

وكلما انقضى منها فتنة أعقبها فتنة»[1].

وقال المباركفوري:«حاصل المعنى: تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين، فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها، والمراد من التشبيه: بيان حال الفتن من حيث أنه بشيع فظيع، ولا يعرف سببها، ولا طريق الخلاص منها»[2].

وإن المتأمل فيما ذكر النبي ﷺ في آخر الحديث يكاد قلبه ينخلع لهول ذلك المشهد، ولِعِظَم تلك الفتنة التي تصيب الناس حتى لكأن وجوههم ملفَّعة بأغشية من ليلها المظلم البهيم، إذ يصبح الرجل في الفتنة مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً،ينسلخ من دينه،ويبيعه بثمن رديء، ومتاع دنيء، وقليل من حطام الدنيا الزائل الحقير.

ولله درُّ الحسن البصري أبي سعيد حيث قال مصوراً حال هؤلاء الهلكى:«والله لقد رأيناهم صوراً ولا عقول، أجساماً ولا أحلام، فَرَاش نار[3]،وذِبَّانُ طمع[4]، يغدون بدرهمين، ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العَنز»[5].

وهذا لعمر الله حاصل واقع في هذا الزمان، أعاذنا الله من الفتن.

وللحسن البصري -أيضاً- كلمة في بيان جزء الحديث الأخير(يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا) تُلْقِي بظلالها على واقع الأمة المكلوم، ويظهر من خلالها أن الأمة غارقة في أوحال الفتن وظلماتها، قال:» يصبح الرجل محرماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويمسي مستحلاً له، ويمسي محرماً لدم أخيه وعرضه وماله، ويصبح

١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٥١).
٢- تحفة الأحوذي (٦/ ٥٦).
٣- أراد أنهم يتقحمون في النار ويتساقطون فيها كالفراش.
٤- ذِبَّان: جمع ذباب؛ كغراب وغربان. انظر: مختار الصحاح(ص١١١) لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي.
٥- ذكره الإمام أحمد في المسند (٣٠/ ٣٥٤)، عقب حديث النعمان بن بشير، رقم (١٨٤٠٤).

مستحلاً له»[1].

وقال ابن باز: «المعنى أن الغربة في الإسلام تشتد، حتى يصبح المؤمن مسلماً ثم يمسي كافراً، وبالعكس يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً»[2].

– عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ. قَالَ: هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ. قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ. إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ. فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ الْبَابُ؟ قَالَ: عُمَرُ[3].

١– الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم (ص٤٩٧)، رقم (٢١٩٨) قال: حدثنا صالح بن عبد الله، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام به.

– وصالح بن عبد الله: هو ابن ذكوان، الباهلي، ثقة. تقريب التهذيب (ص٤٤٦)

– وجعفر بن سليمان: هو الضُّبَعِي، ضعفه بعضهم لتشيُّعه وانتحاله الميل إلى أهل البيت، والأكثر على توثيقه، وثقه علي بن المديني، ويحيى بن معين، وابن شاهين، وابن حبان، وقال أحمد: لا بأس به، وهو وإن كان متشيعاً إلا أنه لم يكن داعية إلى بدعته كما ذكر ابن حبان في الثقات. انظر: الثقات (٦/ ١٤٠) لابن حبان، وتهذيب الكمال (٥/ ٤٣) للمزي، وتهذيب التهذيب (٢/ ٦١) لابن حجر.

– والذي يظهر أنه ثقة، وهشام: هو ابن حسان الأزدي، ثقة. تقريب التهذيب (ص١٠٢٠).

– فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.

٢– مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٥/ ١٠٨).

٣– البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص٦٨٦)، رقم (٣٥٨٦) واللفظ له، وكتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (ص١٢٠)، رقم (٥٢٥)، وكتاب الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة (ص٢٧٩)، رقم (١٤٣٥)، وكتاب الصوم، باب الصوم كفارة (ص٣٦٠)، رقم (١٨٩٥) مختصراً، وكتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (ص١٣٥٦)، رقم (٧٠٩٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز إلى المسجدين (ص٨٢)، رقم (١٤٤) مطولاً، وزاد فيه "تعرض الفتن على القلوب كالحصير.."، وكتاب الفتن، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر (ص١١٥٩)، رقم (١٤٤) بنحوه مع اختلاف يسير في الألفاظ، كلاهما من حديث حذيفة به.

والمتأمل في الحديث يرى أن الفتنة على ضربين[1]:

الأول: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، وهذا يلازم الإنسان ويعتريه في أي زمان ومكان.

الثاني: التي سأل عنها عمر رضي الله عنه، وهي التي تموج كموج البحر؛«أي تضطرب ويدفع بعضها بعضاً، وشبهها بموج البحر لشدة عظمها، وكثرة شيوعها»[2].

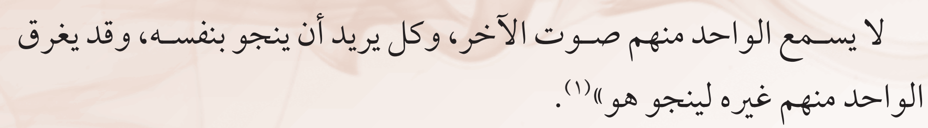
وفي هذه الفتنة العامة تشتد الخصومات والمنازعات، ويستحر القتل؛ لشدة الفتنة، وعظيم خطرها.

قال ابن حجر: قوله: «تموج كموج البحر» أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، كنَّى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة[3].

«وفي تشبيهه ﷺ الفتن بأنها تموج كموج البحر؛ إشارة واضحة إلى قوتها وشدتها، ثم إلى تتابعها، وإلى أنه لا يمكن لأحد الوقوف أمامها، لأنه لا يمكن لأحد أن يقف أمام موج البحر، وأن الناس أمام هذه الفتن ستضطرب حركتهم، ويختل توازنهم، وتضيق صدورهم، وينقطع نفسهم، وهذه حال من يصارع الموج.

وإذا علمنا أن أمواج البحر تتكاثر وتتعاظم مع شدة الريح وانتشار السحاب، فإن لنا أن نتصور جو الفتن بأنه جو مظلم، فالذي يشاهد موج البحر العاتي فتبدو أمامه زرقة البحر، مع ظلمة السحاب وكثرته، مع شدة هبوب الرياح وقوتها، فكذلك الذي يواجه هذه الفتن، تحيد به الظلمات والأعاصير، فهو مهموم مغموم ظاهراً وباطناً، وللموج صوت وأي صوت؟ ولهذه الفتن صوت، لا يسمع الواقف فيها صوت ما عداها، فهي كالصَّاخَّة، فيظل الواقف فيها حيرانَ خائفاً قلقاً، يتطلع إلى الأمان ولا يجده... والناس حين يواجهون أمواج البحر مجتمعين، في أي حالة من حالاته؛ فإنه يسمع لهم صراخ وعويل وتهارُش وتخاصم،

١- انظر: العراق في أحاديث الفتن (١/ ٤٥) لمشهور حسن سلمان.
٢- شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٤٩).
٣- فتح الباري (٦/ ٧٤٠).



لا يسـمع الواحد منهم صـوت الآخر، وكل يريد أن ينجو بنفسـه، وقد يغرق الواحد منهم غيره لينجو هو»[1].

والحديث فيه إشـارة ظاهرة إلـى أن عمر ﷺ قُفْلُ الفتنة[2]، وبـابها وسـدها المنيع،» والحائل بينها وبين الإسلام، فما دام حياً لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان والله أعلم»[3].

وقـال ابن كثير في النهاية معلقاً عـلى حديث حذيفة:» وهكذا وقع الأمر بعدما قتل عمر ﷺ في سنة ثلاث وعشرين، وقعت الفتن بين الناس، وكان قتله سبب انتشارها بينهم[4].

والظاهـر أن الصحابة ﷺ كانوا يعلمون هذه الفتنة، ولذلك لما أخبر حذيفة عمر ﷺ عن فتنة الأهل والمال والولد قال عمر ﷺ: ليسـت هذه ولكن التي تموج كموج البحر.

– عَـنْ كُـرْزِ بْـنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِـيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُـولَ اللهِ هَلْ لِلْإِسْـلَامِ مِـنْ مُنْتَهَـى؟ قَالَ: «أَيُّـمَا أَهْلِ بَيْتٍ». وَقَـالَ فِي مَوْضِعِ آخَـرَ: «نَعَمْ أَيُّـمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِـنْ الْعَـرَبِ أَوْ الْعَجَـمِ أَرَادَ اللهُ بِهِـمْ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الْإِسْـلَامَ». قَـالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَـالَ: «ثُـمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ». قَالَ: كَلَّا وَاللهِ إِنْ شَـاءَ اللهُ. قَـالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ثُمَّ تَعُـودُونَ فِيهَا أَسَـاوِدَ[5] صُبًّا[6] يَضْرِبُ بَعْضُكُـمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[7].

١- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة (ص١٠٧-١٠٨) لحسين بن محمد الحازمي.
٢- انظر: فتح الباري (٦/ ٧٤١) حيث أورد ابن حجر بعض الآثار عن الصحابة ترشد إلى ذلك.
٣- شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٥١).
٤- النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٠).
٥- أساود: جمع أسود، والأسود: أخبث الحيات، وأعظمها وهو من الصفة الغالبة، حتى استعمل استعمال الأسماء وجمعها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٥٢).
٦- الصُّبُّ: جمع صبوب، كرسول ورسُل، ثم خُفِّف كرسْل فأدغم. قال النضر: إن الأسْوَد إذا أراد أن ينهش ارتفع ثم انصب على الملدوغ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٥٠٦).
٧- أحمد (٢٥/ ٢٥٩)، رقم (١٥٩١٧) عن سفيان، و(٢٥/ ٢٦١)، رقم (١٥٩١٨) من طريق معمر، كلاهما عن الزهري عن عروة به.
- وسفيان: هو ابن عيينة، ثقة إمام فقيه، مدلِّس، تغير حفظه بأَخرة، أما تدليسه فمدفوع بأنه لا يدلس إلا عـن الثقـات، ثم هو من الطبقة الثانية الذين لا يضر تدليسـهم، إضافة إلى أنه من أثبت الناس في

النبـي ﷺ يصور الفتـن في هذا الحديث كأنها الظُّلَل، والظُّلل: السـحاب؛ جمع سـحابة، وشُـبِّهَت الفتن بالظُّلَّة لشدة سـوادها وكثرتها، وأنها تتبع بعضها بعضاً، فهي متراكمة كالظُّلَل، كما وأن فيه إشـارة إلى أنها تحيط بالناس من كل جانب.

وممـا يبـين عظيم هذه الفتـن أن الناس فيهـا يتصارعون ويقتـل بعضهم بعضاً كالأساود الصُّبُّ.

قـال الزهري: «أسـاود صبـاً: يعني الحية السـوداء إذا أراد أن ينهـش ارتفع ثم انصب»[١].

وقال سفيان: «هو الحية الأسود، تأخذ الشيء بأنيابها ثم تقوم قائمة، فتصب فيه من السم في نابها»[٢].

وقال أبو الخطاب بن دحية[٣]: «الأسـاود نوع من الحيات العظام، فيها سوداء، وهو أخبثها، والصُّبُّ منها التي تنهش ثم ترتفع ثم تنصبُّ. شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصُّبِّ من الحيَّات»[٤].

حديـث الزهـري كما نص عليه أبو حاتم، وقال ابن مهدي: كان ابن عيينة أعلم الناس بحديث أهل الحجاز. واختلاطه في آخر عمره لا يضر؛ لأن سائر شيوخ الأئمة الستة رووا عنه قبل اختلاطه، كما نصَّ عليه صاحب الكواكب النيِّرات وغيره. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٤٠٣)، وتقريب التهذيب (ص٣٩٥)، وطبقـات المدلسـين (ص٦٥)، والكواكـب النيِّرات (ص ٢٢٠) لابـن الكيال. ثم إن معمر تابعه في الرواية عن الزهري ، فهذا إسناد صحيح.

١- انظر: مسند الحميدي (١/ ٢٦١)، رقم (٥٧٤)، وشرح مشكل الآثار (١٥/ ٤٥٧)، رقم (٦١٥٤) للطحاوي، والأسماء والصفات (١/ ٣٨٤)، رقم (٣١٠) للبيهقي.

٢- الآحاد والمثاني (٤/ ٢٨٤)، رقم (٢٣٠٥) لابن أبي عاصم.

٣- هو: عمر بن حسـن بن علي بن محمد، المعروف بابن دحية الكلبي، أبو الخطاب ولد سـنة ٥٤٤هـ، أديب ومؤرخ، حافظ للحديث، ولي قضاء دانية، ورحل إلى مَرَّاكش والشـام، واسـتقر بمصر، وله: نهاية السول في خصائص الرسول وغيره. توفي بالقاهرة سنة ٦٣٣هـ.

- انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٨)، وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٨٩)، وشذرات الذهب (٥/ ١٦٠)، والأعلام (٥/ ٤٤).

٤- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٠٦٠) لأبي عبد الله القرطبي.



الْمَبْحَثُ الثَّانِيْ

اخْتِصَاصُ الشَّامِ بِالإِيْمَانِ عِنْدَ وُقُوعِ الفِتَنِ

ذكرنا في المبحث السابق كثرة الفتن، وتتابعها واشتدادها في آخر الزمان، وما يكون من حال الناس واضطرابهم فيها.

ولقد منَّ الله على الشام وأهلها عند وقوع الفتن بالأمن والإيمان، والسلامة والعافية، فهي آمَنُ بلاد الله حالة وقوع الفتن وإقبالها واقترابها؛ بل هي معقل الإيمان، وعمود الإسلام في ذلك الوقت، وهذا والله شرف لا أعظم منه، وفخر لا أتم منه، ولقد صحَّت الأحاديث عن النبي ﷺ في بيان ذلك وإيضاحه، وهذه بعضها مقرونة بكلام أهل العلم.

- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ؛ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلاَ وَإِنَّ الإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»[1].

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ قَدْ عُمِدَ

١- أحمد (٣٦/ ٦٢)، رقم (٢١٧٣٣) عن إسحاق بن عيسى، واللفظ له، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٢٩٠) ليعقوب بن سفيان الفسوي، ومسند الشاميين (٢/ ٢٠٧)، رقم (١١٩٨) من طريق هشام بن عمار للطبراني، ثلاثتهم عن يحيى بن حمزة، عن زيد بن واقد، عن بسر بن عبيد الله، عن أبي إدريس الخولاني به، وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، وصححه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٤٤٧)، رقم (٢٧٧٤)، وابن حجر في الفتح (١٢/ ٥٠٣) وقال بعد ذكر شواهد الحديث: وأقربها إلى شرط البخاري حديث أبي الدرداء، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٩)، رقم (٣٠٩٤)، وقال ابن عبد الهادي في فضائل الشام (ص٢٥): إسناده على رسم البخاري.

بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتْ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»[1].

لِيَهْنِ أهلَ الشام هذه البشائرُ من النبي ﷺ، فإن الناس حين تموج بهم الفتن، وتضطرب اضطراب البحر يكون أهل الشام في منأى عنها، ومأمن وسلامة منها.

قال العز بن عبد السلام معقباً على حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «أخبر النبي ﷺ أن عمود الإسلام؛ الذي هو الإيمان، يكون عند وقوع الفتن بالشام؛ بمعنى:

أن الفتن إذا وقعت في الدين؛ كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان. وأي مدح أتم من ذلك».

والمعنى بعمود الإسلام: ما تعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء، واختلاف الآراء.

وقد قال عبد الله بن شوذب[2]: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل[3]: "أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها[4].

١- الطبراني في "مسند الشاميين" (١/ ١٧٩)، رقم (٣٠٨)، و (١/ ١٨٠)، رقم (٣٠٩) واللفظ له، و(١/ ١٨١)، رقم (٣١٠)، و الحاكم في "المستدرك" (٨/ ٣٠٤٧)، رقم (٨٥٥٤) قال: حدثنا محمد بن النصر الأزدي، حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن عبد العزيز، حدثنا بن حلبس به.
- أبو إسحاق: هو الفزاري، إبراهيم بن محمد بن الحارث.
- وابن حَلبس: هو يونس بن ميسرة. وهذا إسناد صحيح، رواته كلهم شاميون ثقات.
- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووهمه الشيخ الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص١٢)، وقال: " إنما هو صحيح فقط؛ لأن في السند يونس بن ميسرة ابن حَلبس، ولم يخرج له الشيخان شيئاً، وهو ثقة ".

٢- هو: عبد الله بن شوذب الخراساني البلخي، أبو عبد الرحمن، سكن البصرة، ثم انتقل إلى الشام وسكن بيت المقدس، صدوق عابد، مات سنة ١٥٦هـ أو ١٥٧هـ. انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ١٦٤)، وتقريب التهذيب (ص٥١٥).

٣- هو: كثير بن زياد البُرساني الأزدي العتكي البصري، أبو سهل، نزل بلخ، ثقة عابد، روى عن: الحسن وأبي العالية، وروى عنه: حماد بن زيد، وعبد الله بن شوذب. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٧٠)، وتقريب التهذيب (ص٨٠٧).

٤- انظرها في: تاريخ دمشق (١/ ١١٣).

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء وغير ذلك من أنواع البلاء، إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها"[1].

وذهب ابن رجب إلى أن المراد بالعمود هنا: الملك، وقال: "فإن الكتاب إنما يقام به ملك يؤيده، ويقاتل به من خرج عنه، كما جمع الله بين الأمرين في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2][3].

وجمع ابن حجر بين ما ذكره العز بن عبد السلام وابن رجب فقال ناقلاً عن علماء التعبير: "من رأى في منامه عموداً فانه يعبَّر بالدين، أو برجل يعتمد عليه فيه، وفسروا العمود بالدين والسلطان"[4].

فتحصَّل من مجموع كلام الأئمة أن العمود يأتي بمعنى: الدين، والملك، أو برجل يعتمد عليه في نصرة الدين.

ومن تأمل جيداً رأى أن الثلاثة حاصلة لبلاد الشام بحمد الله؛ أما الدين فإن الأحاديث -ومنها هذا الحديث- ناطقة بذلك، شاهدة به، وأما الملك فإن الأحاديث تشير إلى أن دولة الإسلام، وسلطان المسلمين، يكون في آخر الزمان في

١- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٣١).

٢- سورة الحديد، آية (٢٥).

٣- فضائل الشام (ص١٧١-١٧٢). ولشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٦) كلام قريب من هذا نذكره للفائدة، قال: "ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد؛ كتاب يهدى به، وحديد ينصره، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين".

٤- فتح الباري (١٢/ ٥٠٣).

بلاد الشام، كما سيأتي تقريره في المباحث القادمة، وسيرد معنا بعد قليل من كلام شيخ الإسلام، وابن رجب، وأما كون أهل الشام يعتمد عليهم في نصرة الدين، فقد سبق من كلام العز بن عبد السلام، والواقع خير شاهد على ذلك ودليل، فإن بلاد الشام ما زالت ولا تزال سداً منيعاً، وحصناً حصيناً في وجه أعداء الله سبحانه وتعالى، فعَلَى ثراها دُكَّت معاقل التتار، وسُحقت جيوش الصليبيين، وسار جند الشام -خير الأجناد- يفتحون البلاد شرقاً وغرباً، ويخوضون الحروب والمعارك في كل مكان، وهم اليوم يمثلون جبهة رئيسة في مواجهة إخوان القردة والخنازير والنصيرية والروافض، ومجاهدتهم حتى يأتي أمر الله، وينطق الحجر والشجر، ويدحر اليهود والروم، وتقوم دولة الإسلام، كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ.

ولقد رسخ في قلوب الصحابة ومن بعدهم ما أشار إليه النبي ﷺ من أن الشام معقل الإيمان وعمود الإسلام عند وقوع الفتن والملاحم، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: "ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام"[1]، وكلامه رضي الله عنه له حكم المرفوع[2]؛ لأن هذا مما لا يقال بالاجتهاد.

وهذا عبد الله بن حَوَالة رضي الله عنه يقول: "فَخُرتم يا أهل الشام أن الله قذف بالفتن عن أيمانكم وعن شمائلكم، والذي نفس ابن حوالة بيده ليقذفنكم الله بفتنة يُخْرِجُ منها زُيَّافَكُم"[3].

وفيه: أن الله يجنب بلاد الشام الفتن، وإن وقعت فيها فإنما يراد بها التمحيص

١- عبد الرزاق في "المصنف" (١١/ ٣٧٣)، رقم (٢٠٧٧٨) عن معمر، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ٢١٧)، رقم (١٩٤٤٥)، وتاريخ دمشق (١/ ٣١٥) كلاهما من طريق سفيان؛ كلاهما عن الأعمش عن خيثمة بن عبدالرحمن به، وإسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، ومعمر: هو ابن راشد، تكلم ابن معين في روايته عن العراقيين والكوفيين والبصريين، وقال: لم يعمل في حديث الأعمش شيئاً. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨٤).
٢- انظر: ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام (ص٣٧).
٣- أسنده عنه: ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١١٣).

والتصفية مما علق بأهلها من الدَّخَل.

وقال كعب الأحبار: "لن تزال الفتنة مراماً بها ما لم تبد من قِبَل الشام"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً ما اختص النبي ﷺ به أهل الشام من العلم والإيمان والقيام بأمر الله إلى آخر الدهر: "والنبي ﷺ ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير الشام من أرض الإسلام؛ فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها العلم والإيمان والنصر والجهاد، وكذلك اليمن والعراق والمشرق،

وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يقاتل عليه منصوراً مؤيداً في كل وقت"[2].

وكلام شيخ الإسلام ظاهر في أن الإيمان في الشام دائم مستقر إلى آخر الدهر، وأن هذا ليس لغيرها من البلاد والمواضع.

وقال شيخ الإسلام -أيضاً-: "فمكة مبدأ وإيليا معاد في الخلق، وكذلك في الأمر؛ فإنه أُسري بالرسول من مكة إلى إيليا، ومبعثه ومخرج دينه من مكة،

وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام، فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية"[3].

وزاد ابن رجب هذا بياناً وإيضاحاً؛ فقال وهو يتحدث عن مولد النبي ﷺ: "وأما إضاءة قصور بُصْرَى بالنور الذي خرج معه؛ فهو إشارة إلى ما خُصَّ به الشام من نور نبوته بأنها دار ملكه... فمن مكة بدئت نبوة محمد ﷺ وإلى الشام ينتهي ملكه؛ ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر إبراهيم عليه السلام من قبله إلى الشام.

١- المصدر السابق (١/ ١١٣).
٢- مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧٤).
٣- المصدر السابق (٢٧/ ٥٠٧).

قال بعض السلف: ما بعث الله نبياً إلا من الشام فإن لم يبعثه منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام"[1].

وذكر بعض أهل العلم أن الفتن المشار إليها في الحديث هي التي تكون عند خروج الدجال في آخر الزمان.

قال الطبراني بعد إيراده حديث أبي الدرداء السابق في أول المبحث: "يعني: فتن الملاحم"[2].

وقال القرطبي في التذكرة بعد ذكر حديث أبي الدرداء: "ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال"[3].

والأولى حمل الحديث على العموم، والواقع يشهد لحديث النبي ﷺ؛ فإن الفتن حين أطلت برأسها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم؛ تلوث بها أهل العراق، وأهل مصر، وغيرهم، وبقي أهل الشام ثابتين على الإيمان، عاملين بموجبه، في مأمن وسلامة منها، ولا شك أن وصف الشام بالإيمان، واختصاصها به في آخر الزمان يكون أظهر منه في سائر الأوقات، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الوصف لها دائماً مستقراً، كما سبق بيانه من كلام شيخ الإسلام.

١- لطائف المعارف (ص١٢٦).
٢- مسند الشاميين (٢/ ٢٠٨).
٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١١٧٦).



المبحث الثالث

الوصية بسكنى الشام والهجرة إليها لاسيما عند وقوع الفتن

تبين لنا مما سبق أن بلاد الشام قد اختصها الله ورسوله بالعلم والإيمان في آخر الزمان، وعند وقوع الفتن، وهذا من أعظم الدواعي التي من أجلها حث النبي ﷺ على سكناها، والهجرة إليها، وبيَّن للصحابة رضي الله عنهم فضلها، وفضل أهلها واجتباءهم واصطفاءهم من الله تبارك وتعالى، وهذه بعض النصوص التي صحت عن النبي ﷺ في ذلك، مع التعليق عليها، ونقل أقوال أهل العلم فيها:

١ – عَن عبد الله بْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَيَصِيرُ الأَمْرُ[١] إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا[٢] مُجَنَّدَةً[٣]: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ». قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيَرَةُ الله[٤] مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيَرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ[٥]، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ[٦]،

---

١ – المراد: أمر الإسلام، أو أمر القتال. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤١).

٢ – جمع جند، والجند: العسكر، والمدينة، وجمعها: أجناد، وجنود. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٦٩)، ولسان العرب (٢/ ٢٢٥-٢٢٦).

٣- مجندة: أي متفرقة، وقيل: مجتمعة، وهو الراجح؛ ذهب إليه ابن الأثير، وتبعه ابن منظور. والمراد: ستصيرون فرقاً ثلاثة؛ فرقة بالشام، وفرقة باليمن، وفرقة بالعراق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٦٩)، ولسان العرب (٢/ ٢٢٥-٢٢٦)، وعون المعبود (٥/ ١٠) لشمس الحق آبادي.

٤ – خيَرة: بكسر الخاء، وفتح الياء، وقد تسكَّن، وقال ابن منظور: الفتح أعرف، ونقله عن بعض أئمة اللغَة، ومعناه: أنها مختارة الله من أرضه؛ أي من بلاده. انظر: لسان العرب (٣/ ٢٦٣).

٥ – أضاف إليهم اليمن؛ لأنه خاطب به العرب، واليمن من أرض العرب. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٢).

٦ – بضم الغين والدال، جمع غدير؛ والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل؛ أي: يتركها، وسمي بذلك لأنه يخون ورَّاده فينضب عليهم، ويغدر بأهله؛ فينقطع عند الحاجة إليه. انظر: لسان العرب (٦/ ٥٧٧).

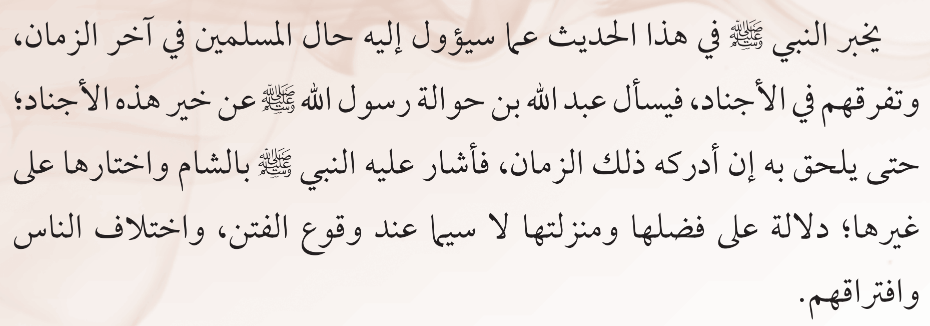
فَإِنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[1].

وكان عبد الله بن حوالة يقول عند روايته هذا الحديث: "من تكفل الله به فلا ضيعة عليه"[2].

- وقال الطيبي: " هو حفرة يُنقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتخاذاً لها؛ ولذلك أضيف إليهم ".
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٩٦٢).
- وقوله: " فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم " هذا كلام معترض؛ أدخله بين قوله: " عليكم بالشام "، وبين قوله: " واسقوا من غدركم "؛ أي الزموا الشام، واسقوا من غدركم، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهلها؛ رخص لهم في النزول بأرض اليمن ثم عاد إلى ما بُدئ منه. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤١-٤٠٤٢).
- ومعنى قوله: " واسقوا من غدركم " ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به، والأجناد المجندة بالشام؛ لا سيما أهل الثغور والنازلين في المروج من شأنهم أن يتخذ (هكذا بالتذكير) كل فرقة لنفسها غديراً تستنقع فيها الماء للشرب، والتطهر، وسقي الدواب، فوصاهم بالسقي مما يختص بهم، وترك المزاحمة فيما سواه، والتغلب؛ لئلا يكون سبباً للاختلاف، وتهييج الفتنة.
- نقله في مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٢) عن التوربشتي شارح المصابيح.
- وقال الطيبي: كان قوله: " فأما إن أبيتم " وارِدَ على التأنيب، والتغيير؛ يعني: أن الشام مختارة الله تعالى من أرضه، فلا يختارها إلا لخيرة الله من عباده، فإن أبيتم أيتها العرب ما اختاره الله تعالى، واخترتم بلادكم، ومسقط رأسكم من البوادي، فالزموا يمنكم، واسقوا من غدرها، لأنه أوفق لكم من مياه البوادي. شرح الطيبي على المشكاة (١٢/ ٣٩٦٢).
- وكلا القولين حسن، ويرى الباحث أن قول التوربشتي أظهر، وأليق بالسياق.

١- إسناده: حدثنا حَيْوَة بن شريح الحضرمي، حدثنَا بقية...
- أبو داود، كتاب الجهاد، باب سكنى الشام (ص٣٧٦)، رقم (٢٤٨٣) واللفظ له، وأحمد= (٢٨/ ٢١٥-٢١٦)، رقم (١٧٠٠٥) من طريق بقية، قال: حدثني بُحَيْر، عن خالد بن معدان، عن ابن أبي قُتَيلة به، وإسنادهٍ صحيح.
- بقية: هو ابن الوليد؛ يدلس ويسوي، كما نص عليه العلائي في جامع التحصيل (ص١٥٠)، وابن العراقي في المدلسين (ص٢٨)، وذكره ابن حجر في المرتبة الرابعة في طبقات المدلسين (ص٧٦)، ولا يضر تدليسه؛ لأنه صرَّح بالسماع عند أبي داود وأحمد.
- وخالد بن مَعْدَان: يرسل كثيراً، وصح سماعه من ابن أبي قتيلة. انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٦٩).
- وابن أبي قتيلة: هو مَرْثَدْ بن وداعة، أبو قتيلة، مختلف في صحبته، والراجح أنه صحابي؛ ذهب إليه البخاري، وأبو نعيم، والطبراني، وابن مندة، وابن عبد البر، وغيرهم. انظر: الاستيعاب (٢/ ٢٢٣)، رقم (٢٣٧٧)، وأسد الغابة (٤/ ٣٤٦)، رقم (٤٨٢٦)، والإصابة (٦/ ٥٦)، رقم (٧٨٩٦).
- وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.
- قال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص١٠-١١): " حديث صحيح جداً؛ فإن له أربعة طرق... "، ثم ذكر طريق ابن أبي قتيلة الذي معنا، وقال: إسناده صحيح.

٢- تاريخ دمشق (١/ ٥٧)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٩) من غير إسناد، ونَسبَ هذا القول لأبي إدريس الخولاني أحد رواة الحديث. انظر: تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص١٣)، وتاريخ دمشق (١/ ٦١)، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام (ص٢٨) من غير إسناد، ونقله العز بن



يخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عما سيؤول إليه حال المسلمين في آخر الزمان، وتفرقهم في الأجناد، فيسأل عبد الله بن حوالة رسول الله ﷺ عن خير هذه الأجناد؛ حتى يلحق به إن أدركه ذلك الزمان، فأشار عليه النبي ﷺ بالشام واختارها على غيرها؛ دلالة على فضلها ومنزلتها لا سيما عند وقوع الفتن، واختلاف الناس وافتراقهم.

قال ابن عبد السلام معقباً على هذا الحديث: "وأخبر ﷺ أن الشام في كفالة الله تعالى، وأن ساكنيه في كفالته، وكفالته: حفظه وحِياطتُه، ومن حاطه الله وحفظه فلا ضيعة عليه"[1].

وقال شيخ الإسلام بعد إيراده هذا الحديث: "في هذا الحديث مناقِبُ المُهاجِرة"[2].

يقصد بذلك: الذين يهاجرون إلى بلاد الشام في آخر الزمان.

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ تأكيد النبي ﷺ على الهجرة إلى الشام، والسكنى فيها؛ وذلك أنه ﷺ أشار على ابن حوالة في صدر الحديث بالشام، وأعرض عن غيره، ثم زاد تأكيده بقوله: "فإن الله توكل لي بالشام وأهله".

وقوله: "تكفل لي بالشام وأهله" قيل في معناه: أي تكفل لأجلي، وإكراماً لي في أمتي[3].

وقيل: تكفل لي: أي ضمن القيام بالشام، وحفظ أهله من بأس الكفرة واستيلائهم؛ بحيث يتخطفهم، ويدمرهم بالكلية[4]، وهو الأظهر.

ومن تأمل أحداث التاريخ؛ كان على يقين تام بكلام النبي ﷺ؛ وذلك أن بلاد

عبد السلام في ترغيب أهل الإسلام (ص٢٧) عن سعيد بن عبد العزيز، ولا يمنع أن يكون الثلاثة قالوا ذلك، فأبو إدريس سمعه من عبد الله بن حوالة، وسعيد بن عبد العزيز سمعه من أبي إدريس.

١- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٢٨).
٢- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٩).
٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤١).
٤- المصدر السابق (٩/ ٤٠٤١).

الشام حفظها الله تعالى على الدوام، وردَّ عنها كيد المعتدين الظالمين على مدار القرون، وما أخبار التتار والصليبيين عنا ببعيد، وإنَّا على ثقة ويقين بموعود الله ورسوله في نصرة الطائفة المنصورة المقاتلة ببلاد الشام، ودحر إخوان القردة والخنازير، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وفي الحديث إشارة إلى أن العراق مصدر الفتن، ومبدأ الزلازل؛ لسكوت النبي ﷺ عنها، وعدم الإشارة إلى سكناها ابتداءً، ولا عند الامتناع عن سكنى الشام[1].

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ [2] بَعْدَ هِجْرَةٍ[3] فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ[4]، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللهِ وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»[5].

١- انظر: أكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان (ص١٢٥).

٢- أي: هجرة إلى الشام.

٣- أي: بعد هجرة إلى المدينة. قال القاري: "قال الشارحون كان من حق الثانية أن يؤتى بها لام العهد؛ لأن المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح، وإنما أتي بها منكرة لتساوق الأولى في الصيغة مع إضمار في الكلام، أي بعد هجرة حقت ووجبت، وإنما حسن الحذف اعتماداً على معرفة السامعين، والمعنى: ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة". مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٠)، وانظر: حاشية السندي على مسند أحمد (٩/ ٣٩٧).

٤- المُهَاجَر بفتح الجيم: موضع المُهَاجَرَة؛ ويريد به الشام؛ لأن إبراهيم عليه السلام لما خرج من أرض العراق مضى إلى الشام وأقام به. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٠٠٠).

٥- إسناده: حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا معاذ بن هشام،حدثني أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشب...

- أبو داود، كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام (ص٣٧٦)، رقم (٢٤٨٢) واللفظ له، وأحمد (١١/ ٤٥٥-٤٥٦)، رقم (٦٨٧١) مطولاً وفيه قصة، (١١/ ٥٤١-٥٤٢)، رقم (٦٩٥٢) بنحو سابقه، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٣٠٢٢)، رقم (٨٤٩٧) وفيه قصة، كلهم من طريق شهر بن حوشب به.
- عبيد الله بن عمر: هو ابن ميسرة القواريري، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٦٤٣).
- ومعاذ بن هشام: بن أبي عبد الله، الدستوائي، احتج به البخاري ومسلم، وثقه ابن قانع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: ربما يغلط في الشيء بعد الشيء، وأرجو أنه صدوق.
- وقال ابن حجر: صدوق ربما وهم.
- واختلف فيه القول عن ابن معين، فمرة قال: ثقة، ومرة قال: صدوق، وليس بحجة، ومرة قال: ليس بذاك القوي.

- وقال صاحبا التحرير: بل صدوق حسن الحديث، قال الباحث: وهو كما قالا، والله تعالى أعلم.
- انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٤٩)، والثقات (٩/ ١٦٧)، والكاشف (٢/ ٢٧٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٠).
- وقتادة: هو ابن دِعَامة السدوسي، ثقة يدلِّس، من الثالثة. انظر : طبقات المدلسين (ص٦٧) .
- وشهر بن حوشَب: مختلف في توثيقه، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: وثقة يحيى بن معين، وأحمد، والعجلي، ويعقوب بن سفيان.
- وقال البخاري: " شهر حسن الحديث، وقوي أمره ".
- وقال أبو زرعة: " لا بأس به ".
- وقال يعقوب بن شيبة: " ثقة؛ على أن بعضهم طعن فيه ".
- وطعن فيه شعبة، وتركه ولم يعتد به، وتركه يحيى بن سعيد القطان، ولم يحدث عنه.
- وقال الجوزَجاني: "حديثه لا يشبه حديث الناس".
- وقال أبو حاتم: " شهر أحب إلي من أبي هارون، وبشر بن حرب، ولا يحتج به ".
- وقال صالح بن محمد (جزرة): " روى أحاديث ينفرد بها لم يشاركه فيها أحد، وروى عنه عبد الحميد ابن بهْرَام أحاديث طِوالاً عجائب، ويروي عن النبي ﷺ أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره".
- وقالَ موسى بن هارون: "ضعيف".
- وقال النسائي: "ليس بالقوي".
- وقال الساجي: " فيه ضعف وليس بالحافظ ".

وذكره ابن حبان في المجروحين، وقال: " كان ممن يروى عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات ".
- وقال ابن عدي: " ضعيف جداً ".
- وقال: " عامة ما يرويه شهر من الحديث فيه من الإنكار ما فيه، وشهر ليس بالقوي في الحديث، وهو ممن لا يحتج بحديثه ".
- وقال الحاكم أبو أحمد: "ليس بالقوي عندهم".
- وقال ابن حزم: " ساقط "، وقال ابن حجر: "صدوق كثير الأوهام والإرسال".
- انظر: تاريخ ابن معين، برواية الدوري (٢/ ٢٦٠)، وأحوال الرجال (ص٩٦) للجُوزَجاني، وتاريخ الثقات (ص٢٢٣) للعجلي، والمعرفة والتاريخ (٢/ ٩٧-٩٨)، والضعفاء والمتروكون (ص١٩٤)، والجرح والتعديل (٤/ ٣٤٧)، والمجروحين (١/ ٣٦١) لابن حبان، والكامل في ضعفاء الرجال (٥/ ٥٧-٦٤)، وتاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم (ص١٦٤) لابن شاهين، وتهذيب الكمال (١٢/ ٥٧٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٦٥٦).
- والذي يظهر أن القول بتوثيقه على الإطلاق ليس بمعتمد؛ كيف وفيه جرح مبيَّن مفسَّر من أئمة كبار، وأتي شهر من جهة أنه يأتي بالمناكير؛ ولذلك فهو ضعيف يُعتبر بحديثه، فإن وافقه الثقات احتُج بحديثه، وإلا فلا.
- فهذا إسناد ضعيف؛ لضعف شهر، وتدليس قتادة.
- والحديث أخرجه الحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٦)، رقم (٨٥٥٨) من طريق أحمد بن محمد بن سلمة العنزي، عن عثمان بن سعيد الدارمي، عن عبد الله بن صالح، عن موسى بن عُلَي ابن رباح، عن أبيه، عن أبي هريرة به مطولاً، وفيه: " إنها ستكون هجرة بعد هجرة... الحديث ".
- وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

يشير النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أن الناس ستحدث لهم مفارقة لأوطانهم، وهجرة منها إلى غيرها، فخيار الناس من يهاجر، أو يرغب إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام، وهو الشام[1].

قال العز بن عبد السلام: "وهذه شهادة من رسول الله ﷺ باختيار الشام،

- وأحمد بن محمد بن سلمة العَنَزي: قال الذهبي: "أحمد بن محمد بن عبدوس بن سلمة، أبو الحسن العَنَزي الطرائفي النيسابوري... وكان فيما قال الحاكم: صدوقاً". تاريخ الإسلام (٢٥/ ٣٤٥).
- تنبيه: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٦١٣): "لم أجد له ترجمة، لكن يظهر من= تصحيح الحاكم لحديثه هذا أنه ثقة عنده".
- وعثمان بن سعيد الدارمي: إمام حافظ حجة. تذكرة الحفاظ (٢/ ١٤٦).
- وعبد الله بن صالح: بن محمد الجُهَني، أبو صالح، كاتب الليث، مختلف في توثيقه، وهذه أقوال أئمة الجرح والتعديل: وثقه يحيى بن معين، وعبد الملك بن شعيب، وأبو زرعة، وابن القطان، وروى له البخاري في صحيحه عدة أحاديث.
- وضعفه ابن المديني، وأحمد بن صالح المصري، وصالح بن محمد (جزرة)، والنسائي، وقال أحمد: "كان في أول أمره متماسكاً، ثم فسد بآخرة".
- وقال أبو حاتم: "الأحاديث التي أخرجها أبو صالح في آخر عمره فأنكروها عليه، أرى أن هذا مما افتعل خالد بن نجيح، وكان أبو صالح يصحبه. وكان أبو صالح سليم الناحية، وكان خالد بن نجيح يفتعل الكذب، ويضعه في كتب الناس ولم يكن وزن أبي صالح وزن الكذب، وكان رجلاً صالحاً".
- وذكره ابن حبان في المجروحين وأورد نحو كلام أبي حاتم.
- وقال ابن عدي: "هو عندي مستقيم الحديث، إلا أنه يقع حديث في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب".
- انظر: الجرح والتعديل (٥/ ٣٩٨)، والمجروحين (١/ ٤٠)، والكامل في الضعفاء (٥/ ٣٤٩)، وتهذيب الكمال (١٥/ ٩٨-١٠٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٨-٣٤٢).
- ولابن حجر خلاصة مهمة أوردها في مقدمة الفتح بعد ذكر أقوال الأئمة فيه، قال: "ظاهر كلام هؤلاء الأئمة أن حديثه في الأول كان مستقيماً، ثم طرأ عليه فيه تخليط، فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق كيحيى بن معين، والبخاري، وأبي زرعة، وأبي حاتم فهو من صحيح حديثه، وما يجيء من رواية الشيوخ عنه فيتوقف فيه". هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٥٨٧).
- والراوي عنه في سندنا هذا: الدارمي، وهو من هو في الحفظ والإتقان.
- موسى بن عُلَيّ: وثقه ابن سعد، ويحيى بن معين، والعجلي، وأبو حاتم، والنسائي، وغيرهم. انظر: تهذيب الكمال (٢٩/ ١٢٢-١٢٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤١٧).
- وعُلَيّ بن رباح: وثقه ابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن سفيان، والنسائي، وابن حبان، وغيرهم انظر: تهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢٦-٤٣٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٦٨٢-٦٨٣). فهذا إسناد يصلح للاعتبار، والحديث حسنٌ بمجموع الطريقين.

١ - انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٩٦٠).

وبفضلها، وباصطفائه ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا ذلك بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أخبر النبي ﷺ أن خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام... وقد جُعِل مهاجر إبراهيم عليه السلام تعدل مهاجر نبينا ﷺ فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة"[٢].

وقال ابن رجب بعد إيراده هذا الحديث: "فهذا كله يدل على أن خيار الناس في آخر الزمان مهاجرون إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام (وهي الشام) طوعاً فيجتمعون فيها، وأما شرار الناس فيحشرون كَرهاً، تحشرهم النار من بلادهم إلى الشام"[٣].

والظاهر أن هذا يقع " حين تكثر الفتن، ويقل القائمون بأمر الله في البلاد، ويستولي الكفرة الطُّغام[٤] على بلاد الإسلام، ويبقى الشام تسومها العساكر الإسلامية منصورة على من ناوأهم، ظاهرين على الحق حتى يقاتلون الدجال، فالمهاجر إليها حينئذ فار بدينه، ملتجئ إليها لإصلاح آخرته، يُكَثِّرُ سواد عباد الله الصالحين القائمين بأمر الله تعالى"[٥].

وهذا إنما يقع في آخر الزمان؛ ولهذا بوَّب ابن رجب على هذا الحديث: "باب فيما ورد في استقرار خيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام، وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلاد المسلمين"[٦].

١- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٣٣).
٢- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٩) بتصرف يسير.
٣- فضائل الشام (ص٢٢٥).
٤-الطغام والطغامة: أرذال الطير والسباع، الواحدة طغامة للذكر والأنثى مثل نعامة ونعام، ولا ينطق منه بفعل ولا يعرف له اشتقاق، وهما أيضا أرذال الناس وأوغادهم. لسان العرب(١٢/ ٣٦٨).
٥- نقله القاري في مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٠) عن التوربشتي.
٦- فضائل الشام (ص١٧٧).

فالسعيد في ذلك الوقت من هاجر إلى ربه، مُكَثِّراً سواد القائمين بأمر الله تعالى، فهذا والله شرف عظيم، ومنزلة عالية سامية تُقطَع دونها الأعناق، ويا ويح من اثّاقلوا إلى الأرض، وتخلفوا عن المهاجرين رغبة في الدنيا، ورهبة عن القتال، وحرصاً على ما كان لهم فيها من ضياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا. فهم لِخِسَّةِ نفوسهم وضعف دينهم، كالشيء المسترذل المستقذر عند النفوس الزكية، وكأن الأرض تستنكف عنهم فتقذفهم، والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظانّ رحمته، ومحل كرامته، إبعادَ من يستقذر الشيء، وينفر عنه طبعه؛ فلذلك منعهم من الخروج، وثبطهم قعوداً مع أعداء الدين، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾[1]"[2].

ولذلك فإن أهل العلم لا زالوا يفخرون بالهجرة إلى الشام والانتقال إليها، والسكنى فيها، فهذا العز بن عبد السلام يقول في مقدمة كتابه "ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام": "وبعد حمد الله أن حبب إلينا الإيمان، وكرَّه إلينا الفسوق والعصيان: فإن الله جعلنا من أهل الشام الذي بارك فيه للعالمين.."[3].

وهذا شيخ الإسلام يقول معقباً على هذا الحديث: "وفي هذا الحديث بشرى لأصحابنا الذين هاجروا من حرَّان[4] وغيرها إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام، واتبعوا ملة إبراهيم، ودين نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم"[5].

وقال الألباني بعد إيراد هذا الحديث في السلسلة الصحيحة، ونقله قول شيخ الإسلام السابق: "وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بياناً للتاريخ، وشكراً لوالدي

١- سورة التوبة، آية (٤٦).
٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٠).
٣- (ص٢٣).
٤- مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، على مقربة من الرَّها، على طريق الموصل والشام والروم، وفتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنْم. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٧١-٢٧٢).
٥- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٩).

_ رحمه الله تعالى _: وكذلك في الحديث بشرى لنا: آل الوالد الذي هاجر بأهله من بلدة أشقودرة عاصمة ألبانيا يومئذ... فجنيتُ _ بفضل الله ورحمته _ بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره، ولو عشت عُمْر نوح عليه السلام"[1].

– عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أبيه رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ[2]، أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»[3].

– عن بَهْزٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «هَاهُنَا». وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ رِجَالًا وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ

---

١ – (٧/ ٦١٥).

٢– ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وتقع في جنوب الجزيرة العربية، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، ولها مدينتان؛ يقال لإحداهما: تريم، والأخرى: شِبام. معجم البلدان (٢/ ٣١١).

٣– إسناده: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا حسين بن محمد البغدادي،حدثنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير...

– الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبَل الحجاز (ص٥٠١)، رقم (٢٢١٧) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر، وأحمد (٨/ ١٣٤)، رقم (٤٥٣٦) بنحوه، و(٩/ ١٤٥)، رقم (٥١٤٦) بنحوه، و(٩/ ٢٧٦)، رقم (٥٣٧٦) بمثله، و(١٠/ ٣٠)، رقم (٥٧٣٨) بنحوه، و(١٠/ ٢٠٥-٢٠٦)، رقم (٦٠٠٢) بمثله على الجزم دون قوله " حضر موت " من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي قلابة، عن سالم به.

– شيبان: هو ابن عبد الرحمن، التميمي مولاهم، أبو معاوية البصري، ثقة. تقريب التهذيب (ص٤٤١).

– ويحيى بن أبي كثير: مدلِّس، ذكره ابن حجر في المرتبة الثانية في طبقات المدلسين (ص٥٧)؛ فتدليسه لا يضر، ثم إنه صرَّح بالسماع عند أحمد (٤٥٣٦)، (٥١٤٦)، (٦٠٠٢).

– وأبو قِلابة هو: عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري، كثير الإرسال، وثبت له سماع من مالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وغيرهما من الصحابة. انظر: جامع التحصيل (ص٢١١) للعلائي.

– وهو كذلك صرَّح بالتحديث عند أحمد، رقم (٥١٦٤).

– فهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

– قال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص٣٢) : حديث صحيح، وإسناده عند أحمد على شرط الشيخين، وكذلك قال الأرنؤوط في المواضع التي سبق العزو إليها في المسند.

عَلَى وُجُوهِكُمْ»[1].

---

١ – إسناده: حدثنا يزيد، أخبرنا بهز بن حكيم...

– الترمذي، كتاب الفتن عن رسـول الله ﷺ، باب ما جاء في الشـام (ص٤٩٦–٤٩٧)، رقم (٢١٩٢) دون قولـه " إنكم محشـورون... إلى آخـر الحديث " وقال: هذا حديث حسـن صحيح، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسـول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحشر (ص٥٤٦)، رقم (٢٤٢٤) دون قوله "أين تأمرني... الشام" وقال: هذا حديث حسن صحيح، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، بـاب من سـورة بني إسرائيـل (ص٧٠٥)، رقم (٣١٤٣) بمثل سـابقه، وقال: هذا حديث حسـن، وأحمـد (٣٣/ ٢١٣)، رقـم (٢٠٠١١) مطـولاً، وليـس فيه قـول " أين تأمرني... الشـام"، (٣٣/ ٢٢٥)، رقم (٢٠٠٢٢) مطولاً، (٣٣/ ٢٣٣)، رقم (٢٠٠٣١) واللفظ له؛ كلاهما من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

– ويزيد: هو ابن هارون، ثقة متقن عابد. تقريب التهذيب (ص١٠٨٤).

– وبهز بن حكيم: وثقه يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو داود، والترمذي، والنسـائي، والحاكم، واحتج به أحمد وإسحاق.

– وقال أبو زرعة: صالح الحديث، وقال ابن عدي: روى عنه ثقات الناس... وأرجو أنه لا بأس به في رواياتـه، ولم أر أحـداً تخلف في الرواية عنه مـن الثقات، ولم أر له حديثاً منكراً، وأرجو أنه إذا حدث عنه ثقة فلا بأس بحديثه.

– وقال أبو حاتم: شيخ، يكتب حديثه، ولا يحتج به.

– وقال الذهبي وابن حجر: صدوق.

– وضعف القول فيه شعبة، والشافعي، وأبو حاتم، وابن حبان.

– والقول قول من وثقه، فليس عند من ضعفه حجة.

– انظـر: الجرح والتعديـل (٢/ ٣٥٤)، والمجروحين (١/ ١٩٤)، والكامـل في الضعفاء (٢/ ٢٥٢)، وتهذيـب الكـمال (٤/ ٢٥٩–٢٦٥)، والكاشـف (١/ ٢٧٦)، وتهذيـب التهذيـب (١/ ٥٢٢)، وتقريب التهذيب (ص١٧٨).

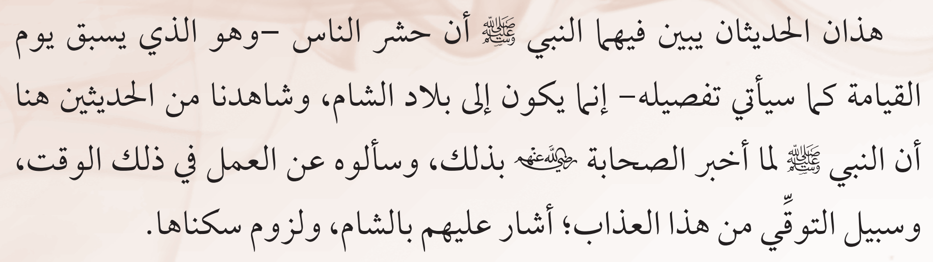
– وحكيم بن معاوية: وثقه العجلي، وابن حبان، وقال النسائي: لا بأس به، وقال ابن حجر: صدوق، ولم أر من تكلم فيه بضعف.

– انظـر: تاريخ الثقـات (ص١٨٢)، والثقـات (٤/ ١٦١)، وتهذيب التهذيـب (٢/ ٤١١)، وتقريب التهذيب (ص٢٦٧).

– وهذا السند (بهز بن حكيم عن أبيه عن جده) مختلف فيه، بين الصحة والحسن.

– قال علي بن المديني، وأحمد: حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: صحيح.

– وسئل يحيى بن معين عن: بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقال: إسناده صحيح.



هذان الحديثان يبين فيهما النبي ﷺ أن حشر الناس -وهو الذي يسبق يوم القيامة كما سيأتي تفصيله- إنما يكون إلى بلاد الشام، وشاهدنا من الحديثين هنا أن النبي ﷺ لما أخبر الصحابة رضي الله عنهم بذلك، وسألوه عن العمل في ذلك الوقت، وسبيل التوقِّي من هذا العذاب؛ أشار عليهم بالشام، ولزوم سكناها.

قال العز بن عبد السلام: "أشار النبي ﷺ عليهم بالشام عند خروج النار؛ لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذ من غيرها، والمستشار مؤتمن"[1].

قال علي القاري: "عليكم بالشام، أي: خذوا طريقها، والزموا فريقها، فإنها سالمة من وصول النار الحسية، أو الحكمية[2] إليها حينئذ؛ لحفظ ملائكة الرحمة إياها"[3].

وقال المُناوي[4]: "عليكم بالشام، أي: الزموا سكنى أرض الشام. قيل: مطلقاً لكونها أرض المحشر والمنشر، وقيل: المراد آخر الزمان؛ لأن جيوش المسلمين تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين، وغلبة الفساد"[5].

- عن زَائِدَةَ أَوْ مَزِيدَةَ بْنِ حَوَالَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِهِ

- وقال أبو جعفر السبتي: إسناد بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: صحيح.
- انظر: زاد المعاد (ص٢١) لابن القيم، وتهذيب الكمال (٢/ ٢٦١)، وتهذيب التهذيب (١/ ٥٢٣). فالحديث إسناده صحيح.
- قال الحاكم في المستدرك (٨/ ٣١٠٨): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- وقال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص٣٦): حديث صحيح.

١- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٢٨).
٢- يقصد: نار الفتنة.
٣- مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٤٠).
٤- هو: عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ولد عام ٩٥٢هـ، من كبار أهل العلم، كان متفنناً، وانزوى للبحث والتصنيف، له مصنفات كثيرة؛ منها: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح الشمائل، شرح ألفية العراقي، وغيرها. توفي سنة= ١٠٢٩هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٢٠٤).
٥- فيض القدير (٤/ ٤٤٣).

فَنزَلَ النَّاسُ مَنْزِلًا، وَنزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ[١]، فَرَآنِي وَأَنَا مُقْبِلٌ مِنْ حَاجَةٍ لِي، وَلَيْسَ غَيْرُهُ وَغَيْرُ كَاتِبِهِ، فَقَالَ: «أَنَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟» قُلْتُ: عَلَامَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «فَلَهَا عَنِّي»، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبِ، قَالَ: ثُمَّ دَنَوْتُ دُونَ ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: «أَنَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟» قُلْتُ: عَلَامَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «فَلَهَا عَنِّي»، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمَا، فَإِذَا فِي صَدْرِ الْكِتَابِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمَا لَنْ يُكْتَبَا إِلَّا فِي خَيْرٍ، فَقَالَ: «أَنَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي[٢] بَقَرٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: أَصْنَعُ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنَةٍ كَأَنَّ الْأُولَى فِيهَا نَفْجَةُ أَرْنَبٍ[٣]». قَالَ: فَلَا أَدْرِي كَيْفَ قَالَ فِي الْآخِرَةِ، وَلَأَنْ أَكُونَ عَلِمْتُ كَيْفَ قَالَ فِي الْآخِرَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا[٤].

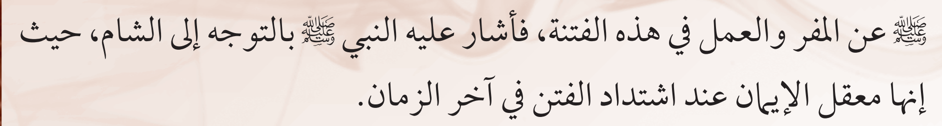
في هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن فتنة عظيمة مظلمة، يختلط فيها الناس اختلاط صياصي البقر، فيصعب الأمر فيها ويشتد، فيسأل ابن حوالة رسول الله

١- الدوحة: الشجرة العظيمة من أي شجر كان، وجمعها: دوح. انظر: أبو عبيد القاسم بن سلّام، غريب الحديث (٤/ ٢٦٤).

٢- أي: قرونها، واحدتها صيصية. شبه الفتنة بها لشدتها وصعوبة الأمر فيها، وقيل: شبه الرماح التي تشرع في الفتنة وما يشبهها من سائر السلاح: بقرون بقر مجتمعة، والأول أظهر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٥٣٢-٥٣٣).

٣- أي: وثبته من مجثمه، أراد بذلك الإشارة إلى تقليل مدة الأولى وتحقيرها بالنسبة للثانية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٩٢٩)، وحاشية السندي على المسند (٢٨/ ٢١٥).

٤- أحمد (٣٣/ ٤٦٤)، رقم (٢٠٣٥٤) قال: حدثنا يزيد، عن كَهْمس بن الحسن، عن عبدالله بن شقيق به، وهذا إسناد صحيح رواته كلهم ثقات.
- ورواه كذلك في المسند (٢٨/ ٢١٣-٢١٤)، رقم(١٧٠٠٣) قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن ابن حوالة بنحوه، مع اختلاف يسير في الألفاظ، وابن حوالة لم يُسَم في الحديث، والذي يظهر أن الإمام أحمد أراد به عبد الله بن حوالة؛ لإيراده الحديث ضمن أحاديث عبد الله، والصواب أن الحديث حديث زائدة، وليس حديث عبد الله، كما قال الحافظ ابن حجر: " وعبدالله بن حَوَالَة صحابي مشهور نزل الشام، وهو مشهور بالأزدي، وهو أشهر من زائدة راوي هذا الخبر، فلعل بعض رواته سماه عبد الله؛ ظناً منه أنه ابن حوالة المشهور، فسماه عبد الله والصواب زائدة أو مزيدة على الشك، وليس هو أخا عبد الله، لأن عبد الله أزدي، ويقال عامري حالف الأزد، وزائدة عنزي بمهملة ونون وزاي، ولم أر له ذكراً إلا في هذا الموضع من مسند أحمد". الإصابة (٢/ ٤٥٣)، وانظر: تعجيل المنفعة (ص١٦٥) لابن حجر.



ﷺ عن المفر والعمل في هذه الفتنة، فأشار عليه النبي ﷺ بالتوجه إلى الشام، حيث إنها معقل الإيمان عند اشتداد الفتن في آخر الزمان.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتواصون ببلاد الشام؛ بنزولها وسكناها عملاً بوصية رسول الله ﷺ، وذكرنا طرفاً من ذلك في التمهيد، ونذكره هنا مفصلاً؛ لقوة ارتباطه بهذا المبحث.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ مَوْلَاةً لَهُ أَتَتْهُ، فَقَالَتْ: اشْتَدَّ عَلَيَّ الزَّمَانُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاقِ. قَالَ: فَهَلَّا إِلَى الشَّامِ أَرْضِ الْمَنْشَرِ، اصْبِرِي لَكَاعِ[1]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَأْوَائِهَا[2] كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

ولـما كان أبو الدرداء رضي الله عنه قاضياً بالشـام كتب إلى سلمـان رضي الله عنه: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة، أرض الجهاد، فكتب إليه سلمان: "إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس المرء عمله"[4].

وكلمة سلمان رضي الله عنه كلمة حكيمة، سنعرض لها في خاتمة المبحث، ولكن الشاهد هنا دعوة أبي الدرداء سلمان رضي الله عنه للقدوم إلى بلاد الشام؛ لأنه استقر في

١- اللُّكع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، يقال للرجل: لُكَع، وللمرأة: لَكَاع. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٨٤٢).

٢- اللأواء: الشدة؛ إما في المعيشة؛ من جدب وقحط، أو حصار، وإما في الأبدان، من الأمراض والعلل أو الجراح. تهذيب الآثار (٢/ ٣٨٥) للطبري، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٨٢٣).

٣- إسناده: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عبيد الله بن عمر، عن نافع...

- مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة (ص٥٤٢)، رقم (ص١٣٧٧) بنحوه، وليس فيه: " وإني أريد... المنشر "، والترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المدينة (ص٨٧٩)، رقم (٣٩١٨) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عبيد الله، كلاهما من حديث ابن عمر، وإسناد الترمذي صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

٤- مالك، كتاب الوصية، باب جامع القضاء وكراهيته (٢/ ٦٠٢)، رقم (٧) واللفظ له، وليس فيه: "أرض الجهاد"، عن يحيى بن سعيد به، وهذا إسناد منقطع؛ فيحيى بن سعيد لم يُدرك أبا الدرداء، وتاريخ دمشق (١/ ١٥٠) مطولاً، وفيه: " هلم إلى أرض الجهاد، أرض (كذا) المقدسة ".

قلبه وعقله أن بلاد الشام بلاد مقدسة مباركة، وهي أرض الجهاد والرباط؛ فكتب إلى أخيه يدعوه أن يأتي إليها فينالَ من هذا الخير الذي هو فيه.

وعن عطاء الخراساني قال: "لما هممت بالنُّقْلة من خراسان، شاورت من بها من أهل العلم أين يرون أن أنزل بعيالي؟ كلهم يقول لي: عليك بالشام، ثم أتيت البصرة فشاورت من بها: أين يرون لي أن أنزل بعيالي؟ كلهم يقول: عليك بالشام، ثم أتيت الكوفة فشاورت من بها من أهل العلم: أين يرون لي أن أنزل بعيالي؟ فكلهم يقول لي: عليك بالشام، ثم أتيت المدينة فسألت من بها من أهل العلم: أين يرون لي أن أنزل بعيالي؟ فكلهم يقول: عليك بالشام[1].

وسئل الإمام أحمد، أين ترى الرجل إذا كره المكان الذي هو فيه أن ينتقل؟ قال: إلى المدينة. قيل: فغير المدينة؟ قال: مكة. قيل: فغير هذا؟ قال: الشام، والشام أرض المحشر، ثم قال: دمشق؛ لأنها يجتمع إليها الناس إذا غلبت عليهم الروم[2].

وذكر ابن رجب في فضائل الشام روايات كثيرة عن الإمام أحمد في الحث على سكنى الشام، والرباط فيها، ثم قال: "وحاصل ما نقل عن الإمام أحمد أنه يستحب سكنى الشام، والانتقال بالذرية والعيال إلى معاقلها كدمشق، فأما أطرافها وثغورها القريبة من السواحل فلا يستحب سكناها بالذرية لما يخشى عليهم من إغارة الكفار، وإنما يستحب الإقامة بها للرباط بدون نقل النساء والذرية"[3].

وإن مما ينبغي التنبيه عليه، والإشارة إليه في خاتمة هذا المبحث؛ أن ما ذكرناه من النصوص في تفضيل أهل الشام، لا يعني بالضرورة أن آحاد أهل الشام أفضل من غيرهم، بل هو تفضيل على الجملة، ولقد ألمح شيخ الإسلام إلى شيء من ذلك في قوله: "والنصوص التي في كتاب الله وسنة رسوله وأصحابه في فضل الشام،

١- تاريخ دمشق (١/ ٩٩).
٢- فضائل الشام (ص١٦٥) لابن رجب.
٣- المصدر السابق (ص١٦٦).

وأهل الغرب على نجد والعراق وسائر أهل المشرق أكثر من أن تذكر هنا، بل عن النبي من النصوص الصحيحة في ذم المشرق، وإخباره بأن الفتنة ورأس الكفر منه ما ليس هذا موضعه، وإنما كان فضل المشرق عليهم بوجود أمير المؤمنين علي، وذاك كان أمراً عارضاً؛ ولهذا لما ذهب عَلِيّ ظهر منهم الفتن والنفاق والردة والبدع ما يعلم به أن أولئك كانوا أرجح. وكذلك أيضاً لا ريب أن في أعيانهم من العلماء والصالحين من هو أفضل من كثير من أهل الشام، كما كان عليّ وابن مسعود وعمار وحذيفة ونحوهم، أفضل من أكثر مَن بالشام من الصحابة، لكن مقابلة الجملة وترجيحها لا يمنع اختصاص الطائفة الأخرى بأمر راجح"[1].

وكذلك ما ذكرناه من النصوص الدالة على خيرية بلاد الشام، وفضلها على غيرها من البلاد، والحث على الهجرة إليها، والسكنى فيها، فإن هذه الخيرية، وهذا الفضل لا يحصل بذات الأرض وترابها، وإنما بأهلها وسكانها؛ ولذلك قرن النبي ﷺ في حديث ابن حوالة بين خيرية الأرض، وخيرية الأهل؛ فقال: «خِيَرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِى إِلَيْهَا خِيَرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ»، حتى لا يغتر مُغترٌّ، ويَتَّكِلَ مُتَّكِلٌ على سُكناه في بلاد الشام، ويظن أن هذا أمان له وضمان.

ولشيخ الإسلام كلام مهم جداً في بيان ذلك أنقله بطوله، قال: " وكون الأرض دار كفر ودار إيمان، أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هي صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم.

وكذلك المسجد إذا تبدل بخمّارة، أو صار دار فسق، أو دار ظلم، أو كنيسة، يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه، وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا

١- مجموع الفتاوى (٢/ ٢٧٥).

جعلت مسجداً يعبد الله فيه - جل وعز - كان بحسب ذلك، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقاً، والكافر يصير مؤمناً، أو المؤمن يصير كافراً، أو نحو ذلك كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال.

وقد قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾[1] الآية، نزلت في مكة لما كانت دار كفر، وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه، وإنما أراد سكانها فقد روى الترمذي مرفوعاً أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة [2]: «وَاللهِ إِنَّك لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْك مَا خَرَجْتُ»[3] وفي رواية: «خيرُ أرض الله وأحبُّ أرض الله إليّ»[4]، فبيَّن أنها أحب أرض الله إلى الله ورسوله، وكان مقامه بالمدينة، ومقام

١- سورة النحل، آية (١١٢).

٢- بالفتح ثم السكون، وفتح الواو، وراء، وهاء؛ موضع بمكة يلي البيت بفناء دار أم هانئ بنت أبي طالب التي كانت عند الحناطين، فدخلت في المسجد الحرام، وقيل: هي سوق مكة، وقد دخلت في المسجد الحرام لما زيد فيه. انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٩٤).

٣- الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة (ص٨٨٠)، رقم (٣٩٢٥) قال: حدثنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري، قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة فقال: وذكر الحديث.

- قتيبة: هو ابن سعيد بن جميل، ابن طريف الثقفي، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٧٩٩).

- والليث: هو ابن سعد، الفهمي، أبو الحارث المصري، ثقة ثبت فقيه إمام مشهور. تقريب التهذيب (ص٨١٧). =

- وعُقَيل: هو ابن خالد بن عَقِيل، أبو خالد الأموي، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٦٨٧).

- وأبو سلمة: هو ابن عبد الرحمن بن عوف، المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر. تقريب التهذيب (ص١١٥٥). فهذا إسناد صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٤- ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل مكة (ص٥٢٧)، رقم (٣١٠٨) قال: حدثنا عيسى بن حماد المصري، قال: أنبأنا الليث بن سعد، قال: أخبرني عقيل، عن محمد بن مسلم؛ أنه قال: إن أبا سلمة بن عبد الرحمن أخبره؛ أن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال له: رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته، واقف بالحزورة يقول: وذكر الحديث.

- والليث وعقيل: تقدم ذكرهما، ومحمد بن مسلم: هو ابن شهاب الزهري، وهذا إسناد صحيح.

من معه من المؤمنين أفضل من مقامهم بمكة؛ لأجل أنها دار هجرتهم؛ ولهذا كان الرباط بالثغور أفضل من مجاورة مكة والمدينة، كما ثبت في الصحيح: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[1].

وفي السنن عن عثمان عن النبي ﷺ أنه قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف فيما سواه من المنازل»[2] وقال أبو هريرة: «لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود»[3]، ولهذا كان أفضل الأرض في حق

١- مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله (ص٧٩٤)، رقم (١٩١٣) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامَ الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ (يَعْنِى ابْنَ سَعْدٍ)، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ السَّمْطِ عَنْ سَلْمَانَ به، وهذا الذي أورده شيخ الإسلام بنحو لفظ مسلم، وأما لفظ مسلم فهو: (رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ).

٢- إسناده: حدثنا الحسن بن علي الخلال، قال: حدثنا هشام بن عبد الملك، قال: حدثنا الليث بن سعد...

الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المرابط (ص٣٩٠)، رقم (١٦٦٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي، كتاب الجهاد، باب فضل الرباط (ص٤٩٠)، رقم (٣١٦٩) من طريق الليث، عن زهرة بن معبد، عن أبي صالح مولى عثمان به، وأبو صالح: مولى عثمان، اسمه الحارث، وقيل: بركان، وقيل: تركان، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، ولم يذكره بجرح. انظر: سنن الترمذي (ص٣٩٠)، والثقات (٤/ ٨٤).

- فهذا إسناد حسن أو صحيح؛ لحال أبي صالح مولى عثمان، وحسن الألباني الحديث في تعليقاته المرفقة بالموضعين المشار إليهما في سنن الترمذي والنسائي.

٣- ابن حبان، كتاب السير، باب فضل الجهاد، ذكر تفضل الله جل وعلا على الواقف ساعة في سبيل الله بإعطائه خيراً من مصادفة ليلة القدر بالمسجد الحرام (١٠/ ٤٦٢)، رقم (٤٦٠٢) أخبرنا خلاد بن محمد المقري بن خالد الواسطي بنهر سابس على الدجلة، حدثنا عباس بن عبد الله الترقفي، حدثنا المقرئ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، عن مجاهد، عن أبي هريرة.. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكر الحديث، وفيه: "موقف ساعة في سبيل الله أحب إلي... الحديث".

- ومجاهد: هو ابن جبر، صح سماعه من أبي هريرة، قال أبو حاتم ابن حبان: "سمع مجاهد من أبي

كل إنسان؛ أرض يكون فيها أطوع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: "هلم إلى الأرض المقدسة" فكتب إليه سلمان: "إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس العبدَ عملُهُ"[1]، وكان النبي ﷺ قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملتها هذا.

وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]، وهي الدار التي كان بها أولئك العمالقة، ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين؛ وهي الدار التي دل عليها القرآن من الأرض المقدسة، وأرض مصر التي أورثها الله بني إسرائيل، فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً، وتارة كافراً، وتارة مؤمناً، وتارة منافقاً، وتارة براً تقياً، وتارة فاسقاً، وتارة فاجراً شقياً"[3].

هريرة أحاديث معلومة، بيّن سماعه فيها عمر بن ذر، وقد وَهَم من زعم أنه لم يسمع من أبي هريرة شيئاً؛ لأن أبا هريرة مات سنة ثمان وخمسين في إمارة معاوية، وكان مولد مجاهد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، ومات مجاهد سنة ثلاث ومائة؛ فدل هذا على أن مجاهداً سمع أبا هريرة".

- قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٥٧): هذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون، وصححه أيضاً في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٤٠)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه على ابن حبان (١٠/ ٤٦٢).

١- سبق تخريجه (ص٨٩).

٢- سورة الأعراف، آية (١٤٥).

٣- مجموع الفتاوى (٩/ ١٥٩-١٦٠)، ولأبي بكر ابن العربي -في شرحه على أثر سلمان- كلام مهم في ذلك. انظره في: القبس في شرح موطأ ابن أنس (٣/ ٥١٢).



المبحث الرابع
أهل الشام ميزان لصلاح الأمة وفسادها عند وقوع الفتن

عَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْل الشَّام فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُوم السَّاعَة»[1].

ليهنكم أهل الشام ما منَّ الله به عليكم، فإنكم ميزان القسط، الذي توزن به أمة الإسلام، وإنكم حصن الأمة الحصين، وسدها المنيع، وصِمام الأمان الذي يحول دون زيغ الأمة وانحرافها، وشرودها وضياعها، ولقد عقد عليكم النبي ﷺ الآمال، وأناط بكم شرف حراسة الأمة وحمايتها، فالله الله يا أهل الشام، لا يؤتين

---

١ - إسناده: حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة...

- الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشام (ص٢١٩٢) وقال: قال محمد بن إسماعيل (البخاري): قال علي بن المديني: هم أهل الحديث. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٢٤/ ٣٦٢)، رقم (١٥٥٩٦) بنحوه مع اختلاف يسير في الألفاظ، (٢٤/ ٣٦٣)، رقم (١٥٥٩٧) بمثله، (٣٣/ ٤٧٢)، رقم (٢٠٣٦١) بمثله، وابن حبان، كتاب إخبار النبي ﷺ عن فضائل الصحابة، باب الحجاز واليمن وفارس وعمان، ذكر ابتغاء الفضل والصلاح لمستوطن الشام (١٦/ ٢٩٢)، رقم (٧٣٠٢) مقتصراً على الشطر الأول منه، وذكر الأخبار على أن الفساد إذا عم بالشام يعم ذلك في سائر المدن (١٦/ ٢٩٢)، رقم (٧٣٠٣) بمثل سابقه، والطبراني (١٩/ ٢٧) بمثل سابقه، كلهم من طريق شعبة به.

- وأبو داود: هو سليمان بن داود الطيالسي، صاحب المسند، الحافظ الكبير، وثقه كبار الأئمة.

- انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٤٦٩). فهذا إسناده صحيح، رواته كلهم ثقات، وقال الشيخ الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق (ص١٧): إسناده صحيح.

الإسلام من قِبَلكم ولا تؤتين الأمة من قبلكم.

قال السِّنْدِي[1]: "قوله: "إذا فسد أهل الشام" أي: بالخروج عن طاعة الإمام.

قوله: "فلا خير فيكم" الخطاب لأهل ذلك الوقت، بمعنى كثرة الفتن بينهم حينئذٍ، فهذا إشارة إلى زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما، ويحتمل أن المراد: فسادهم بكثرة المعاصي والطغيان وترك الجهاد، فقوله: "فلا خير فيكم" خطاب للناس عموماً، لا لأهل ذلك الوقت الذين كان بعضهم حاضرين عنده"[2].

والثاني هو الأرجح؛ وذلك أن لفظ الحديث عام، لم يخصه النبي ﷺ بوقت معين، ولا بأناس معينين، فحمله على العموم أولى، إضافة إلى دلالة الواقع عليه كما سيأتي إن شاء الله.

وقال القاري: "قوله: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم" أي: للقعود فيها والتوجه إليها[3].

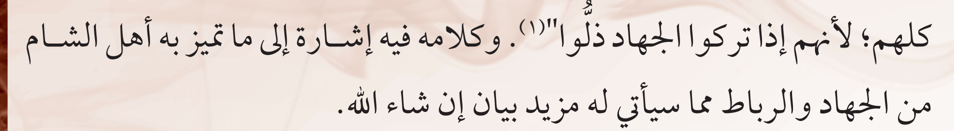
ولله در ابن حبان، ما أفقهه حين صدَّر هذا الحديث بقوله:"ذكر ابتغاء الفضل والصلاح لمستوطن الشام"، لكأني به يقول: يا أهل الشام: أنتم الحصن والسد، فابتغوا الصلاح وانشدوه، فبصلاحكم تصلح أمة الإسلام، وصدَّر الحديث في الموضع الثاني بقوله: "ذكر الأخبار على أن الفساد إذا عم بالشام يعم ذلك في سائر المدن" تأكيداً منه على عموم حديث النبي ﷺ، وأنه يشمل سائر الأوقات.

وقال ابن العربي معلقاً على أحاديث فضائل الشام في الترمذي بقوله: "وأما مدحه ﷺ للشام؛ فلأنه كان مأوى الجهاد والرباط، فإذا فسد أهله فسد الناس

١- محمد بن عبد الهادي التَّتَوي، نور الدين السندي، أبو الحسن، فقيه حنفي، عالم بالحديث والتفسير والعربية، ولد في السند، وَتوطن بالمدينة إلى أن توفي فيها، له حواش على بعض كتب السنة؛ منها: الصحيحين، وسنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجه، ومسند أحمد. توفي سنة ١١٣٨ هـ. انظر: الأعلام (٦/ ٢٥٣).

٢- حاشية السندي على مسند أحمد (٢٤/ ٣٦٣).

٣- مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٠٥٢)، وعنه: المباركفوري في "تحفة الأحوذي" (٦/ ٥٢).



كلهم؛ لأنهم إذا تركوا الجهاد ذلُّوا"[1]. وكلامه فيه إشـارة إلى ما تميز به أهل الشـام من الجهاد والرباط مما سيأتي له مزيد بيان إن شاء الله.

ولقد أورد ابن عسـاكر في تاريخه طرق هذا الحديث، ورواياته، وبوَّب لها: نفي الخير عن أهل الإسلام عند وجود فساد أهل الشام[2].

ولشيخ الإسلام كلام رائع في تجلية ما أشار إليه رسول الله ﷺ في الحديث، حيث يقول: " أما الطائفة بالشام ومصر ونحوهما، فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسـلام، وهم من أحق الناس دخـولاً في الطائفة المنصورة... ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت، يعلم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام، علماً، وعملاً، وجهاداً عن شرق الأرض وغربها؛ فإنهم هم الذين يقاتلون أهل الشوكة العظيمـة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى، ومع المشركين من الـترك، ومـع الزنادقة المنافقين مـن الداخلين في الرافضة وغيرهم، كالإسـماعيلية ونحوهـم مـن القرامطة معروفة، معلومـة قديماً وحديثاً. والعز الذي للمسـلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم؛ ولهذا لما هزموا سنة تسع وتسعين وستمائة دخل على أهل الإسـلام من الذل والمصيبة بمشارق الأرض ومغاربها ما لا يعلمه إلا الله. والحكايات في ذلك كثيرة ليس هذا موضعها.

وذلك أن سكان اليمن في هذا الوقت ضعاف، عاجزون عن الجهاد أو مضيعون له، وهم مطيعون لمن ملك هذه البلاد، حتى ذكروا أنهم أرسـلوا بالسمع والطاعة لهؤلاء، وملك المشركين لما جاء إلى حلب جرى بها من القتل ما جرى. وأما سكان الحجـاز فأكثرهم أو كثير منهم خارجون عن الشريعة، وفيهم من البدع والضلال والفجـور ما لا يعلمه إلا الله، وأهل الإيمان والدين فيهم مسـتضعفون عاجزون، وإنـما تكـون القوة والعزة في هذا الوقت لغير أهل الإسـلام بهذه البلاد، فلو ذلت

١- عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٩/ ٤٥).
٢- تاريخ دمشق (١/ ٣٠٥-٣٠٩).

هذه الطائفة - والعياذ بالله تعالى - لكان المؤمنون بالحجاز من أذل الناس لا سيما وقد غلب فيهم الرفض، وملك هؤلاء التتار المحاربون لله ورسوله الآن مرفوض، فلو غلبوا لفسد الحجاز بالكلية. وأما بلاد أفريقية فأعرابها غالبون عليها، وهم من شر الخلق، بل هم مستحقون للجهاد والغزو. وأما المغرب الأقصى فمع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم، لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم، لو استولى التتار على هذه البلاد لكان أهل المغرب معهم من أذل الناس، لا سيما والنصارى تدخل مع التتار فيصيرون حزباً على أهل المغرب.

فهذا وغيره مما يبين أن هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام، وعزهم عز الإسلام، وذلهم ذل الإسلام، فلو استولى عليهم التتار ولم يبق للإسلام عز، ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه"[1].

هذا كلام شيخ الإسلام عن حال المسلمين في وقته الذي عاش فيه في القرن السابع الهجري، يوم أن غزا التتار بلاد الإسلام، فتصدى لهم ليوث الشام، وكان أكثر الناس في ذلك الزمان عن الجهاد بمعزل، فحمى الله بيضة الإسلام بجهادهم وقتالهم.

وهذا الذي حدث تماماً يوم أن استولى الصليبيون على بلاد الشام، فلقد وقع بسبب ذلك لأهل الإسلام من الذل والمهانة ما تشيب له الرؤوس، وتتفطَّر له الأكباد، حتى قيض الله من جند الشام من يردهم على أعقابهم صاغرين.

ولذلك كانت بلاد الشام ولا تزال هدفاً لأعداء الله، يصوبون إليها سهامهم، ويَحِيْكُون لها المؤامرات بالليل والنهار؛ وما ذلك إلا لعلمهم أن السيطرة على بلاد الشام تسهل السيطرة على بقية بلاد المسلمين، فكان أن زرعوا فيها من يخلفهم - من بني جلدتنا - في حكمها، ونشر فكرهم وثقافتهم وانحرافهم، واكتمل لهم المراد بزرع الكيان المسخ في بلاد الإسراء؛ مما يسهل عليهم التدخل في شئونها

١- مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٨٩-٢٩٠).

بحجـة الدفـاع عن اليهود وحمايتهم، وهذا ظاهر واضح لمن كان له أدنى تأمل فيما يجري اليوم في بلاد الشام[1].

ولكأني بهذا الحديث يوجه رسائل ثلاث إلى:

- المسـلمين في كل مكان، أن عليكم ببلاد الشام، ولا تفرطوا فيها، ولا تخذلوا أهلها، وانصروهم وأعينوهم في جهادهم وقتالهم بكل ما تملكون؛ فإن خيريتكم، وصلاحكم، ونصركم، وعزكم منوط بصلاح بلاد الشام، واستقامة أهلها.

- أهـل الشـام، إن الله قد عهد إليكم بنصرة هـذا الدين وحمايته، وأوكل إليكم حراسة الأمة وحفظها من الفساد والضياع، فكونوا كما أراد الله لكم، وسيروا على نهج الصواب، فإن التبعة ثقيلة، والأمانة عظيمة.

- الطائفة المنصورة في بلاد الشـام، إن النبي ﷺ قد ربط بين فسـاد الشام، وبين جهادكم وقتالكم وصبركم؛ وذلك أن الفسـاد إن وقع في بلاد الشام فلن يصلحه إلا أنتـم، فلئن كانت الأمانة في عنق أهل الشـام عظيمـة، فهي في أعناقكم أعظم، فقوموا بواجب العلم والدعوة والجهاد في سبيل الله، وأبشروا بنصر الله لكم.

١- انظر: المؤامرة الكبرى على بلاد الشام (ص٢٥) لأحمد الخالدي.



الفَصْلُ الثَّانِي

المَلَاحِمُ فِي بِلَادِ الشَّامِ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أَرْضُ الشَّامِ مَرْكَزُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الحقِّ وَالباطِلِ، وَهِيَ عُقْرُ دَارِ المؤْمِنِين.

المبحث الثاني: اخْتِصَاصُ بِلَادِ الشَّامِ بِالطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ المُقَاتِلَةِ.

المبحث الثالث: قِتَالُ اليَهُودِ فِي بِلَادِ الشَّامِ.

المبحث الرابع: ظُهُورُ المَهْدِي وَخَوْضُهُ المَلَاحِمَ مَعَ الرُّومِ فِي بِلَادِ الشَّامِ.





توطـــــئة

لقد استقر عند السلف -رحمهم الله- أن أهل الشام أهل جهادٍ وقتال ورباط، ولذلك أفرد ابن عساكر في تاريخ دمشق[1]: «باب ما روي أن أهل الشام مرابطون، وأنهم جند الله الغالبون»، وبوَّب ابن رجب في فضائل الشام[2]: «الباب السابع فيما ورد في بركة الشام»، ثم خَصَّصَ فصلاً من هذا الباب للحديث عن بركة الشام من جهة أنها أرض جهاد ورباط في سبيل الله.

وقد كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم يختارون الإقامة في بلاد الشام ابتغاء الجهاد في سبيل الله؛ كما فعل رؤساء مسلمة الفتح من قريش.

ولذلك كتب أبو الدرداء -حين كان قاضياً بالشام- إلى سلمان رضي الله عنه: "أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة، أرض الجهاد»[3].

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أرطاة بن المنذر[4]، أن عمر قال لجلسائه: أي الناس أعظم أجراً؟ قال: فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة، قال: ويقولون فلان وفلان بعد أمير المؤمنين، فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم، ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، قال: رُويجل بالشام؛ أخذ بلجام فرسه،

١- (١/ ٢٨٢).

٢- (ص٢١٣).

٣- سبق تخريجه (ص٨٩).

٤- هو: أرطاة بن المنذر بن الأسود الألهاني، أبو عَدِي الحمصي، أدرك عدداً من أصحاب النبي ﷺ، وروى عنهم، وكان من أعبد الناس وأزهدهم، توفي سنة ١٦٣هـ. تهذيب التهذيب (١/ ٢١٦).

يكلأ من وراء بيضة[1] المسلمين، لا يدري أسبع يفترسه، أم هامَّة[2] تلدغه، أو عدو يغشاه؛ فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين»[3].

وقال ابن العربي معلقاً على أحاديث فضائل الشام في الترمذي بقوله: «وأما مدحه ﷺ للشام؛ فلأنه كان مأوى الجهاد والرباط، فإذا فسد أهله فسد الناس كلهم؛ لأنهم إذا تركوا الجهاد ذلُّوا»[4].

وأهل الشام -إضافة إلى كونهم أهل الجهاد والرباط- هم أعلم الناس بالسير والملاحم.

ولقد كان العلماء يقولون:»من أراد علم السير، فعليه بأهل الشام، فإنهم لكثرة جهادهم أعلم الناس بأحكام الجهاد»[5].

وقال الشافعي: «من أراد علم الملاحم فعليه بأهل الشام»[6].

وذكر ابن رجب عن أبي إسحاق الفزاري[7] أنه صنَّف «كتاباً كبيراً في السير؛ فيه علمٌ كثير مما يتعلق بالجهاد، لا يكاد يوجد في غيره مجموعاً»[8].

١- يكلأ: يحفظ، وبيضة المسلمين: أصلهم، وجماعتهم، وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم. انظر: لسان العرب (١/ ٥٦٧).

٢- الهامَّة: " واحدة الهوام، والهوام: الحيَّات، وكل ذي سمٍّ يقتل سُمُّه ". لسان العرب (٩/ ١٤٠).

٣- (١/ ٣٥٠).

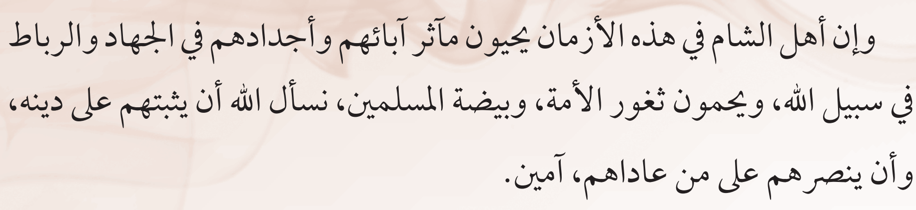
٤- تقدّم ص (٩٦-٩٧)، وانظر: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس (ص٤٠٧-٤١٢) لماجد الكيلاني ففيه كلام مهم في تقرير أن بلاد الشام هي ثغر الجهاد وقاعدته في القديم والحديث.

٥- فضائل الشام (ص ٢١٣) لابن رجب.

٦- المرجع السابق (ص٢١٣).

٧- هو: إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري، أبو إسحاق الكوفي، الإمام الثقة المأمون، نزل الشام، وكان رجلاً صالحاً، صاحب سنة، وكان يؤدب أهل الثغور ويعلمهم، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٧١).

٨- فضائل الشام (ص٢١٣).



وإن أهل الشام في هذه الأزمان يحيون مآثر آبائهم وأجدادهم في الجهاد والرباط في سبيل الله، ويحمون ثغور الأمة، وبيضة المسلمين، نسأل الله أن يثبتهم على دينه، وأن ينصرهم على من عاداهم، آمين.

وسيظهر معنا –ونحن نستعرض مباحث هذا الفصل – جلياً ما ذُكر عن اختصاص أهل الشام بالجهاد والقتال في سبيل الله.





المبحث الأول

أرض الشام مركز الصراع بين الحق والباطل، وهي عقر دار المؤمنين

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ[1] قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ[2]، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ! قَدْ وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا[3]! فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «كَذَبُوا، الْآنَ الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ[4]، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ،

---

١ – هو: سلمة بن نفيل السكوني، ثم التراغُمي الحضرمي، أصله من اليمن، وسكن حمص، وله صحبة، وروى له النسائي حديثاً واحداً، فيه ذكر الخيل (وهو حديثنا هذا)، وكان قد بعثه قومه وافداً إلى النبي ﷺ. انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٣٢٣)، والإصابة (٣/ ١٣٠)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٤٥).

٢ – أي: وضعوا أداة الحرب عنها، وأرسلوها، وقيل: إذالة الخيل: إهانتها، والاستخفاف بها، ومنه: " بات جبريل يعاتبني في إذالة الخيل ". انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٣٣٣)، وحاشية السيوطي على النسائي (٦/ ٥٢٤)، وحاشية السندي على النسائي (٦/ ٥٢٤).

– ولفظ أحمد (٢٨/ ١٦٥): إني أسمت الخيل (أي تركتها تسوم)، وفي بعض النسخ: سئمت، وعند الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٢٠): سُيِّبت، أي: أهملت.

٣ – أي: انقضى أمرها، وخفت أثقالها؛ فلم يبق قتال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٩٧٠)، وحاشية السيوطي على النسائي (٦/ ٥٢٤).

٤ – هكذا مكررة، "وهي منصوبة على الظرفية، ثم يحتمل أن يكون الأول متعلقاً بما قبله؛ أي: كذبوا الآن في الوقت الذي تحدثوا فيه بأنه لا جهاد، ويحتمل أن يكون الثاني تأكيداً للأول". ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (شرح سنن النسائي) (٢٩/ ٣٥٥) لمحمد الإتيوبي.

– وهي عند أحمد مفردة (٢٨/ ١٦٥)، وعند الطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٢٠): الآن حل القتال، ومعناه: الآن شرع الله القتال الآن، فكيف يرفع عنهم سريعاً، أو المراد: بل= الآن اشتد القتال، فإنهم قبل ذلك كانوا في أرضهم، واليوم جاء وقت الخروج إلى الأراضي البعيدة. انظر: حاشية السندي

وَيُزِيغُ[1] اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرَ مُلَبَّثٍ[2]، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا[3]، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعُقْرُ[4] دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»[5].

على النسائي (٦/ ٥٢٤)، وحاشيته على المسند (٢٨/ ١٦٥).

١- هكذا عند النسائي، وهي عند الإمام أحمد، ومن طريقه ابن عساكر (١/ ١١٧): يرفع، والصواب: يُزيغ، كما رواه النسائي (ص٥٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٥٢)، وغيرهم، ورجحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٦٠٣)، والأرنؤوط في تحقيقه على المسند (٢٨/ ١٦٥).

- وقوله: " يزيغ الله لهم قلوب أقوام " أي: يميلها عن الحق إلى الباطل، وعن الإيمان إلى الكفر؛ لأجل أن تقاتلهم هذه الطائفة؛ ويصيبوا من أموالهم، وقيل: " يحتمل - على بعد - أن المراد: يميل الله تعالى قلوب أقوام إليهم؛ ليعينهم على القتال، ويرق الله تعالى أولئك الأقوام المعينين من هؤلاء إلى أولئك. فالمراد بالأمة: الرؤساء، وبالأقوام: الأتباع، وعلى الأول: المراد بالأمة: المجاهدون من المؤمنين، وبالأقوام: الكفرة والله تعالى أعلم". حاشية السندي على النسائي (٦/ ٥٢٤).

٢- اسم مفعول من ألبثه غيره، أو لبَّثه بالتشديد، واللَّبَث: الإبطاء والتأخر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٨٢٤)؛ حاشية السندي على النسائي (٦/ ٥٢٤).

٣- أي: جماعات متفرقين، قوماً بعد قوم، ومفردها: فِنْد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٩١٧)، وحاشية السندي على النسائي (٦/ ٥٢٤-٥٢٥).

٤- عقر - بضم العين وفتحها، والضم أشهر - دار المؤمنين الشام: أي: أصلها وموضعها، وقيل: وسطها، وقيل: معظمها، وقيل: عقر القوم: وطنهم، وقيل: العقر: البناء المرتفع.

- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(ص٦٣٠)، ولسان العرب (٦/ ٣٦٠-٣٦١)، وفضائل الشام (ص٣٢١) للأسيوطي المنهاجي.

٥- إسناده: أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، قال: حدثنا مروان وهو ابن محمد، قال: حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المُرِّي، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي...

- النسائي، كتاب الخيل، باب... (ص٥٥٤)، رقم (٣٥٦١) واللفظ له، وأحمد (٢٨/ ١٦٤-١٦٦)، رقم (١٦٩٦٥) بنحوه، وفيه: " أن سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى النبي ﷺ، فقال: إني أسمت الخيل... فقال له النبي ﷺ الآن جاء القتال... "، والمعجم الكبير (٧/ ٥٢)، رقم (٦٣٥٧) و(٦٣٥٨) مطولاً ومختصراً للطبراني، ومسند الشاميين (٢/ ٣٢٠)، رقم (١٤١٩) بنحوه، وفيه: "ألا وعقر دار الإسلام بالشام" من طريق الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير به.

- وأحمد بن عبد الواحد: هو التميمي، بن عبود الدمشقي. وثقه العقيلي، وابن أبي عاصم، ومحمد بن

في هـذا الحديـث يشـكو رجـل إلى النبي ﷺ ما أحدثـه الناس من وضع السـلاح، وإذالة الخيل، وترك الجهاد، فعنفهم النبي ﷺ، «وجاء الرد حاسماً وقاطعاً لا يحتمل تأويلاً، فقد رد عليهم رسـول الله ﷺ بقوله: «كذبوا الآن جاء القتال»، إذ القتال لم يتوقـف، وليس هناك سـبب موجب لتوقفه، أو إعـلان انتهائه، وكيف ينتهي وفي الأرض أقوام زاغت قلوبهم؟!...»[1].

ثـم يخـبر النبي ﷺ أن طائفة مـن أمته قائمة بهذا الدين، مقاتلـة عليه، ظاهرة على من خالفها وعاداها، صابرة على ما تلقاه من الأذى في سبيل ذلك حتى يأتي أمر الله.

وقوله ﷺ: «والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[2].

معقـود: أي ملوي مضفور فيها[3]، والمراد: أن الخير منوط بها، ملازم لها، كأنه عقد فيها[4].

والناصية: الشـعر المسترسـل على الجبهة، وخصت بذلك لكونهـا المقدَّم منها،

يحيى بن أحمد الفقيه. وقال النسائي: لا بأس به.

- وقال ابن حجر في التقريب: صدوق.
- وقال صاحبا تحرير التقريب: بل ثقة... لا نعلم فيه جرحاً، وهو كما قالا.
- انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٨٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٤)، وتحرير التقريب (١/ ٦٩).
- ومروان بن محمد: هو الأسَدي الطاطِري. ثقة، وضعفه ابن حزم. قال ابن حجر: "وضعفه ابن حزم فأخطأ؛ لأنَّا لا نعلم سلفاً له في تضعيفه، إلا ابن قانع، وقول ابن قانع غير مقنع".
- انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١١٥)، وتقريب التهذيب (ص٩٣٢).
- وبقية رجاله ثقات؛ فهذا إسناد صحيح.

١- الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (ص٤٢) لعمر أبو عمر.

٢- أصـل هذه الجملة: حديث عند الشـيخين: البخاري، كتاب الجهاد والسـير، باب الخيل معقود في نواصيهـا الخـير إلى يوم القيامة (ص٥٤٩)، رقم (٢٨٤٩)، ومسـلم، كتـاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (ص٧٨٠)، رقم (١٨٧١) من حديث ابن عمر وغيره، وأخرجاه من حديث عروة البارقي وغيره بزيادة: "الأجر والمغنم".

٣- شرح النووي على مسلم (١٣/ ٢٠).

٤- فيض القدير (٣/ ٦٥٧).

إشارة إلى أن الفضل في الإقدام بها على العدو دون التأخر[1].

والخيرية التي في نواصي الخيل؛ إنما تحصل بالأجر والمغنم، كما أشار إليه النبي ﷺ، «ولإعانتها على جهاد أعداء الدين، وقمع شر الكافرين، وعدم قيام غيرها مقامها في الإجلاب، والفر، والكر عليهم»[2].

وقوله ﷺ: (إلى يوم القيامة) ظاهر الدلالة على أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة؛ ولهذا بوب البخاري على هذا الحديث:» باب الجهاد ماض مع البر والفاجر...»، ثم أورد الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد سبقه (أي سبق البخاري) إلى الاستدلال بهذا: الإمام أحمد... وفيه (أي الحديث) بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة؛ لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين؛ وهم المسلمون، وهو مثل الحديث[3]: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق...»[4].

وقال البغوي معقباً على هذا الحديث: «وفيه الترغيب في اتخاذ الخيل للجهاد، وفيه أن الجهاد لا ينقطع أبداً....»[5].

وقال ابن عبد البر في التمهيد: «وقد استدل جماعة من العلماء بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، تحت راية كل بر وفاجر بهذا الحديث»[6].

وما أجمل ما قاله العز بن عبد السلام معلقاً على حديث سلمة: «أخبر ﷺ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام؛ إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل الله

١- انظر: فتح الباري (٦/ ٦٩).

٢- فيض القدير (٣/ ٢٢١).

٣- سيأتي تخريجه مفصلاً في المبحث التالي (ص١١٣ وما بعدها).

٤- فتح الباري (٦/ ٧٠).

٥- شرح السنة (١٠/ ٣٨٦).

٦- (١٤/ ٩٧).



تعالى، وإخباراً بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك، فإن أطراف الشام ثغور على الدوام»[1].

والمتأمل في الحديث يرى أن النبي ﷺ قد أخبر عن دوام الجهاد إلى يوم القيامة، وعن بقاء طائفة تقاتل في سبيل الله من زاغ قلبه عن الإيمان، ثم ربط ذلك كله بالشام؛ وكأن فيه إشارة إلى أن بلاد الشام لها الحظ الأوفر من هذه الطائفة المقاتلة، ومن هذا الجهاد المبارك، وأن عساكر الإيمان تنتهي إلى الشام، وتستقر بها مُسَطَّرة ملاحم العزة والكرامة لهذه الأمة.

١- ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام (ص٣٢).





المبحث الثاني

اختصاص الشام بالطائفة المنصورة المقاتلة

إن من نعمة الله – تبارك وتعالى – على أمة الإسلام؛ أنه مهما عصفت بها الفتن، واشتدت عليها المحن، ونزلت بساحتها البلايا والرزايا؛ حتى يظن الظانُّ أن هذه الأمة إلى زوال واندثار، وأن هذا الدين يلفظ أنفاسه الأخيرة إلى غير رجعة؛ فإذا بالأمة تنتفض، والدين يحيا من جديد؛ أشد صلابة، وأمتن عوداً، وذلك أن الله قد تكفل بحفظ دينه.

وإن من الأمور التي تكفل الله بها، وجعلها سبباً لحفظ دينه: أن قيض له رجالاً؛ غرسهم غرساً، وصنعهم على عينه، وكلأهم بحفظه وتوفيقه، يحفظون هذا الدين، ويُحيون ما دَرَس من آثاره ومعالمه، ويقومون على أمر الله، علماً ودعوةً وصبراً وجهاداً، لا يبالون بخذلان الخاذل، ومخالفة المخالف، ثابتين على دينهم حتى يأتي أمر الله؛ وهؤلاء الرجال: هم أهل الطائفة المنصورة؛ التي بشر رسول الله ﷺ ببقائها في أمة الإسلام.

فلتهنأ أمة الإسلام بهذه الطائفة، وليهنأ أهل الشام بها؛ فإن لهم منها الحظ الأسعد، والنصيب الأوفر، وهذه أحاديث الطائفة المنصورة، ملحقة بذكر بعض المسائل التي تهمنا في هذا المبحث.

– عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[1].

---

١ – البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص٦٩٥)، رقم (٣٦٤٠)،= وكتاب

- وعـن عُمَيْر بْنِ هَانِئ[1] أَنَّهُ سَـمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه يَقُولُ سَـمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَـزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَـةٌ بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ[2] قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ[3].

الاعتصـام، باب لا تزال طائفة من أمتـي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم (ص١٣٩٥)، رقـم (٧٣١١) وفيـه: " لا يزال طائفة " بدل: "لا يزال ناس"، وكتـاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ ﴾ (ص١٤٢٣)، رقم (٧٤٥٩) بنحوه، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: " لا تـزال طائفـة مـن أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهـم" (ص٧٩٥)، رقم (١٩٢١) بمثل رواية البخاري في كتاب التوحيد، وزاد فيه: "وهم ظاهرون"، كلاهما من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم به.

١- هـو: العَنْسي، أبو الوليد الدمشـقي الـداراني، روى عن أبي هريـرة، ومعاوية، ومالـك بن يخامر، وغيرهم. أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، وكان مجتهداً في الطاعة والعبادة، وتوفي سنة ١٣٢هـ. انظر: مشاهير علماء الأمصار (ص١١٢) لابن حبان، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٥٩).

٢- هـو: السَّكْسَكِي الحِمصي، روى عـن معاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن عـوف، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وغيرهم. قال أبو نُعيم: ذكره بعضهم في الصحابة ولا يثبت. مات في ولاية عبد الملك ابـن مـروان سـنة ٧٠هــ، وقيـل: ٧٢ هـ. انظـر: معرفة الصحابـة (٤/ ٢٠٨) لأبي نعيـم، والثقات (٥/ ٣٨٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٦).

٣- البخاري، كتاب المناقب، باب.. (ص٦٩٥)، رقم (٣٦٤١)، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ ﴾ (ص١٤٢٣)، رقم (٧٤٦٠) بنحوه، وفيه: " ما يضرهم من كذبهم، ولا من خالفهـم"، ورواه في غـير موضع من الصحيـح مقتصراً على المرفوع من غير زيـادة مالك بن يَخامر، ومسـلم، كتـاب الإمارة، باب قوله ﷺ: " لا تزال طائفة مـن أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم " (ص٧٩٦)، رقم (١٠٣٧)، وفيه: " حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس "، وليس فيه: " قال مالك بن يخامر.... إلى آخر الحديث "، ورواه في نفس الكتاب والباب السابقين من طريق يزيد بن الأصم، قال: سـمعت معاوية بن أبي سـفيان ذكر حديثاً رواه عن النبي ﷺ لم أسـمعه روى عن النبي ﷺ على منبره حديثاً غيره، قال: قال رسـول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تـزال عصابة من المسـلمين يقاتلون على الحـق ظاهرين على من ناوأهم إلى يـوم القيامة)، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (ص١٤)، رقم (٩) وفيه: "لا تقوم الساعة إلا وطائفة مـن أمتـي ظاهرين عـلى الناس، لا يبالون مـن خذلهم، ولا من نصرهم"، كلهم مـن حديث معاوية رضي الله عنه به.



- وعَـنْ ثَوْبَـانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِـنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»[1].

- وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[2].

- وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3] .

١- مسـلم، كتـاب الإمارة، باب قوله ﷺ: " لا تزال طائفة مـن أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهـم" (ص٧٩٥)، رقـم (١٩٢٠) واللفـظ له، حدثنا سـعيد بن منصور، وأبـو الربيع العتكي، وقتيبـة بن سـعيد، وأبـو داود، كتاب الفتـن والملاحم، باب ذكـر الفتن ودلائلهـا (ص٦٣٣)، رقم (٤٢٥٢) مطـولاً، وأسـوقه بطولـه لأهميتـه: " إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ " أَوْ قَـالَ: "إِنَّ رَبِّـي زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْـتُ مَشَـارِقَهَا وَمَغَارِبَهَـا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَـيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَـا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَـرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَـأَلْتُ رَبِّـي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَـنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلاَ يُسَـلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِـوَى أَنْفُسِـهِمْ فَيَسْـتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَلاَ أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلاَ أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِـنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا. وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى تَلْحَـقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُـدَ قَبَائِلُ مِنْ أمتي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَـيَكُونُ فِي أُمَّتِـي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ، كُلُّهُـمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَـا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِـيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَـةٌ مِـنْ أُمَّتِـي عَلَى الْحَقِّ - قَالَ ابْنُ عِيسَـى: " ظَاهِرِينَ "- ثُمَّ اتَّفَقَا "لاَ يَضُرُّهُـمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ"، حدثنا سـليمان بن حرب، ومحمد بن عيسـى، قال خمسـتهم: حدثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء به.

٢- مسـلم، كتـاب الإمـارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتـي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" (ص٧٩٦)، رقم (١٩٢٢) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ به.

٣- مسـلم، كتـاب الإمـارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتـي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهـم" (ص٧٩٦)، رقـم (١٩٢٣) قال: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّـاعِرِ، قَالاَ: حَدَّثَنَـا حَجَّاجُ بْـنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَـمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: وذكر الحديث.

- وعن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ[١] قال: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ[٢]، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ؛ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلاَّ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ! اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ؛ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ، إِلاَّ قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ[٣].

- وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ[٤] ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٥].

- أبو الزبير: هو محمد بن مسلم بن تَدْرُس، المكي، مدلس (طبقات المدلسين ص ٧٠)، وتدليسه هنا مدفوع بتصريحه بالسماع.

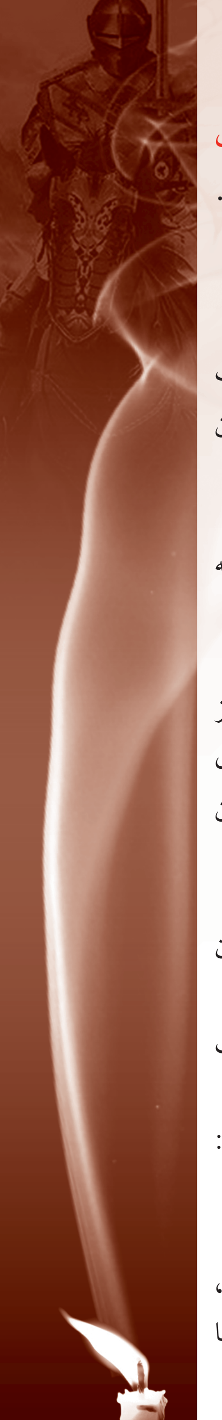
١- هو: أبو عمرو المصري، روى عن عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وغيرهم. روى عنه كعب ابن علقمة التنوخي، ويزيد بن أبي حبيب، وتوفي في أول خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠١هـ، أو بعدها. انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ١٠٦-١٠٧)، وتقريب التهذيب (ص٥٨٢).

٢- الأنصاري، الزرقي، ولد حين قدم النبي ﷺ المدينة وسكن مصر، ووليها في عهد معاوية، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: عبد الرحمن بن شماسة، وعلي بن رباح، واختلف في صحبته، وتوفي سنة ٦٢هـ، وله من العمر ثنتان وستون سنة، وقيل: غير ذلك. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١٧٣-١٧٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٤٣).

٣- مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" (ص٧٩٦)، رقم (١٩٢٤) قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ به.

٤- المراد بالغرب: الشام، وسيأتي توضيحه وبيانه، ونقل أقوال أهل العلم (ص١٢٨-١٢٩).

٥- مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" (ص٧٩٦)، رقم (١٩٢٥)، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشيم، عن داود بن أبي هند،



- وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»[1].

عن أبي عثمان به.

- هشيم: هو ابن بَشير، كثير التدليس، من الثالثة (طبقات المدلسين، ص٧٣)، وتابعه عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عند أبي يعلى الموصلي، المسند (٢/ ١١٨)، رقم (٧٨٣) من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي سَمِينَة، عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن داود به.
- ومحمد بن إسماعيل بن أبي سمينة: ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٥١).
- وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي: ثقة، اختلط بأخرة، كما نص عليه ابن معين وغيره، واختلاطه لا يضر لأنه حجب عن الناس بعد الاختلاط، ولم يحدث أحداً، كما أسنده العقيلي عن أبي داود.
- انظر: الضعفاء (٣/ ٧٤)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٠-٣٥١)، والكواكب النيرات (ص٦٠).
- وأخرجه من طريق مسلم: أبو عَوانة، المستخرج، كتاب الجهاد، باب الخبر الدال على أن أهل الحجاز لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة، وأن قريشاً وأهل المغرب يكونون ظاهرين على أهل الشرق والعجم، رقم (٦٠٤٥)، وفيه: " لا يزال أهل المغرب...الحديث " من طريق محمد كثير الحراني، عن خضر بن محمد، عن هشيم به.
- ومحمد بن كثير الحراني: هو لؤلؤ الحافظ، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٤٩١).
- وخضر بن محمد: بن شجاع الجزري، أبو داود الحراني. قال أبو حاتم: "ليس به بأس، وكان صدوقاً"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر في التقريب: صدوق.
- انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٣٨١)، والثقات (٨/ ٢٣١)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٦٣)، وتقريب التهذيب (ص٢٩٧)، قال الباحث: وهو كما قال أبو حاتم وابن حجر.
- ورواه أبو نعيم في الحلية، ترجمة داود بن أبي هند (٣/ ٩٦) وفيه: " لا يضرهم من خذلهم "، ثم قال: هذا حديث ثابت مشهور، رواه عن داود الأئمة؛ منهم: شعبة، وابن عيينة، وغيرهما.

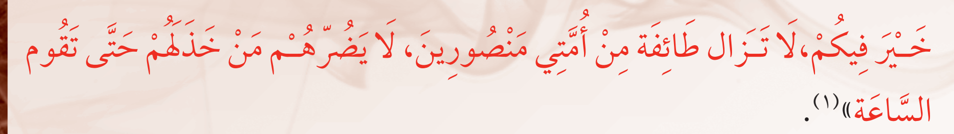
[1] - إسناده: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حمَّاد...

أبو داود، كتاب الجهاد، باب في ثواب الجهاد (ص٣٧٧)، رقم (٢٤٨٤) واللفظ له، وأحمد (٣٣/ ٨٣)، رقم (١٩٨٥١) وفيه: "ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله، وينزل عيسى بن مريم" كلاهما من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، عن مطرف به.

- موسى بن إسماعيل: ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٩٧٧).
- وحماد بن سلمة: بن دينار، أبو سلمة البصري، ثقة يخطئ، وتغير حفظه بأخرة. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٥-٤٢٦).
- وقتادة: ثقة مدلس من الثالثة، تقدم (ص٨١).

- وعَنْ مُعَاوِيَة بْن قُرَّة عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : «إِذَا فَسَدَ أَهْل الشَّام فَلَا

- ومطرف: هو ابن عبد الله بن الشخير، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٠٥/ ٢٠٦).
- فهذا الإسناد فيه علتان: تغير حماد بأخرة، وعنعنة قتادة.
- أما تغير حماد، فإن حديثه رغم خطئه وأوهامه لا ينزل عن رتبة الحسن كما أشار إليه الذهبي في السير؛ قال: "وله أوهام في سعة ما روى، وهو صدوق حجة... ولم ينحط حديثه عن رتبة الحسن". سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٦).
- وقال ابن حبان:" ولم ينصف من جانب حديثه - يعرِّض بالبخاري -، واحتج بأبي بكر بن عياش في كتابه، وبابن أخي الزهري، وبعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار. فإن كان تركه إياه لما كان يخطئ، فغيره من أقرانه مثل الثوري، وشعبة، ودونهما كانوا يخطئون ". الثقات (٦/ ٢١٦).
- وأما عنعنة قتادة، فقد تابعه أبو العلاء بن الشخير (أخو مطرف) عند أحمد (٣٣/ ١٢٥-١٢٦)، رقم (١٩٨٩٥) من طريق إسماعيل، عن الجريري، عن أبي العلاء بن عبد الله بن شخير، عن مطرف به، ولم يرفعه عمران إلى النبي ﷺ، ولا يخفى أن هذا مما لا يقال من قبيل الرأي فله حكم الرفع.
- وإسماعيل: هو ابن عُلَيَّة، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (ص١/ ٢٩١-٢٩٢).
- والجريري: هو سعيد بن إياس، ثقة اختلط بأخرة، وإسماعيل ممن روى عنه قبل الاختلاط. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٠١-٣٠٢)، والكواكب النيرات (ص١٨٣).
- وأبو العلاء بن الشخير: وثقه ابن سعد، والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات.
- انظر: الثقات (٥/ ٥٣٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣٥٦).
- فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.
- ورواه أبو عوانة، المستخرج، كتاب الجهاد، باب الخبر الدال على أن أهل الحجاز لا يزالون على الحق حتى تقوم الساعة، وأن قريشاً وأهل المغرب يكونون ظاهرين على أهل الشرق والعجم، رقم (٦٠٤٧) من طريق أبي علي الزعفراني، عن يحيى بن عباد، عن حماد بن زيد، عن الجريري، عن مطرف به، وزاد في آخره: قال مطرف: فنظرت فإذا هم أهل الشام.
- وأبو علي الزعفراني: هو الحسن بن محمد بن الصبَّاح الزعفراني البغدادي. وثقه ابن أبي حاتم، والنسائي، والعقيلي، وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤١)، والثقات (٨/ ١٧٧)، وتسمية مشايخ أبي عبد الرحمن النسائي (ص٦٥) للنسائي، وتهذيب الكمال (٦/ ٣١١)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٢٩٢-٢٩٣).
- ويحيى بن عباد: هو الضُبَعي، أبو عباد البصري. قال أبو حاتم: ليس به بأس، وقال الدارقطني: يحتج به، وقال الخطيب البغدادي: أحاديثه مستقيمة، لا نعلمه روى منكراً، وذكره ابن حبان في الثقات.
- وقال الساجي: بصرى ضعيف، وخلص ابن حجر في التقريب إلى أنه: صدوق.
- قال الباحث: والذي يظهر أنه صدوق كما ذهب إليه ابن حجر.



خَيْرَ فِيكُمْ،لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[1].

– وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرَ مُلَبَّثٍ وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»[2].

– وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الشَّامِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، حَدَّثَنِي الْأَنْصَارِيُّ –قَالَ شُعْبَةُ: يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ– أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوهُمْ[3] يَا أَهْلَ الشَّامِ»[4].

– انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢١٢)، والثقات (٩/ ٢٥٦)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٥٢)، وتقريب التهذيب (ص١٠٥٨).

– وحماد بن زيد: هو ابن درهم الأزدي، ثقة، حافظ، ثبت، حجة، كثير الحديث. انظر: تهذيب التهذيب (٢/ ٤٢١-٤٢٣).

– وهذا إسناد حسن؛ لحال يحيى بن عباد.

١- سبق تخريجه (ص٩٥).

٢- سبق تخريجه (ص١٠٧-١٠٨).

٣- هكذا، وفي بعض نسخ المسند: تكونوا هم. قال السندي: قوله: أن تكونوهم، أي: أن تكونوا هم يا أهل الشام." هم " أي: أولئك الطائفة، فهي خبر الكون من باب استعارة المرفوع للمنصوب، والاتصال في خبر الكون، فجائز في العربية. انظر: حاشية السندي على المسند (٣٢/ ٤٦-٤٧).

٤- الطيالسي، المسند (ص٩٤)، رقم (٦٨٩) وفيه: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علي الحق حتى يأتي أمر الله وإني أراكموهم يا أهل الشام"؛ وعنه: أحمد (٣٢/ ٤٦)، رقم (١٩٢٩٠) واللفظ له، حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا شعبة، عن أبي عبد الله الشامي قال:....

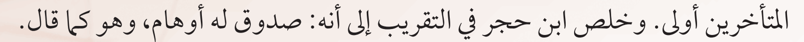

- وعَـنْ أَبِـى أُمَامَـةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِـنْ أُمَّتِى عَلَى الْحَـقِّ ظَاهِرِيـنَ لَعَدُوِّهِـمْ قَاهِرِيـنَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَـنْ خَالَفَهُـمْ، إِلاَّ مَـا أَصَابَهُمْ مِن لأْوَاءَ[1]، حَتَّـى يَأْتِيَهُـمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) قَالُوا: يَا رَسُـولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: (بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ[2] بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[3].

- وأبو عبد الله الشـامي: ذكره ابن أبي حاتم، وقال بعد إيراد حديثه: روى عنه شـعبة، وسألت أبي عنه فقال: لا يسمى، ولا يعرف، وهو شيخ. الجرح والتعديل (٩/ ٤٤٨).
- وقال ابن حجر: أبو عبد الله الشـامي، عن معاوية، وعنه شـعبة، كذا ذكره الهيثمي، ولم أر له في أصل المسند ذكراً.
- والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الفتن، باب لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق (٧/ ٥٦٣)، رقم (١٢٢٤٤)، وقال: أبو عبد الله الشامي، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح.
- فهذا الإسـناد ضعيف؛ لجهالة أبي عبد الله الشـامي، ولكن الحديث حسـن بالشواهد التي تقدم ذكر بعضها.

١- الـلأواء: الشـدة؛ إما في المعيشـة؛ من جـدب وقحط، أو حصـار، وإما في الأبـدان، من الأمراض والعلـل أو الجـراح. تهذيب الآثـار (٢/ ٣٨٥) للطـبري ، وانظر: النهاية في غريـب الحديث والأثر (ص٨٢٣).

٢- جمـع كَنَف، والكنـف: الجانب، أو: الناحية. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٨١٤)، ولسـان العرب (٧/ ٧٤٣).

٣- أحمـد - رواه عنـه ابنه عبد الله وجـادة، قال: "وجدت بخـط أبي..." - (٣٦/ ٦٥٦-٦٥٧)، رقم (٢٢٣١٩) حدثنـي مهـدي بن جعفـر الرملي، حدثنا ضمرة، عن السـيباني، عن عمـرو بن عبد الله الحضرمي به.
- مهدي بن جعفر الرملي: وثقه ابن معين، وقال صالح بن محمد (جزرة): لا بأس به.
- وقال ابن عدي: يروي عن الثقات أشـياء لا يتابعه عليها أحد، وقول ابن عدي ليس في الكامل؛ بل في تاريخ دمشق، كما أشار إليه الذهبي في الميزان.
- وقـال ابـن حبان: ربـما أخطأ، وقال البخـاري: حديثه منكر، وقول البخاري منقـول عن الذهبي في الميزان.
- قـال صاحبـا تحريـر التقريب تعقيباً على ذلـك: لم نقف عليه في كتب البخـاري، ولا فيما نُقِل عنه من أقواله، فالله أعلم بصحة ذلك.
- قـال الباحـث: يبقـى الأمر في دائـرة الاحتمال، وتقديم قـول الذهبي -والحالة هـذه- على غيره من



المتأخرين أولى. وخلص ابن حجر في التقريب إلى أنه: صدوق له أوهام، وهو كما قال.

- انظر: الثقات (٩/ ٢٠١)، وتاريخ دمشق (٦١/ ٢٧٩)، وميزان الاعتدال (٥/ ٣٢٠) للذهبي، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣٧٦)، وتقريب التهذيب (ص٩٧٦)، وتحرير التقريب (٣/ ٤٢٤).
- وضَمْرة: هو ابن ربيعة الفلسطيني، ثقة ثبت. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٨٨-٨٩).
- والسيباني: هو يحيى بن أبي عمرو، أبو زرعة الحمصي، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٢٧٧-٢٧٨).
- وعمرو بن عبد الله الحضرمي: هو أبو عبد الجبار السيباني - وفي أكثر النسخ المطبوعة: الشيباني، وهو خطأ - الحمصي، وثقه العجلي وابن حبان، وسكت عنه البخاري في التاريخ الكبير، وقال ابن حجر: مقبول.
- انظر: التاريخ الكبير(٦/ ١٦٢)، وتاريخ الثقات (ص٣٦٥)، والثقات (٥/ ١٧٩)، وتقريب التهذيب (ص٧٤٠).
- وهذا إسناد ضعيف؛ لحال مهدي بن جعفر الرملي.
- وتابع عيسى بن محمد بن إسحاق النحاس مهديَّ بن جعفر عند الطبراني في المعجم الكبير(٨/ ١٧١)، رقم (٧٦٤٣) من طريق يحيى بن عبد الباقي الأذني، عن أبي عمير عيسى ابن محمد بن إسحاق النحاس، عن ضمرة بن ربيعة به، وليس فيه: "وأكناف بيت المقدس".
- ويحيى بن عبد الباقي الأذَني: هو أبو القاسم الثغري، وثقه الخطيب البغدادي، وابن المنادي.
- انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٧)، وتاريخ دمشق (٦٤/ ٣٠٥).
- وعيسى بن محمد بن إسحاق النحاس: هو أبو عمير الرملي، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٨-٣٤٩). وبقية رجاله سبقت الترجمة لهم.
- وبهذه المتابعة يرتقي الحديث إلى الحسن، سوى لفظة " وأكناف بيت المقدس " فلم يتابع فيها النحاس مهدي بن جعفر.
- ثم وجدت متابعاً لمهدي بن جعفر عند الطبري، تهذيب الآثار، مسند عمر بن الخطاب (٢/ ٨٢٣)، رقم (١١٥٨) من طريق أحمد بن الفرج الحمصي عن ضمرة به، وزاد فيه: "وهم كالإناء بين الأكلة" بعد قوله: "إلا ما أصابهم من لأواء".
- وأحمد بن الفرج الحمصي: هو أبو عتبة المعروف بالحجازي، المؤذن بجامع حمص. قال ابن أبي حاتم: كتبنا عنه، ومحله الصدق، وقال مسلمة بن قاسم: ثقة مشهور، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ، وخلص ابن حجر في التقريب إلى أنه: مقبول، فمثله يصلح حديثه للمتابعة.
- انظر: الثقات (٨/ ٤٥)، ولسان الميزان (١/ ٥٧٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ٩٣-٩٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٦).

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَوْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عِصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ وَلَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»[1].

- وعن أبي هريرة وابن السِّمط[2] كانا يقولان: لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَذَلِكَ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي عِصَابَةٌ قَوَّامَةٌ عَلَى أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَ حَرْبٌ نَشَبَ حَرْبُ قَوْمٍ [آخَرِينَ][3]، يُزِيغُ اللهُ قُلُوبَ قَوْمٍ لِيَرْزُقَهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ

١- إسناده: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد، حدثنا محمد بن عجلان...

أحمد (١٤/ ٢٥)، رقم (٨٢٧٤)، و(١٤/ ١٨٦)، رقم (٨٤٨٤) بنحوه، و(١٤/ ٤٩٨)، رقم (٨٩٣١) بنحوه، من طريق ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح به.

- أبو عبد الرحمن: هو عبد الله بن يزيد العدوى، المعروف بالمقرئ الصغير. ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٥٤١-٥٤٢).

- وسعيد: هو ابن أبي أيوب الخزاعي مولاهم، ثقة ثبت. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٢).

- ومحمد بن عجلان: هو أبو عبد الله المدني القرشي، وثقه سفيان، ويحيى بن معين، وأحمد، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، والعجلي.

- وقال يعقوب بن شيبة: صدوق وسط، وقال الساجي: هو من أهل الصدق.

- وقال يحيى القطان: كان سعيد المقبري يحدث عن أبي هريرة، وعن أبيه عن أبي هريرة، وعن رجل عن أبي هريرة، فاختلطت عليه - أي على ابن عجلان - فجعلها كلها عن أبي هريرة.

- قال ابن حبان: ليس هذا يوهن الإنسان به؛ لأن الصحيفة في نفسها صحيحة.

- وأسند العقيلي عن يحيى بن معين: أن ابن عجلان كان مضطرب الحديث في حديث نافع.

- انظر: تاريخ ابن معين (٢/ ٥٣٠)، والجرح والتعديل (٨/ ٥٨)، والضعفاء (٤/ ١١٨)، والثقات (٧/ ٣٨٦)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٢١-٣٢٢).

- فعلة ابن عجلان فيما يرويه عن سعيد المقبري، ونافع، وهذا الحديث ليس من رواية هذا أو ذاك، فإسناده صحيح.

٢- هو: شُرحبيل بن السِّمط بن الأسود الكندي، أبو يزيد، جاهلي إسلامي، وفد إلى النبي ﷺ، وشهد القادسية - وكان من فرسانها -، وافتتح حمص، واستُعمل عليها، واختلفوا في صحبته، والأظهر أنه صحابي كما ذهب إليه البخاري وغيره، توفي سنة ٣٦هـ، وقيل: غير ذلك. انظر: الإصابة (٣/ ٢٦٦-٢٦٧)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٦١٢-٦١٣).

٣- هذه الزيادة من: تاريخ دمشق (١/ ٢٤٤).



كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَيَفْزَعُونَ لِذَلِكَ حَتَّى يَلْبَسُوا لَهُ أَبْدَانَ الدُّرُوعِ». وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمْ أَهْلُ الشَّامِ» وَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُصْبُعِهِ يُومِئُ بِهَا إِلَى الشَّامِ حَتَّى أَوْجَعَهَا[1].

- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ ناسٌ من أمتي ظاهرينَ على الحق»[2].

١- التاريخ الكبير (٤/ ٢٠٨)، رقم (٢٦٩١) مختصراً للبخاري، والمعرفة والتاريخ (٢/ ١٧٠) واللفظ له، كلاهما عن عبد الله بن يوسف، عن يحيى بن حمزة، عن نصر بن علقمة، عن كثير بن مرة، وعمرو بن الأسود به.

- عبد الله بن يوسف: هو أبو محمد الكلاعي المصري، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٥٤٤).

- ويحيى بن حمزة: هو أبو عبد الرحمن البتلهي، وثقه ابن معين، وأحمد، ويعقوب بن شيبة، وأبو داود، ويعقوب بن سفيان، وأبو حاتم، والنسائي، وغيرهم.

- وقال ابن معين، وأبو داود: كان قدرياً. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٢١٩-٢٢٠).

- قال الباحث: ورميه بالقدر لا يضر هنا؛ لأن الحديث لا يؤيد بدعته، ثم هو غير داعية إليها.

- ونصر بن علقمة: هو أبو علقمة الحضرمي، وثقه دحيم، والذهبي، وذكره ابن حبان في الثقات.

- قال ابن حجر في التقريب: مقبول.

- انظر: الثقات (٩/ ٢١٣)، والكاشف (٢/ ٣١٩)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٩٣-٤٩٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٩٩).

- قال الباحث: والأظهر في نصر بن علقمة أنه ثقة، إذ لم يُذكر بجرح، ووثقه غير واحد من الأئمة.

- وكثير بن مرة: الرُّهاوي، أبو شجرة، ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٥٦٥-٥٦٦).

- وعمرو بن الأسود: العنسي - ويقال له عمير -، أبو عياض. قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه كان من العلماء الثقات، ووهَّمَ ابن حجر من عده في الصحابة. انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ١١٧).

- فهذا إسناد صحيح؛ رجاله كلهم ثقات.

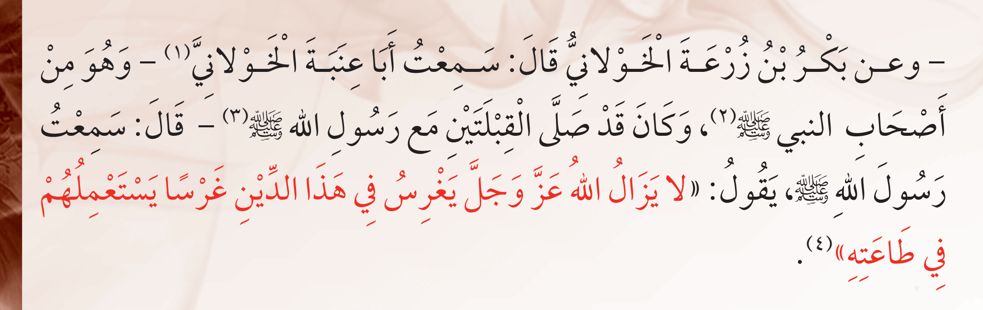
٢- الطيالسي (١/ ٤٢-٤٣)، رقم (٣٨) مطولاً وفيه قصة، ومن طريقه: الدارمي، كتاب الجهاد، باب لا يزال طائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق (٣/ ١٥٧٨)، رقم (٢٤٧٧) واللفظ له، أخبرنا أبو بكر بن بشار، حدثنا أبو داود الطيالسي، عن همام، عن قتادة، عن عبد الله بن بريدة، عن سليمان بن الربيع العدوي به.

- وأبو بكر بن بشار: هو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري، ثقة. تقريب التهذيب (ص٨٢٨).

- وهمام: هو ابن يحيى بن دينار، ثقة ربما وهم، وهو ثبت في قتادة، كما نص عليه ابن معين وغيره. انظر:

تهذيب التهذيب (٩/ ٧٥-٧٦)، و تقريب التهذيب (١٠٢٤).

- وقتادة: ثقة مدلس من الثالثة، تقدم ذكره (ص٨١).
- وعبد الله بن بريدة: ثقة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٤٤)، وتقريب التهذيب (ص٤٩٣).
- وسليمان بن ربيع العدوي: سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير، وقال - بعد إيراده هذا الحديث من طريق عمرو بن مرزوق عن همام به -: " لا يعرف سماع قتادة من ابن بريدة، ولا ابن بريدة من سليمان ".
- وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: روى عنه: عبد الله بن بريدة. انظر: التاريخ الكبير (٤/ ١٢)، والثقات (٤/ ٣٠٩).
- فهذا إسناد ضعيف؛ فيه ثلاث علل:
- الأولى: عنعنة قتادة، والثانية: الانقطاع بين ابن بريدة وسليمان بن الربيع العدوي، والثالثة: جهالة سليمان بن الربيع العدوى، وقد انقلب على الألباني في الصحيحة (٤/ ٥٩٨) فقال: والربيع بن سليمان العدوي: لم أعرفه.
- وأورده ابن حجر في المطالب العالية، كتاب الفتن، باب نصرة أهل الحق (١٧/ ٥٩٥)، رقم (٤٣٥٢) قال: قال إسحاق: أخبرنا معاذ بن هشام صاحب الدَّستوائي، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي الأسود الدؤلي قال: انطلقت أنا وزرعة بن ضمرة مع الأشعري إلى عمر بن الخطاب فلقيت عبد الله بن عمرو، قال: يوشك أن لا يبقى في أرض العجم من العرب إلا قتيل أو أسير يحكم في دمه. فقال له زرعة: أيظهر المشركون على أهل الإسلام؟ فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني عامر بن صعصعة. فقال: لا تقوم الساعة حتى تدافَعَ مناكب نساء بني عامر بن صعصعة على ذي الخلصة - وثن كان من أوثان الجاهلية -. قال: فذكرنا لعمر قول عبد الله بن عمرو، فقال عبد الله أعلم بما يقول، ثلاث مرات، ثم إن عمر خطب يوم الجمعة فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، حتى يأتي أمر الله) .
- قال: فذكرنا لعبد الله بن عمرو قول عمر بن الخطاب، فقال عبد الله بن عمرو: صدق نبي الله ﷺ، إذا أتى أمر الله - عز وجل - كان الذي قلت. قلت (والقائل ابن حجر): فيه انقطاع بين قتادة وأبي الأسود، ورجاله ثقات.
- وهذا إسناد ضعيف؛ لعنعنة قتادة، والانقطاع بين قتادة وأبي الأسود الدؤلي.
- وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٩٣)، رقم (٨٦٥٣) من طريق عبيد الله بن عمر بن ميسرة - ووقع عنده مصحفا: عبد الله بن عمر بن ميسرة - من طريق معاذ بن هشام به، بنحو رواية إسحاق. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.



- وعـن بَكْـرُ بْنُ زُرْعَـةَ الْخَـوْلانيُّ قَالَ: سَـمِعْتُ أَبَا عِنبَـةَ الْخَـوْلانِيَّ[1] - وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النبي ﷺ[2]، وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ[3] - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «لا يَزَالُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّيْنِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»[4].

- وقـال الألبـاني في الصحيحة (٤/ ٥٩٨) معقباً على قول الذهبي: وهو الصـواب؛ فإن رجاله كلهم من رجال الشيخين.

- قال الباحث: وقول الحاكم، والذهبي، والألباني: ليس بذاك؛ لأنه وإن كان رواة الحديث من رجال الشـيخين، فإن هذه التركيبة (قتادة عن أبي الأسـود) ليسـت عند الشـيخين، فلينتبه لهذا فإنه مهم؛ حتـى لا يُتوسـع في شرط الشـيخين، فهذا إسـناد ضعيف أيضـاً، ولكن الحديث صحيح، تشـهد له الأحاديث السالفة الذكر.

١- اختلف في اسمه، فقيل: عبد الله، وقيل: عمارة، واختلف في صحبته، وممن عده من الصحابة: ابن سعد، والبخاري، وخليفة بن خياط، والبغوي، وابن حجر، وغيرهم.

- وأنكـر صحبتـه: أبو حاتـم، وأبو زرعـه الرازيان، والأظهر أنـه صحابي. انظـر: الكُنى (ص٦١٥) للبخاري، والإصابة (٧/ ٢٤٤)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢١٢-٢١٣).

٢- وقعت هذه الزيادة عند ابن حبان.

٣- وقعت هذه الزيادة عند ابن ماجه.

٤- إسناده: حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: أخبرنا الجراح بن مليح البهراني...

- أحمـد (٢٩/ ٣٢٥)، رقـم (١٧٧٨٧) واللفـظ لـه، وابـن ماجـه، المقدمة، بـاب اتباع سـنة النبي ﷺ (ص١٤)، رقـم (٩) بمثلـه، وابـن حبان، كتاب البر والإحسـان، باب ما جـاء في الطاعات وثوابها (٢/ ٣٢-٣٣)، رقم (٣٢٦) بمثله، ثلاثتهم من طريق الجراح بن مَليح، عن بكر بن زرعة به.

- الهيثم بن خارجة: أبو يحيى المروزي، وثقه ابن معين، وأحمد، والذهبي.

- وقال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: لا بأس به.

- وذكره ابن حبان في الثقات، وخلص ابن حجر في التقريب إلى أنه صدوق.

- والذي يظهر أنه: ثقة، وإليه ذهب صاحبا تحرير التقريب، وقالا: لا نعلم فيه جرحاً.

- انظـر: الجـرح والتعديـل (٩/ ٦٨)، والثقـات (٩/ ٢٣٦)، وتذكـرة الحفـاظ (٢/ ٤٦٩)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٠٤)، وتقريب التهذيب (ص١٠٣٠).

- والجـراح بـن مَليح: هو البَهراني، أبو عبـد الرحمن الحمصي. قال ابن معين، والنسـائي، وابن عدي: ليس به بأس.

- وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال ابن حجر: صدوق، وهو كما قال.

ومما سبق إيراده من الأحاديث؛ يتبين أن هذا الحديث رواه عن النبي ﷺ عدد غفير من الصحابة، وأوردنا أحاديث ثمانية عشر منهم، وهم: المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاذ بن جبل[1]، وثوبان، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وسعد ابن أبي وقاص، وعمران بن حصين، وسلمة بن نفيل، وقرة بن إياس، وزيد بن أرقم، وأبو أمامة الباهلي، وأبو هريرة، وشرحبيل بن السمط، وعمر بن الخطاب، وأبو عنبة الخولاني.

وصرح غير واحد من أهل العلم بتواتر هذا الحديث؛ ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، والسيوطي[3]، والكَتَّاني[4]، والغُمَاري[5]، والتويجري[6]،

- انظر: الكاشف (١/ ٢٩٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٣٥-٣٦)، وتقريب التهذيب (١٩٦).
- وبكر بن زُرعة: هو الخولاني الشامي. ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنة ثلاثة؛ إسماعيل بن عياش، والجراح بن مليح، وأبو المغيرة الخولاني.
- وقال ابن حجر: مقبول، وقال الألباني: "فمثله يمكن تحسين حديثه، وأما تصحيحه فبعيد".
- وقال صاحبا تحرير التقريب تعقيباً على قول ابن حجر: بل صدوق، فحديثه الواحد الذي أخرجه ابن ماجه، وأحمد: حسن. انظر: الثقات (٤/ ٧٥)، وتهذيب التهذيب (١/ ٥٠٤)، وتقريب التهذيب (ص١٧٥)، والسلسلة الصحيحة (٥/ ٥٧١)، وتحرير التقريب (١/ ١٨١)،
- قال الباحث: والأظهر أنه صدوق. فهذا إسناد حسن؛ لحال بكر بن زرعة، والجراح بن مليح.

١- وحديث معاذ: ما رواه عنه مالك بن يخامر السكسكي، ضمن حديث معاوية في البخاري، حيث صرح معاذ أنهم بالشام، وهذا يدل على إثباته وسماعه لأصل الحديث. صفة الغرباء (ص١٣٧).

٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٨١).

٣- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة (ص٢١٦).

٤- نظم المتناثر في الحديث المتواتر (ص١٥١).

- والكتاني: هو محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني، الفاسي، أبو عبد الله، ولد في فاس ١٢٧٤ هـ، رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر إلى المدينة سنة ١٣٣٢هـ، ثم إلى دمشق، وعاد إلى المغرب، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ، وله مصنفات كثيرة؛ منها: الرسالة المستطرفة، نظم المتناثر، المولد النبوي، وغيرها. انظر: الأعلام (٦/ ٧٢).

٥- الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة (ص١٦).

٦- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ٣٢٦).

والألباني[1]، وغيرهم.

والمتأمل في مجموع الأحاديث التي أوردناها؛ يرى أن عدداً منها قد أبانت عن مكان وجود الطائفة المنصورة، ومحلها؛ وهي الشام؛ ومن ذلك:

- قول معاذ رضي الله عنه: «وهم بالشام».

- وقوله ﷺ في حديث قرة بن إياس رضي الله عنه: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، ولا تزال طائفة...». وفيه إشارة إلى أن الطائفة المنصورة ببلاد الشام، وسبق شرح هذا الحديث، ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المبحث الرابع من الفصل الأول، فليراجع هناك.

- وقوله ﷺ في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «وإني لأرجو أن تكونوهم يا أهل الشام».

وفي رواية الطيالسي: «وإني أراكموهم يا أهل الشام».

- وقوله ﷺ في حديث أبي أمامة رضي الله عنه لما سئل: وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس».

- وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة، وشرحبيل بن السمط رضي الله عنه: «هم أهل الشام».

- وقوله ﷺ في حديث سلمة بن نفيل رضي الله عنه: «وعقر دار المؤمنين الشام» بعد ذكر خبر الطائفة المنصورة، وفيه إشارة إلى أن هذه الطائفة في بلاد الشام، وسبق شرح

- والتويجري: هو حمود بن عبد الله بن حمود تويجري، أبو عبد الله، ولد بالمجمعة في السعودية سنة ١٣٣٤ هـ، ودرس على شيوخها، وله إجازات كثيرة في علوم شتى، وتولى القضاء سنة ١٣٦٨ هـ، وعرف بغيرته على الإسلام، والتصدي لكل منحرف زائغ ضال، وهذا ظاهر في كتبه ومصنفاته، وصنف كتباً كثيرة؛ منها: إتحاف الجماعة، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، وتوفي سنة ١٤١٣ هـ. انظر: إتحاف النبلاء بسير العلماء (٢/ ١٨٧) لراشد الزهراني.

١- السلسلة الصحيحة (٦/ ٢/ ٨٥٠)، رقم (٢٨٥٧)، وصلاة العيدين في المصلى هي السنة (ص٤٦).

هذا الحديث، ونقل كلام العز بن عبد السلام، وغيرهم من أهل العلم في المبحث الأول من الفصل الثاني، فليراجع هناك.

- وقوله ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «لا تزال طائفة... حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال». ومعلوم أن أهل الشام هم الذين يقاتلون المسيح الدجال، وسوف يأتي بيان هذا وتوضيحه. في المبحث الأول من الفصل الرابع.

- وقوله ﷺ في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين...» وفي رواية أبي عوانة: «لا يزال أهل المغرب».

واختلف أهل العلم في المراد بالغرب على أقوال عدة [1]:

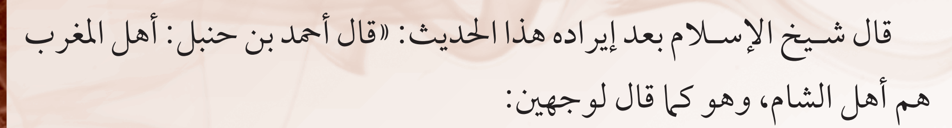
- فمنهم من ذهب إلى أن الغرب: الدلو الكبير، وأهل الغرب: هم العرب؛ لاختصاصهم بها (أي الدلو) غالباً.

- ومنهم من ذهب إلى أن المراد به: الغرب من الأرض؛ الذي هو ضد الشرق.

- ومنهم من ذهب إلى أن المراد به: الحِدَّة، وأهل الغرب: هم أهل القوة، والشدة، والجهاد.

- والصحيح من أقاويل أهل العلم أن المراد بالغرب، والمغرب: الشام، وهو الذي تشهد له النصوص التي أوردناها، وإليه ذهب الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن رجب، وابن حجر، والمباركفوري، وغيرهم.

١- انظرها في: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٣٤٨)، ومشارق الأنوار على= صحاح الآثار (٢/ ٢١٥)، وشرح النووي على مسلم (١٣/ ٧٠)، وفضائل الشام (١٨٧-١٨٨) لابن رجب، وفتح الباري (١٣/ ٣٥٨) ورجح أن المراد بالغرب: الشام، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٤/ ٥١٤) للسيوطي وقال بعد إيراده أقوال أهل العلم: "قلت: ولا يبعد أن يراد بالمغرب: مصر؛ فإنها معدودة في الخط الغربي باتفاق..." قال الباحث: وهذا الذي قاله السيوطي بعيد جداً، وما استدل به من النصوص، فهي ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة، والأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة (٥٦-٥٨).



قال شيخ الإسلام بعد إيراده هذا الحديث: «قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام، وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أن في سائر الحديث بيانَ أنهم أهل الشام.

الثاني: أن لغة النبي ﷺ وأهل مدينته في «أهل المغرب»: هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، كما أن لغتهم في أهل المشرق: هم أهل نجد والعراق، فإن التغريب والتشريق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقاً لغيره، وله شرق قد يكون غرباً لغيره، فالاعتبار في كلام النبي ﷺ بما كان غرباً وشرقاً له حيث تكلَّم بهذا الحديث، وهي المدينة»[١].

وقال ابن حجر في الفتح بعد إيراده الحديث، وبعض تفسيرات أهل العلم للغرب: «فالظاهر أن المراد بالغرب: البلد؛ لأن الشام غربي الحجاز»[٢].

وقال المباركفوري بعد إيراد أقول أهل العلم في المراد بالغرب: «وقيل: المراد بالغرب: المغرب، وهو بلاد الشام؛ لأنها في غرب الحجاز، والغرب متجهٌ إلى الشمال، ويؤيده....»[٣].

وينبغي أن نشير هنا إلى أن الأحاديث التي أوردناها؛ بعضها قد أبان عن الطائفة المنصورة، وحدد أنها متمثلة في أهل الشام، وبعضها أشار إلى مكان الطائفة المنصورة وعقرها؛ وهي بلاد الشام.

فعندنا إذاً مسألتان:

الأولى: من هي الطائفة المنصورة؟

والثانية: ما هو مكان وجود هذه الطائفة؟

١- مجموع الفتاوى (٢٧/ ٥٠٨).

٢- (١٣/ ٣٥٨).

٣- منة المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٩٨).

أمـا تحديـد الطائفة المنصورة فـإن «معرفة خصائصها وميزاتها يسـاعد كثيراً في تحديـد من هي هذه الطائفة؟ إذ إن للطائفة المنصورة منهجاً وسـمات، من توفرت فيه، فهو منها -فرداً كان أو جماعة -، ويمكن عرض أي دعوى تتعلق بذلك على هذه الخصائص؛ لِيَبِينَ مدى تطابقها معها، أو اختلافها عنها»[١].

ولذلك سأعرض هنا لأهم صفتين من صفات الطائفة المنصورة، ثم أتبع ذلك بذكر أقوال أهل العلم في تحديد هذه الطائفة.

الصفة الأولى: القتال في سبيل الله:

وهـي من أخص صفـات الطائفة المنصـورة؛ ولذلك جاء ذكر هـذه الصفة في غالب روايات الحديث، وإليك بيان ذلك:

- قولـه ﷺ في حديـث معاويـة رضي الله عنه: «لا تـزال عصابـة مـن أمتـي يقاتلـون علي الحق...».

- وقولـه ﷺ في حديـث جابـر بن سـمرة رضي الله عنه: «لن يبرح هذا الديـن يقاتل عليه عصابة من المسلمين...».

- وقولـه ﷺ في حديـث جابر بن عبـد الله، وعمران بن حصين، وسـلمة بن نفيل رضي الله عنهم: «يقاتلون على الحق».

- وقوله ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «يقاتلون على أمر الله».

- وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة، وشرحبيل بن السـمط رضي الله عنهما: «تقاتل أعداءها، كلما ذهب حرب نشب حرب قوم آخرين».

والمتأمـل في مجموع مـا أوردناه من نصوص؛ يرى تصريح النبـي ﷺ بذكر القتال؛ كوصف ملازم للطائفة المنصورة لا تنفك عنه، ولا ينفك عنها.

وأما باقي روايات الحديث فإن فيها إشارة ضمنية إلى القتال، والجهاد في سبيل الله؛ وذلك بذكر لفظ « الظهور » كما في حديث المغيرة بن شـعبة، وثوبان، وسـعد

١- صفة الغرباء (ص٢٠٦).

ابن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وعمر بن الخطاب.

وأما حديث قرة بن إياس فجاء فيه التعبير بلفظ: « منصورين».

وسأتناول هنا معنى الظهور؛ ليظهر لنا جلياً مدى تحقق وصف القتال للطائفة المنصورة.

المتأمل في مادة « ظهر »في اللغة يجد أنها «أصل يدل على قوة وبروز... ومن ذلك وقت الظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله: ظهر الإنسان؛ وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة... والظهور: الغلبة. قال تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[1]»[2].

ومن معاني الظهور التي ذكرها ابن منظور في اللسان: الوضوح، والبيان، والظفر، والغلبة[3].

وجاءت الكلمة في الأحاديث مطلقة، فهي شاملة لكل معاني الظهور. والظهور له معانٍ ثلاثة[4]:

الأول: الوضوح والبيان، والبروز والاستعلان، وعدم الاستتار.

وهذا من مقتضيات قيام الطائفة المنصورة بأمر الله، وقوامتها عليه _علماً وعملاً، ودعوةً وجهاداً – ولأن قيام هذه الطائفة بواجب الدعوة والبلاغ، وحرب المنكر، يقتضي أن تكون ظاهرة غير مستترة، حريصة على تبليغ صوت الحق لكل مسلم، بل لكل

١- سورة الصف، آية (١٤).

٢- مقاييس اللغة (ص٦٤٢) بتصرف يسير.

٣- (٦/ ٣٥-٤٠).

٤- انظرها في: الكواكب الدراري (شرح صحيح البخاري) (٢٥/ ١١٥) للكَرْمَاني، وفتح الباري (١٣/ ٣٥٧)، والتوشيح شرح الجامع الصحيح (٩/ ٤٢٣٨) للسيوطي، ومرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٧٤) واقتصروا جميعاً على المعنيين: الأول والثالث، أما المعنى الثاني – مضافاً إلى المعنيين السابقين – فأُشيرَ إليه في: صفة الغرباء (ص١٩٠)، وأعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة (٣/ ٢٣٢) لعبد الرحمن العلي.

إنسان[1].

الثاني: الثبات على الحق، والتمكن منه، والاعتصام به.

وهو - أيضاً - من مقتضيات قيام الطائفة المنصورة بأمر الله تعالى. ولا شك بأن ثبات الطائفة المنصورة على أمر الله رغم ما يحفها من الأهوال، ويكتنفها من المخاطر، والمخالفة، والخذلان، والشدة، واللأواء، والمحن والإحن، هو من أعظم صور النصر والظهور.

الثالث: العلو، والظفر، والغلبة. وهو على نوعين:

الأول: ظهور بالحجة والبيان.

الثاني: ظهور بالسيف والسنان.

وأشار الكَرماني إلى هذين المعنيين في قوله: «ظاهرين على الناس: أي غالبين على الناس بالبرهان، أو به وبالسنان»[2].

وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: «... وأمته ﷺ لا تجتمع على ضلالة، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة؛ فإن الله أرسله بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأظهره بالحجة والبيان، وأظهره باليد والسنان، ولا يزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة»[3].

ولا شك أن أهل الطائفة المنصورة هم أسعد الناس بظهور الحجة والبيان؛ وذلك لأنهم أهل الحق والعلم، ومخالفوهم أهل باطل وضلال، وأنى لظلمة الباطل أن تصاول نور الحق!

قال صاحب عون المعبود: «ظاهرين؛ أي غالبين على أهل الباطل ولو بالحجة»[4].

١- انظر: صفة الغرباء (ص١٨٩)، وأعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة (٣/ ٢٣٠).

٢- الكواكب الدراري (٢٥/ ١١٥).

٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٣٦٢).

٤- (٧/ ٣١٩).


وهـم كذلك أسـعد الناس بظهور السـيف والسـنان، بل إن بعـض الشراح قصر الظهور على هذا المعنى.

قـال ابن حجر: «اتفـق الشراح على أن معنى قوله: « على مـن خالفهم » أن المراد: علوهم عليهم بالغلبة...»[1].

وجاءت القرائن واضحة جلية في الدلالة على هذا المعنى في بعض الروايات، ومنها:

- قوله ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: «ظاهرين على من ناوأهم».

- وقوله ﷺ في حديث قرة بن إياس رضي الله عنه: «منصورين...».

- وقوله ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «قاهرين لعدوهم».

- وقوله ﷺ في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «لعدوهم قاهرين».

والمنـاوأة: النهـوض للقتـال[2]، والنصر والقهر عند الإطـلاق لا ينصرفان إلا للعلو المادي، ولا ينصرفان إلى غيره إلا بقرينة[3].

ونستطيع القول بعد استعراض معاني الظهور: أن هذه المعاني كلها تمهد الطريق أمام الطائفة المنصورة لتحقيق الظهور الأعظم بالسيف والسنان، والقهر لأعداء الله تعالى، وبه يعلو الحق، ويزهق الباطل، وتقوم دولة الإسلام، وتحكم شريعة الرحمن.

ومـن الجميـل ذكـره - ونحـن نتحـدث عـن القتال كوصـف مـلازم للطائفة المنصـورة - أن الروايات كلها جاء التعبـير فيها بلفظ القتال، وليس الجهاد؛ قطعاً للطريـق على من أُشْرِبُوا حب التأويل - والذي حقيقته التحريف -، ليمنعهم من تحريف هذه الصفة؛ ذلةً وصغاراً، وتقعيداً وتأصيلاً للخنوع والتخاذل[4].

١- فتح الباري (١٣/ ٣٥٨). والظاهر أن ابن حجر يقصد: غلبة السيف، فإن أراد ذلك فهذا متعقب بأن الاتفاق لم يقع، وسبق ذكر قول الكرماني وغيره في غلبة الحجة والبيان.

٢- شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٩).

٣- انظر: أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة (٢/ ٢٣٢).

٤- المصدر السـابق (٢/ ٣٤٣)، وبيان ذلك: أن النصوص لو عبَّرت بلفظ الجهاد، لربما حمله بعضهم

«هكـذا وصف لنا رسـول الله ﷺ الطـائفة المنصورة، وهكـذا بيَّن لأمته، وإذا جاء نهر الله ذهب نهر مَعقِل، وإذا جاء نص رسـول الله ﷺ فماذا بقي لغيره؟ وماذا عساه أن يقول؟ إنه لن يقول إلا باطلاً، كائناً من كان هذا الغير... إن أمر القتال هو أمـر إلهـي ليس لأحد أن يبطله، وإن رام أحد أن يـزوِّره، أو يُماحكه، فيكفيه ابتداءً أنـه لم يتشرف بموقع لـه في الطائفة المنصورة بل هو مخـذول ومن طائفة الخذلان، وسـيبقى شـاعراً أبد الدهر أنه مخذول ومهزوم، وأن الباطل بغطرسـته أقوى من الحق والإسلام الذي يمتلكه»[1].

وبنـاءً على ما تقدم فـإن بعض أهل العلم نصوا عـلى أن الطائفة المنصورة: هي الطائفة المقاتلة في سبيل الله.

قـال الإمام أحمد لما سـئل عن الطائفـة المنصورة: هم أهل المغرب – الشـام –، إنهم هم الذين يقاتلون الروم، وكل من قاتل المشركين فهو على الحق[2].

وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: «أما الطائفة بالشـام ومصر ونحوهما، فهم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهم من أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة»[3].

وقال التوربشتي[4]: «الأمة القائمة بأمر الله وإن اختلف فيها؛ فإن المعتد به من الأقاويل أنها الفئة المرابطة بثغور الشـام؛ نضر الله بهم وجه الإسـلام، لما في بعض طرق هذا الحديث: وهم بالشام، وفي بعضها: حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال،

على جهاد النفس، أو الشـيطان... إلخ، فالتعبير بلفظ القتال: يقطع الطريق أمام من تسـول له نفسه تحريف النصوص، وصرفها عن المراد منها.

١ – الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (ص٤٢) بتصرف يسير.

٢– مسائل ابن هاني (٢/ ١٩٢).

٣– مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٨٩).

٤– هو: فضل الله بن حسن التوربشتي (من أهل توربشت)، شهاب الدين، أبو عبد الله،= محدث فقيه حنفي، من أهل شيراز، له: الميسر في شرح مصابيح السنة. توفي سنة ٦٦١هـ.

– انظـر: طبقـات الشـافعية الكبرى (٤/ ١٤٩) للسـبكي، وطبقـات الشـافعية (٢/ ٣٤) لابن قاضي شهبة، والأعلام (٥/ ١٥٢).

وفي بعضها: قيل يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس»[1].

وقال السندي في حاشيته على النسائي - وهو يشرح حديث سلمة بن نفيل المتقدم في المبحث الأول من هذا الفصل -: «والمراد بالأمة (أي: في قوله ﷺ: لا تزال من أمتي أمة...): المجاهدون المؤمنون، وبالأقوام: الكفرة، والله تعالى أعلم»[2].

والذي يظهر: أن من تقدم ذكر أقوالهم من أهل العلم لا يقصرون الطائفة المنصورة على المجاهدين؛ فالإمام أحمد ثبت عنه - من غير وجه - أن الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث، وسيأتي بيانه عند الحديث عن الصفة الثانية من صفات الطائفة المنصورة، وكذلك شيخ الإسلام وصفهم بالقتال تارة، وبالعلم أخرى، وكان دقيقاً في عبارته؛ حيث قال: «ومن أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة...».

وظاهر هذا: أن الطائفة المنصورة ليست مقصورة على المجاهدين.

فمرادهم إذاً: أن المقاتلين هم أولى الناس دخولاً في الطائفة المنصورة، وهذا من تفسير الشيء ببعض أجزائه، وهو مشهور في كلام أهل العلم.

الصفة الثانية: العلم:

وهذه الصفة - كسابقتها - ملازمة للطائفة المنصورة، ولا تنفك عنها، بل لا قيام لهذا الطائفة إلا بها، وتقرير ذلك بما يلي:

أولاً: أن النبي ﷺ جمع بين العلم، وذكر الطائفة المنصورة في حديث معاوية: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله).

وفي رواية مسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»[3].

١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٤٠٤٧). وشرح المصابيح للتوربشتي ليس مطبوعاً.

٢- حاشية السندي على النسائي (٦/ ٥٢٤).

٣- سبق تخريج الحديث برواياته (حاشية ص ١١٤-١١٥).

فالمتأمل في الحديث -بروايتيه - يرى أن النبي ﷺ جمع بين العلم، والطائفة المنصورة إشارة منه ﷺ إلى أن الطائفة المنصورة لا تقوم ولا تظهر إلا بالعلم.

وقال القرطبي بعد إيراد هذا الحديث في تفسيره في سياق حديثه عن فضل العلم: «وظاهر هذا السياق: أن أوله مرتبط بآخره...»[1].

ثانياً: إخبار النبي ﷺ أن هذه الطائفة على الحق، وهو من أوضح الأدلة على اتصافها بالعلم؛ إذ إن العلم رائد الحق ودليله، فالحق هو العلم، والعلم هو الحق.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[3].

فبين تبارك وتعالى أنه آتى نبيه ﷺ العلم، وأنزله عليه.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[4].

فمن جمع بين الآيات، وفهم مراد الله؛ ظهر له: أن العلم المنزل هو الحق المنزل[5].

ثالثاً: وكذلك القيام بأمر الله تعالى - وهو شرعه، ودينه المنزل - من الدعوة إليه، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والظهور على أعداء الله بالبيان والسنان؛ كل ذلك لا يستقيم، ولا يبلغ الفواقة والسداد إلا بالعلم بشرع الله.

ومما سبق يتبين لنا مدى أهمية العلم، وضرورته للطائفة المنصورة؛ ولذلك ورد عن كثير من السلف أن الطائفة المنصورة هم: حملة العلم، وأهل الحديث.

١- الجامع لأحكام القران (٨/ ٢٩٦).

٢- سورة آل عمران، آية (٦١).

٣- سورة النساء، آية (١١٣).

٤- سورة محمد، آية (٢).

٥- انظر: أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة (١/ ٢٦١-٢٦٢).



وإليك بعض أقوالهم:

- قال عبد الله بن المبارك: «هم عندي أصحاب الحديث»[١].

- وقال يزيد بن هارون: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[٢].

- وقال علي بن المديني: «هم أهل الحديث»[٣].

- وقال الإمام أحمد - وقد مر على نفر من أصحاب الحديث يعرضون كتاباً لهم -: (ما أحسب هؤلاء إلا ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة»)[٤].

وقال - أيضاً - في حديث (لا يزال الله يغرس غرساً يستعملهم في طاعته): «هم أصحاب الحديث»[٥].

- وقال الإمام البخاري: «هم أهل العلم»[٦].

- وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم، وأصحاب الآثار»[٧].

- وبوَّب ابن حبان في صحيحه: «ذكر إثبات النصرة لأهل الحديث إلى قيام الساعة»[٨]، ثم ذكر حديث قرَّة بن إياس رضي الله عنه.

١- شرف أصحاب الحديث (ص٦١) للخطيب البغدادي.

٢- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، باب فضل الطالب لسنة رسول الله ﷺ والراغب فيها والمستن بها (ص١٧٨) للرامهرمزي، وشرف أصحاب الحديث (ص٥٩).

٣- الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشام (ص٤٩٦)، وشرف أصحاب الحديث (ص٣٠).

٤- المجروحين (ص٨٩).

٥- الآداب الشرعية (١/ ٢٣٠) لابن مفلح.

٦- البخاري، كتاب الاعتصام، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، رقم (١٣٩٥).

٧- شرف أصحاب الحديث (ص٦٢).

٨- ابن حبان، كتاب العلم (١/ ٢٣٢).

وهو قول الإمام الرامهرمزي[1]، والحاكم النيسابوري[2]، واللالكائي[3]، وغيرهم كثير.

ونقل الإمام النووي هذا عن جمهورهم، فقال - وهو يتحدث عن فضل أهل العلم -: «ومع هذا،فلهم في أنفسهم فضائل ظاهرة، وفي حفظ العلم آيات باهرة. ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق،لا يضرهم من خذلهم»، وجملة العلماء، أو جمهورهم على أنهم حملة العلم[4].

وبعد هذا السرد لأقوال الأئمة في بيان الطائفة المنصورة، ووسمها بالعلم، والانتماء إلى الحديث؛ بقي أن نبين معنى هذا المصطلح عند السلف -رحمهم الله-، وهل أرادوا به المشتغلين بعلم الحديث رواية ودراية، تخريجاً وتحقيقاً، وجمعاً ودراسةً...؟

أستهل الإجابة عن هذا التساؤل بنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية؛ حيث قال: «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه،أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته،وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن. وأدنى خصلة في هؤلاء: محبة القرآن والحديث، والبحث عنهما، وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما. ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم»[5].

١- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي،(ص١٥٩ - ١٦٠).

٢- معرفة علوم الحديث (ص٢-٤).

٣- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٤-٢٦).

٤- تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٧).

٥- مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥).

وما أجمل ما قاله الشيخ العثيمين في معرض إجابته عن صحة[1] قول من قال من السلف: إن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث؛ حيث قال: «هذا ليس بصحيح على إطلاقه؛ بل لابد من التفصيل، فإن أريد بذلك: أهل الحديث المصطلح عليه، الذين يأخذون الحديث رواية ودراية، وأُخرج منهم الفقهاء، وعلماء التفسير، وما أشبه ذلك؛ فهذا ليس بصحيح؛ لأن علماء التفسير والفقهاء الذين يتحرون البناء على الدليل؛ هم في الحقيقة من أهل الحديث، ولا يختص بأهل الحديث صناعة؛ لأن العلوم الشرعية تفسير،وحديث، وفقه... إلخ.

فالمقصود: أن كل من تحاكم إلى الكتاب والسنة؛ فهو من أهل الحديث بالمعنى العام.

وأهل الحديث هم: كل من يتحرى العمل بسنة النبي ﷺ، فيشمل الفقهاء الذين يتحرون العمل بالسنة، وان لم يكونوا من أهل الحديث اصطلاحاً....

ويخشى من التعبير بأن الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث؛ أن يُظن أنهم أهل الحديث الذين يعتنون به اصطلاحاً، فيخرج غيرهم.

فإذا قيل: أهل الحديث بالمعنى الأعم: الذين يأخذون بالحديث، سواء انتسبوا إليه اصطلاحاً واعتنوا به، أو لم يعتنوا،لكنهم أخذوا به؛ فحينئذ يكون صحيحاً»[2].

ولذلك ذكر بعض أهل العلم - كالبخاري، وأحمد بن سنان، ونقله النووي عن جمهورهم- أن الطائفة المنصورة: هم أهل العلم. ولا شك أن العلم إذا أطلق فإنه يشمل: علم الحديث، وغيره من علوم الشريعة.

وقال القاضي عياض - مبيناً مراد الإمام أحمد بقوله: أهل الحديث -: «إنما أراد أحمد: أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث» [3].

١- المراد بالصحة هنا: صحة المعنى لا الثبوت.

٢- القول المفيد على كتاب التوحيد (ص١٨٢-١٨٣).

٣- إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٣٥٠)،ونقله النووي في شرحه على مسلم (١٣/ ٦٩) مقراً له.

ويشبهه قول الإمام الإسفراييني: «وليس في فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول ﷺ، وأكثر تبعاً لسنته من هؤلاء (يقصد السلف)؛ ولهذا سُمُّوا: أصحاب الحديث، وسُمُّوا: بأهل السنة والجماعة»[1].

ولهذا فإن شيخ الإسلام قال في مستهل العقيدة الواسطية: «أما بعد؛ فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة؛ أهل السنة والجماعة»[2].

فأهل الحديث: هم أهل السنة والجماعة، المتبعون لما كان عليه الرسول ﷺ، والصحابة من بعده، السائرون على الهدى الأول، المتميزون بوضوح التصورات، وسلامة المنهج، الملتزمون بالدليل في الاعتقاد والفقه، المستقيمون على الجادة في الخلق والعبادة والسلوك، وهم الذين جانبوا أصحاب الكلام؛ الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ويحرفون نصوص الكتاب والسنة بما يوافق عقولهم ومنطقهم، وجانبوا أصحاب الرأي؛ الذين يقدمون الآراء والأقيسة على نصوص الكتاب والسنة[3].

ومما ينبغي أن يُذكر: أن الطائفة المنصورة لها صفات أُخر[4] - غير صفتي العلم والقتال -، فهي طائفة قائمة بأمر الله وشرعه، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، صابرة على كل ما يعترض طريقها من الشدة واللأواء، ثابتة على الحق رغم المخالف والمخذل، وقلة الناصر والمعين،واضحة المنهج والولاء، والمعالم والانتماء، والأفكار والتصورات.

١- التبصير في الدين (ص١٨٥).

٢- العقيدة الواسطية بشرح العثيمين (ص٣٢).

٣- انظر: تأويل مختلف الحديث (ص٢٧) لابن قتيبة، والجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج (ص٨٤)، وصفة الغرباء (ص٢٠٩).

٤- وممن أفردها بالتصنيف: عبد الرحمن العلي، أعلام السنة المنشورة في صفات الطائفة المنصورة، وعبدالمنعم مصطفى حليمة، صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادنا، وعدنان عرعور، صفات الطائفة المنصورة ومفاهيمها، وأطال النفَس في بيانها: سلمان العودة في رسالته: صفة الغرباء (ص١٦٦-٢٠٦).

وإنـما ذكرنا العلم والقتال،لورود هاتين الصفتين في غالب الروايات، حتى صارتا علماً على الطائفة المنصورة؛ ولذلك رأينا من أهل العلم عدداً غير قليل يشير إلى أن الطائفة المنصورة: هم أهل العلم، أو أهل الجهاد والقتال.

كما أن الطائفة المنصورة لن يتحقق لها الظهور - بكل أشكاله -، والنصرة، إلا بالعلم والقتال.

وهل ما ذكرناه عن الطائفة المنصورة بأنهم أهل العلم، ينافي وصفهم بأنهم أهل القتال والجهاد؟

ليـس بـين هذيـن الوصفين تعـارض، فـإن أولى النـاس بالقتال في سـبيل الله، والدعـوة إليـه، والأمـر بالمعروف، والنهـي عن المنكـر، ومحاربة أهـل البدع، هم المشـتغلون بعلـم الشريعة - عقيدة، وفقهـاً، وحديثاً، وتفسـيراً، وتعليماً، ودعوةً، وتطبيقاً - إذ إن ما ذكرنا لا يستقيم إلا إن اقترن بالعلم[1].

ثم إن قول من قال من أهل العلم: إن الطائفة المنصورة هم أهل العلم،فإن هذا من تفسـير الشيء ببعض أجزائه، ولا يفيد قصرها عليهم،وهذا على نحو ما ذكرنا في تخريج قول من قال: إن الطائفة المنصورة هم أهل القتال.

وبقـي أن نقول: هل يتعارض مـا ذكرنا مع إخبار النبي ﷺ عـن الطائفة المنصورة أنهم أهل الشام؟

والذي يظهر أننا لا نسـتطيع حصر الطائفة المنصورة بأهل الشام،وذلك لأسباب، منها:

١- أن أكثر النصوص خلت من تقييد الطائفة المنصورة بالشام وأهلها.

٢- أن في قصر الطائفة المنصورة على أهل الشام حرماناً لمن كان على الحق،وناصراً له في غير بلاد الشام، أن يلتحق بالطائفة المنصورة[2].

١- انظر: صفة الغرباء (ص٢١١).

٢- مجلة البيان، عدد (١٧٢)، الطائفة المنصورة تنقذ الموقف (ص٨)، لأحمد بن عبد الله الزهراني.

٣- ما سيأتي ذكره من أقوال أهل العلم في ذلك.

ويمكننا أن نقول: إن إخبار النبي ﷺ عن الطائفة المنصورة أنهم أهل الشام؛ إنما يكون ذلك في آخر الزمان، فأهل الشام حينها أسعد الناس بالانتماء إلى الطائفة المنصورة؛ وذلك أن بلادهم تكون معقل العلم والإيمان، ومركز القتال والصراع مع أعداء الله، فإن أهل الشام في آخر الزمان يقاتلون اليهود، والروم، والدجال، وأمم الكفر والإلحاد، ويكاد وصف الطائفة المنصورة ينحصر فيهم.

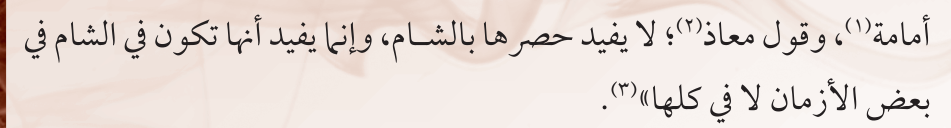
وألمح إلى هذا الحافظ ابن رجب؛ حيث قال: «وأما من قال من العلماء إن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وأحمد ابن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري، وغيرهم، فإنه غير مناف لما ذكرناه؛ لأن الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان، وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين، فلا بد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة، القائمون بالحق، الذين لا يضرهم من خذلهم»[١].

قال المباركفوري في شرحه على قول النبي ﷺ: (لا يزال أهل الغرب...): «وليس معناه: أن هذه الطائفة تكون محصورة في هذه المنطقة؛ بل المقصود: بيان أنها تجتمع عند ظهور الدجال إلى هذه الأماكن لقتاله، كما هو مصرح به في بعض الروايات»[٢].

وقال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في شرحه على حديث ثوبان: « فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي

١- فضائل الشام (ص١٩٥).

٢- منة المنعم في شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٩٨).



أمامة[1]، وقول معاذ[2]؛ لا يفيد حصرها بالشـام، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها»[3].

وقال التويجري: «الظاهر من حديث أبي أمامة، وقول معاذ: أن ذلك إشارة إلى محل هذه الطائفة في آخر الزمان، عند خروج الدجال، ونزول ابن مريم عليه السلام"[4].

والقول بأن الطائفة المنصورة لا تنحصر في بلد معين؛ هو ظاهر كلام الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والنووي، وغيرهم.

فالإمام أحمد لما سئل عن الطائفة المنصورة قال: «هم أهل المغرب – الشام –، إنهم هم الذين يقاتلون الروم، كل من قاتل المشركين فهو على الحق»[5].

فقوله: (كل من قاتل المشركين فهو على الحق)؛ فيه إشـارة إلى أن الطائفة المنصورة لا تنحصر في بلاد الشام،فحيثما كان قتال المشركين، كانت الطائفة المنصورة.

وأما شيخ الإسلام فقد سبق النقل عنه بأن المقاتلين في الشام ومصر ونحوهما؛ هم أحق الناس دخولاً في الطائفة المنصورة[6].

فظاهر كلامه أنه لم يقصرها على بلاد الشام، بل هي في الشام ومصر ونحوهما، ويدخل فيها كل من يقاتل عن دين الإسلام.

وأمـا كلام النووي، فإنه أصرح من ذلـك، حيث قال: «يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث،

١- الذي فيه: (هم بببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس) وقد سبق تخريجه (ص١٢٠).

٢- أي: "وهم بالشام" وقد سبق تخريجه (ص١١٤).

٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٢٩٢).

٤- إتحـاف الجماعـة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط السـاعة (٢/ ٣٣٣)، وانظـر كلاماً قريباً منه في صفة الغرباء (ص٢٢١).

٥- مسائل ابن هاني (٢/ ١٩٢).

٦- انظر: (ص٩٧).

ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة، ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله»[١].

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى مسألة؛ وهي أن بلاد الشام وأهلها لا تخلو من الطائفة المنصورة؛ وذلك لأن النبي ﷺ قال: (لا يزال أهل الغرب...)، وأهل الغرب هم أهل الشام كما سبق بيانه.

وقوله ﷺ: (لا يزال) يدل على الاستمرارية، وعدم الانقطاع كما هو معلوم.

فدل هذا على أن الطائفة المنصورة لها وجودها في الشام - موطناً وأهلاً - على مر العصور والأزمان، وأنه مهما تضاءل أثرها وحجمها؛ إلا أنها لا تنعدم كلياً من بلاد الشام[٢]، وتمام ظهورها إنما يكون في آخر الزمان.

وألمح إلى هذا شيخ الإسلام في قوله: «والنبي ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير الشام من أرض الإسلام؛ فإن الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها العلم والإيمان والنصر والجهاد، وكذلك اليمن والعراق والمشرق، وأما الشام فلم يزل فيها العلم والإيمان ومن يقاتل عليه منصوراً مؤيداً في كل وقت »[٣].

١- أصل هذا الكلام للنووي في شرحه على مسلم (١٣/ ٦٩)، ونقله عنه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٥٨) مقراً له، مع زيادات مهمات، وقال بعد نقله: "انتهى ملخصاً مع زيادة فيه" وآثرت نقل كلام ابن حجر لما فيه من زيادة البيان والإيضاح.

٢- انظر كلاماً قريباً من هذا في: صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها (ص٧٥).

٣- سبق نقله (ص٨٠-٨١) وإنما أعدته هنا لأهميته في هذا السياق.



تنبيهان:

الأول: أورد الغُـماري في كتابـه «الأجوبـة الصارفـة لإشـكال حديـث الطائفـة» (ص ٥١-٥٤) عدداً من أحاديث الطائفة المنصورة، والتي فيها ذكر الشام وأهلها، وقـد أوردنـا عدداً منها آنفـاً، ثم عقَّب قائـلًا: «وكل هذا لا أصل لـه، إنما هو من مفتريـات الكذابـين الداعين إلى بني أميـة، ومعاوية ودولته، كما سـأبينه»، ثم قال (ص ٦٤-٦٥): «وكذلـك من قال (أي: عن الطائفة المنصورة) إنهم أهل الشـام، فإنـه بنى قوله عـلى الأحاديث الـواردة بذلك، وهي كلها باطلـة موضوعة مخالفة للواقع، ثم هي من رواية الشـوام الكذابين الواضعين، أو من وافقهم من غيرهم، وما كان ظاهر سنده الصحة فذلك من غلط الموثقين، فإن البلاء في تلك الأحاديث من الطبقة الأولى التي كانت مع معاوية؛ الذي كان يأمرهم بروايتها،

وقـد يلقنهـم إياها؛ لأنـه كان يغوي بذلـك أهل الشـام؛ ليجمعهم عليـه لمحاربة الإمـام الحـق، فكان ينسـب الحق إلى أهل الشـام حتـى لا يفروا عنـه، لاعتقادهم أنـه باغ خـارج عن الإمام الحق، وأدلُّ دليل وأصدق شـاهد عـلى ذلك (أي: على كذب تلك الأحاديث في ظنه) الواقع؛ فإنه لا توجد أحاديث كثيرة متعددة بعضها مروي بالأسانيد الصحاح ظاهراً، وكلها مخالفة للواقع، لا توافق منه حرفاً واحداً من القرن الأول إلى وقتنا هذا، إلا أحاديثَ فضل الشام، وانحصار الحق في أهله، وأنـه معقل الإسـلام آخـر الزمان، وأنـه وأنه.... ممـا لم يصادق الواقع شـيئاً منه، بـل الأمر بالعكس، فإن الشـام في أول الإسـلام كان شـؤماً على الإسـلام بنصرة الباغية[1]، والفتك بأهل رسـول الله ﷺ، ثـم لما انتقل الملك إلى بني أمية؛ صار (أي الشـام) خامـلًا لا أثر له في الإسـلام أصلاً، ثم في هذا العصر صـار معقل الزندقة والتفرنـج، والكفر والإلحاد؛ كما هو مشـاهد معلوم لكل أحـد، فمن ظن مع هذا

١- هكذا، ولعل في الكلام حذفاً؛ فالسياق يقتضي أن يقال: بنصرة الفئة الباغية.

صدق تلك الأحاديث، فهو مجنون أو ملحد؛ يريد إدخال الشك في خبر الصادق ﷺ، على أننا لو نقضنا تلك الأحاديث الوارد فيها تعيين الطائفة بأنها في الشام؛ لظهر أن أسانيدها كلها واهية، إلا أن ذلك يطول، وفي مخالفتها للواقع أصدق نقد، وأوضح حجة على أنها مكذوبة باطلة، فلا نطيل بذلك».

قال الباحث: سبحانك ربي، هذا بهتان عظيم، ظلمات بعضها فوق بعض، فإن الغماري لم يكتفِ بردِّ ما صحَّ عن النبي ﷺ على جهة العلم[1]؛ بل أضاف إليه طعناً وغمزاً، وكذباً وافتراءاً على الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان، ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم، وثالثة الأثافي أنه لما عجز عن نقد أسانيد تلك المتون التي صحت كالشمس؛ ردها بمخالفة الواقع الذي تخيله في ذهنه، وليس له في الحقيقة وجود، ولا أدري ماذا أقول، كان ينبغي لمثله -وهو ينسب نفسه لأهل الحديث- أن ينزه نفسه عن هذه السقطات، وتلك التُّرَّهَات، فكل سطر في كلامه يحتاج إلى رد، وإن كل الأحاديث والآثار والنقولات -ما سبق منها وما سيأتي- تنسف هذا الكلام وترده، نسأل الله الهداية والرشاد.

الثاني: قال الشيخ ابن باز وهو يعلق على حديث ثوبان في الطائفة المنصورة:

«وقد جاء في روايات: أنها تكون بالشام، لكن إن صح هذا فالمراد: أحياناً وليس دائماً، ولكن غالبها روايات ضعيفة وليس لها مكان معين، قد تجتمع وقد تفترق، وليس في حديث صحيح ما يدل على أنها تكون في مكان معين»[2].

قال الباحث: بل الأحاديث التي سبقت في تعيين الشام (موطناً)، وأهلها (جنداً) للطائفة المنصورة؛ كلها صحيحة؛ بل إن بعضها عند البخاري، كأثر معاذ رضي الله عنه، والذي له حكم الرفع كما بيناه آنفاً.

١- وذلك أن بعض ما ردَّه -كأثر معاذ الذي له حكم الرفع- في البخاري.

٢- شرح كتاب التوحيد (ص١٠٠).



المبحث الثالث
قتال اليهود في بلاد الشام

إن عداوة اليهود لله ولرسوله وللمؤمنين لا تخفى على مسلم، ولقد بدأت نيران الحقد تشتعل في قلوبهم على هذه الأمة مذ بعث الله نبيه ﷺ، فناصبوه العداء، وحاربوه وآذوه، وحاولوا قتله مرات ومرات، ولكن الله رد كيدهم إلى نحورهم، ومكَّن لرسوله من رقابهم؛ فقتل منهم من قتل، وسَبى من سَبى، وأجلى من أجلى، وكانت له معهم صولات وجولات.

وما برحت العداوة والبغضاء تعتمل في قلوبهم منذ تلك السنوات، وهاتيك العصور؛ تظهر كلما كانت الفرصة مواتية، يقتنصون نقاط الضعف في الأمة فيتسللون منها إلى مآربهم الخبيثة، حتى تحقق لهم مرادهم، وأقاموا رجسة الخراب[1] في بلاد الله المقدسة على حين غفلة من المسلمين، وشرود منهم عن الدين، وانفلات عن حبل الله المتين.

وسلكوا في المكر والظلم كل سبيل، وتولَّجوا كل طريق، فما بقي شيء إلا وصله شرُّهم، وطاله حقدهم، ولا زال عباد الله الموحدون ينازلونهم في الأرض المباركة، ويدفعون ظلمهم، وإنَّا لعلى ثقة بموعود الله ورسوله في قتالهم وهزيمتهم، فلقد بشرنا رسول الله ﷺ بقتالهم والنصرة عليهم في أكثر من حديث، وإليك هذه الأحاديث:

١-وهو مصطلح كتابي في الدلالة على دولة اليهود، وانظر لمعرفة تفاصيله: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب (ص٧٢) لسفر الحوالي.

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ»[1].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تُقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ»[2].

والمتأمل في الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ في قتال اليهود يرى أنها على وجهين:

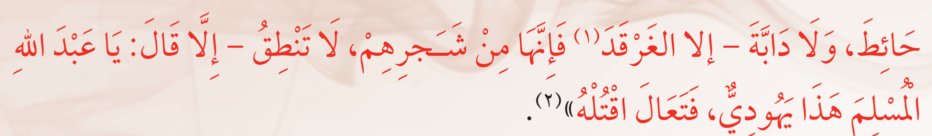
الأول: الأحاديث التي أخبرت عن قتالهم دون ذكرٍ للدجال، وهي تتمثل في حديثي أبي هريرة، وابن عمر رضي الله عنهما اللذين سبق إيرادهما.

الثاني: الأحاديث التي أخبرت عن قتالهم مقترناً بقتال الدجال، وهذه بعضها:

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثاً حدَّثناه عن الدجال، وحذَّرَناه، فكان من قوله أن قال: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ... فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا

١- البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود (ص٥٦١)، رقم (٢٩٢٥) واللفظ له، وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ص٦٨٧)، رقم (٣٥٩٣) وفيه: "تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم... الحديث"، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ص١١٧١)، رقم (٢٩٢١) بمثل السابق، كلاهما من حديث عبد الله بن عمر به، وله ألفاظ أخرى عند مسلم تأتي معنا في الشرح والتعليق.

٢- البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرير في الحرب (ص٥٦١-٥٦٢)، رقم (٢٩٢٦) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ص١١٧١)، رقم (٢٩٢٢) ولفظه: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"، وأحمد (١٥/ ٩٠)، رقم (٩١٧٢) مطولاً، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به.



حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ - إلا الغَرْقَدَ[1] فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ - إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»[2].

- وعن ثَعْلَبَةَ بْنِ عِبَادٍ الْعَبْدِيِّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: شَهِدْتُ يَوْمًا خُطْبَةً لِسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ... وَإِنَّهُ يَحْصُرُ (أي الدجال) الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

١- نوع من شجر العضاه، وشجر الشوك، واحدته الغرقدة؛ شجيرة ارتفاعها من متر إلى ثلاثة أمتار، بيضاء السوق والفروع، وهو معروف ببلاد بيت المقدس، وله وجود في فلسطين والأردن، وينبت على السفوح الصخرية، وقد أكثر اليهود من زراعته وغرسه في هذه الأيام حول مستوطناتهم وتجمعاتهم، ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة: بقيع الغرقد؛ لأنه كان فيه غرقد وقطع.

- انظر: غريب الحديث (٢١٥٤) لابن الجوزي، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦٦٩)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٥٢)، ومنة المنعم شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٦٦).

٢- ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (ص٦٧٦)، رقم (٤٠٧٧) قال: حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع، عن أبي زُرعة السيباني يحيى بن أبي عمرو، عن عمرو بن عبدالله الحضرمي به.

- وهذا إسناد ضعيف؛ فيه:

- عبد الرحمن المحاربي: لا بأس به، وكان مدلِّساً، من الثالثة. انظر: الضعفاء الكبير (٢/ ٣٤٨)، وطبقات المدلسين (ص٦٤).

- وإسماعيل بن رافع: هو الأنصاري، ضعفه يحيى بن معين، وأحمد، وأبو حاتم، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم كثير. انظر: من كلام الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال، رواية المرُّوذي (ص١٠٦)، الضعفاء والمتروكين (ص١٥٠) للنسائي، والضعفاء والمتروكين (ص٥٨) للدارقطني، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٠٨).

- وعمرو بن عبد الله الحضرمي: ذكره ابن حبان في الثقات، ولم يرو عنه غير يحيى بن أبي عمرو السيباني، وقال الحافظ في تقريب التهذيب: مقبول. انظر: الثقات (٥/ ١٧٩)، وتقريب التهذيب (ص٧٤٠).

- فالإسناد ضعيف، ولكن الحديث غالبه صحيح، قد جاء مفرقاً في أحاديث؛ كما ذكر الشيخ الألباني في: "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام" (ص٤٩)، وهذا الكتاب تناول فيه الشيخ حديث أبي أمامة وذكر شواهد فقراته؛ منها هذه الفقرة المتعلقة بقتال اليهود، فقد ذكر لها الشيخ أكثر من شاهد؛ منها: حديث ابن عمر، وحديث أبي هريرة اللذان سبقا، وكذلك حديث حذيفة بن أسيد، وسيأتي إن شاء الله.

وَجُنُودَهُ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ[1] الْحَائِطِ - أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ -، وَقَالَ حَسَنٌ الْأَشْيَبُ: وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ -لَيُنَادِي- أَوْ قَالَ: يَقُولُ -: يَا مُؤْمِنُ - أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ -، هَذَا يَهُودِيٌّ - أَوْ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ تَعَالَ فَاقْتُلْهُ[2].

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أعلمُ بها مع الدَّجَّال منه.... وَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيُنَادِي: يَا عَبْدَ اللهِ، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ فَاقْتُلْهُ فيُفنيهم[3] الله، ويظهر المسلمون...»[4].

١- الجِذْم: الأصل، والمراد: بقية حائط، أو قطعة من حائط. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٤٤).

٢- المسند (٣٣/ ٣٤٩)، رقم (٢٠٧١٨) قال: حدثنا أبو كامل، حدثنا زهير، حدثنا الأسود بن قيس، حدثنا ثعلبة بن عباد العبدي به.

- رجال الحديث ثقات؛ سوى ثعلبة بن عباد؛ ذكره ابن حبان في الثقات (٤/ ٩٨)، وقال ابن حجر في التقريب (ص١٨٨): مقبول، وصحح الترمذي حديثه في السنن (رقم ٥٦٢)، وذكره ابن المديني والعجلي في المجاهيل. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٥٦٦)، ومعرفة الثقات (١/ ٢٦٠).

- وحسَّن ابن حجر هذا الإسناد في الفتح (٦/ ٧٤٥)، والظاهر أن إسناده ضعيف؛ لضعف ثعلبة؛ فهو مجهول العين، ولكن يشهد له حديث أبي هريرة، وابن عمر، وغيرها مما سيأتي.

٣- وعند ابن مندة: "فيُعينهم"، والضمير هنا يعود على المسلمين.

٤- إسناده: حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي...

- ابن مندة، الإيمان، ذكر وجوب الإيمان بخروج الدجال ويأجوج ومأجوج (٢/ ٩٤٠)، رقم (١٠٣٣)؛ المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٣٠٢٧)، رقم (٨٥٠٧) واللفظ له، كلاهما من طريق سعيد بن سليمان، حدثنا خلف بن خليفة الأشجعي، حدثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبي حازم الأشجعي، عن ربعي بن حِرَاش به.

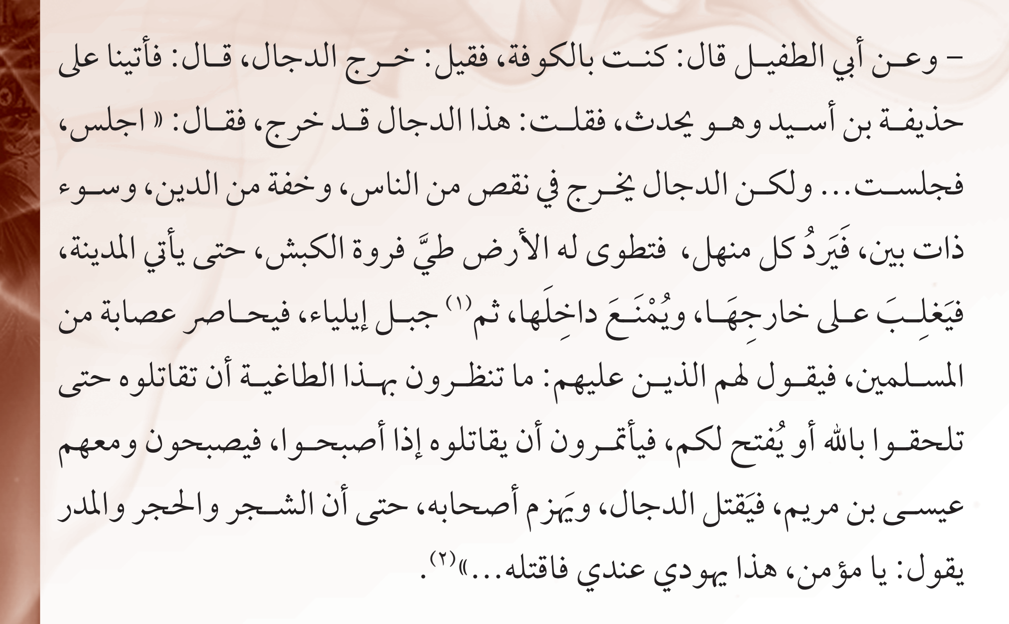
- محمد بن أحمد بن بالويه: وثقه أبو بكر البَرقاني، والخطيب البغدادي. انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٨٢).

- ومحمد بن شاذان الجوهري: ثقة. تقريب التهذيب (ص٨٥٣).

- وسعيد بن سليمان: هو الضَّبِّي، ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص٣٨٠).

- وخلف بن خليفة الأشجعي: أبو أحمد الكوفي، صدوق لا بأس به، غير أنه اختلط في الآخر، كما نصَّ عليه الإمام أحمد وغيره. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٣٦٩)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٥٧٠-٥٧١).

- وأبو مالك الأشجعي: هو سعد بن طارق، ثقة. تقريب التهذيب (ص٣٦٩).



- وعن أبي الطفيل قال: كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال، قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال: «اجلس، فجلست... ولكن الدجال يخرج في نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فَيَرِدُ كل منهل، فتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيَغلِبَ على خارجِهَا، ويُمْنَعَ داخِلَها، ثم[1] جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يُفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فيَقتل الدجال، ويَهزم أصحابه، حتى أن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن، هذا يهودي عندي فاقتله...»[2].

- وربعي بن حراش: ثقة عابد. تقريب التهذيب (ص٣١٨).
- فالإسناد رجاله ثقات؛ سوى خلف بن خليفة الذي اختلط في الآخر.
- قال الشيخ الألباني في قصة المسيح الدجال (ص١٠٥): فحديثه جيد في الشواهد، وصحح ابن حجر إسناد ابن مندة في الفتح (٦/ ٧٤٥).

١- أي: ثم يأتي جبل إيلياء.

٢-المستدرك، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٣٠٧٠)، رقم (٨٦١٢) حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا مسدَّد، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي الطفيل به.
- محمد بن يعقوب الحافظ: ابن يوسف، أبو عبد الله الشيباني النيسابوري .
- قال الحاكم: كان صدر أهل الحديث ببلدنا بعد ابن الشرقي، يحفظ ويفهم.
- وقال الذهبي: الإمام الحافظ الكبير، من أئمة هذا الشأن. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٦٤).
- ويحيى بن محمد بن يحيى: الذُّهلي، ثقة حافظ. انظر: تقريب التهذيب (ص١٠٦٦).
- ومسدَّد: هو ابن مُسرهد، ثقة حافظ. انظر: تقريب التهذيب (ص٩٣٥).
- ومعاذ بن هشام:ابن أبي عبد الله، الدستوائي، احتج به البخاري ومسلم، وثقه ابن قانع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: ربما يغلط في الشيء بعد الشيء، وأرجو أنه صدوق.
- وقال ابن حجر: صدوق ربما وهم.
- واختلف فيه القول عن ابن معين، فمرة قال: ثقة، ومرة قال: صدوق، وليس بحجة، ومرة قال: ليس بذاك القوي.

فهذه النصوص كما ترى أخبرت بقتال المسلمين لليهود حال كونهم مع الدجال، ومن شيعته، فلم تخبر عن قتالهم منفردين كما هو الشأن في حديثي أبي هريرة، وابن عمر المذكورين آنفاً.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل قتال المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم يكون بعد خروج المسيح الدجال فحسب، أم أنه بالإمكان أن تكون هناك معركة ينتصر فيها المسلمون على اليهود قبل خروج الدجال؟

هذا محل خلاف بين أهل العلم، فأكثر شرَّاح الحديث يرون أن قتال اليهود إنما يتم بعد خروج المسيح الدجال، وحملوا حديثي أبي هريرة وابن عمر على ذلك، وهذه بعض أقوالهم:

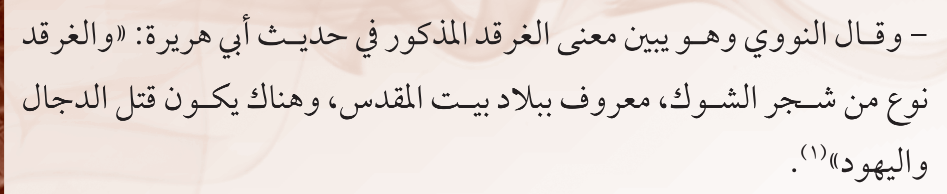
- قال المُهَلَّب بن أبي صُفرَة: «في هذا الحديث دليل على ظهور الآيات بتكلم الجماد وما شاكله عند نزول عيسى بن مريم، الذي يستأصل الدجال واليهود معه»[1].

- وقال القرطبي -وهو يشرح حديث ابن عمر-: «هذا إنما يكون - والله أعلم - بعد قتل الدجال، فإن اليهود هم أكثر أتباعه»[2].

- وقال صاحبا التحرير: بل صدوق حسن الحديث، قال الباحث: وهو كما قالا، والله تعالى أعلم.
- انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٤٩)، والثقات (٩/ ١٦٧)، والكاشف (٢/ ٢٧٤)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٣٠).
- وهشام بن عبد الله الدستوائي: ثقة ثبت، رُمي بالقَدَر. انظر: تقريب التهذيب (ص١٠٢٢).
- وقتادة: ثقة مدلس من الثالثة، تقدم (ص٨١).
- والذي يظهر: أن قتادة سمع من أبي الطفيل، كما ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٤٨٢).
- وأبو الطفيل: عامر بن واثلة، من الصحابة.
- وقال الحاكم: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص١٠٦): وهو كما قالا.
- وقال الباحث: إسناده حسن؛ لحال معاذ بن هشام الدستوائي.

١- نقله ابن بطال في: شرح صحيح البخاري (٥/ ١٠٧).

٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٥١).



- وقال النووي وهو يبين معنى الغرقد المذكور في حديث أبي هريرة: «والغرقد نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود»[1].

- وقال ابن حجر في شرحه على حديث أبي هريرة: «وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام، إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال على ما ورد من طريق أخرى»[2].

- وقال في شرحه على حديث ابن عمر: «... وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال، ونزل عيسى، وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة في قصة خروج الدجال، ونزول عيسى...»[3].

وذهب إليه من المعاصرين: حمود التويجري[4]، ورضاء الله المباركفوري[5]، وعمر الأشقر[6]، ومصطفى العدوي[7]، وغيرهم كثير.

والذي دفع أهل العلم إلى هذا القول أمور؛ منها:

١- أن علماءنا القدامى ما كانوا يتصورون أن يقوى اليهود بعد الضعف والتشتت الذي كانوا يعيشونه في ظل الدولة الإسلامية، وما كانوا يظنون أن تكون لهم صولات وانتصارات على المسلمين لدرجة أن يقيموا لهم دولة وكياناً على أرض الإسراء[8].

٢- أن النصوص قد اتفقت على بعض التفاصيل المتعلقة بالمعركة والقتال مع

١- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٥٢).

٢- فتح الباري (٦/ ١٢٧).

٣- المصدر السابق (٦/ ٧٤٥).

٤- إتحاف الجماعة (٢/ ٤٢٠).

٥- ذكره في تحقيقه على "السنن الواردة في الفتن للداني" (٤/ ٨٧٤حاشية).

٦- القيامة الصغرى (ص ٢٥٩).

٧- الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٣٤٨).

٨- انظر: الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل (ص١٦٦).

اليهود؛ ومنها[1]:

أ- اتفاقها في الدلالة على نطق الحجر والشجر، وإعانتها للمسلمين على اليهود.

ب- اتفاقها في الدلالة على انفراد الغرقد من بين الشجر بالتستر على اليهود.

ج- اتفاقها في الدلالة على أن المعركة إنما تكون في بلاد بيت المقدس.

لهذه الأسباب وغيرها ذهب بعض أهل العلم إلى أن قتال المسلمين لليهود، وانتصارهم عليهم إنما يكون بعد خروج الدجال.

وفهم بعض أهل العلم المعاصرين فهماً مغايراً لهذا الفهم، وذهبوا إلى أن قتال اليهود يتم عبر مرحلتين:

الأولى: وهي التي يتم فيها تدمير كيانهم، وإزالة إفسادهم، وتحويلهم إلى قوم أذلاء مستضعفين مشتتين في شتى البقاع، وهذه المرحلة تكون قبل خروج الدجال.

الثانية: وهي التي يتم فيها إبادتهم وإفناؤهم نهائياً، وإراحة البشرية من شرورهم،

وهذه تكون بعد خروج الدجال.

والمرحلة الأولى لها تعلق بآيات الإسراء التي تحدثت عن إفسادَي بني إسرائيل، فهم يرون أن الإفساد الأول وقع في زمن النبي ﷺ، وأزيل وانتهى على يد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بإجلاء اليهود عن المدينة، وأما الإفساد الثاني فهو الذي يحدثه اليهود في هذه الأيام، وسيزول بإذن الله على أيدي عباد الله تعالى المخلصين المجاهدين[2].

١-انظر: الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٣٤٦-٣٤٧).

٢- بخصوص ما يتعلق بالإفسادَيْن، فإن أكثر المفسرين القُدامى -إن لم أقل كلهم- يرون أن الإفسادين قد وقعا وانتهيا قبل بعثة النبي ﷺ، وإن كان بينهم خلاف في بعض التفاصيل والجزئيات.

- أما المعاصرون فذهب بعضهم إلى ما ذهب إليه الأقدمون، وانتصر له بقوة؛ ومنهم: الشيخ القرضاوي

والأحاديث التي انفردت بذكر القتال من غير ذكر الدجال تحمل على هذه المرحلة التي يزال فيها إفساد بني إسرائيل، ومما يشار إليه في هذا السياق: أن التعبير القرآني -وهو يتحدث عن زوال الإفساد الثاني لليهود- جاء بلفظ: ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إشارة إلى أن «المعركة لا ينتج عنها إبادة اليهود، والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة إفسادهم، وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات ذليلة، مهزومة مسحوقة، ولم تقل الآية: إذا جاء وعد الآخرة سيقتلونكم ويبيدونكم ويُفنونكم، وإنما قالت: ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾... إن إساءة الوجه تعني: هزيمته في المعركة، وإزالة إفسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، وإن سوء وجوههم يبدو في مرارة الهزيمة التي ينتج عنها ذلهم وضعفهم وهوانهم»[1].

وأما المرحلة الثانية؛ فهي التي أشارت إليها النصوص التي قرنت قتال اليهود بالدجال، وأيدوا هذا الفهم بأمور؛ منها:

أ- أن ألفاظ حديث أبي هريرة وابن عمر تُشعر أن المسلمين يقاتلون اليهود حال كونهم أصحاب شوكة وقوة ونفوذ، لدرجة أن يبدؤوا المسلمين بالقتال، ومن هذه الألفاظ:

- ما جاء في بعض روايات حديث ابن عمر رضي الله عنه: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم».

في كتابيه: القدس قضية كل مسلم (ص٥٨-٦٢)، فتاوى من أجل فلسطين (ص١٢٣-١٣٠)، وذهب بعضهم إلى ما أثبتناه عالياً؛ ومنهم الشعراوي في: تفسيره (١٤/ ٨٣٤٨)، وفضل عباس في: المنهاج نفحات من أرض الإسراء والمعراج (ص١١٧ ومابعدها)، وصلاح الخالدي في: حقائق قرآنية في القضية الفلسطينية (ص١٦٠-١٧١)، وسليم الهلالي في: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة (ص٦٠-٦٩)، ومحمد البارودي في: بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة(ص٣٣-٤٥) وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

١- حقائق قرآنية في القضية الفلسطينية (ص١٨٣-١٨٤).

- ما جاء في بعض روايات حديث ابن عمر رضي الله عنه: «تقتتلون أنتم ويهود...».

أما باقي النصوص فألفاظها تُشعِر وتوحي بتبعية اليهود لزعيمهم الدجال، وأنهم ليسوا أصحاب قوة ولا قرار، ومن هذه الألفاظ:

- ما جاء في حديث حذيفة بن أسيد: «فيقتل (أي عيسى) الدجال، ويهزم أصحابه».

- ما جاء في حديث أبي أمامة: «فيدركه عيسى عند باب اللد الشرقي، فيقتله، ويهزم الله اليهود».

- ما جاء في حديث سمرة بن جندب: «ثم يهلكه الله وجنوده».

ب- ويتأيد هذا أيضاً ببعض النصوص التي فيها إشارة إلى أن الخلافة ستنزل في الأرض المقدسة قبل خروج الدجال، بل قبل ظهور المهدي، فكيف تنزل الخلافة في الأرض المقدسة واليهود مسيطرون عليها؟ وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي.

ج- ولعل مما يؤيد هذا -أيضاً- أن بعض الأحاديث أشارت إلى أن اليهود الذين يتبعون الدجال هم من يهود أصبهان[1] من جهة المشرق حيث يخرج الدجال.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون

١- إقليم معروف ببلاد فارس، وفي هذا الإقليم حارة تسمى اليهودية، وذكر الحموي أن بختنصَّر لما أخذ بيت المقدس، وسبى أهلها، حمل معه يهودها، وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة جِي محلة ونزلوها، سميت اليهودية، ومضت على ذلك الأيام فخربت جِي، وما بقي منها إلا القليل، وعمرت اليهودية، فمدينة أصبهان اليوم هي اليهودية. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٤٤).

- ومن الغريب أن يهود إيران إلى الآن لم يهاجروا إلى رجسة الخراب، فهل يعتبرون أنفسهم رصيداً مدخراً ليوم مجيء الدجال؟. انظر: حمى سنة ٢٠٠٠، نظرات جديدة في الصراع الديني ضد المسلمين (ص٢٣٥) لعبد العزيز كامل.



ألفاً، عليهم الطيالسة»[1].

وفيه إشارة إلى أن اليهود الذين سيقاتلهم المسلمون مع الدجال ليسوا هم الموجودين الآن في فلسطين، فهؤلاء سيهزمون، ويتفرقون في البلاد، ولعلهم يجتمعون بعد ذلك في أصبهان.

إشارات وتنبيهات في قتال اليهود:

١- إن حلَّ قضية فلسطين لا يكون إلا بالقتال، والجهاد في سبيل الله، و«إن أي خطاب للكفر لا يستخدم هذه اللغة هو لغو من القول، وزور من العمل»[2]، وتكذيب لعشرات النصوص التي تخبر عن حتمية الصراع، ووقوعه بين فسطاط الكفر وفسطاط الإيمان، وإن الهرولة والجري خلف السلام (أي الاستسلام) قد جر على أمتنا وشعبنا الويلات، وما زلنا نحصد العلقم من زرع السلام الخبيث[3].

وإن الحديث عن السلام مع قوم حاربوا الله ورسله وأنبياءه ظاهره: الاستسلام، والاعتراف بالكيان المسخ، والتطبيع معه، بل وحمايته والدفاع عنه، وباطنه: نسف شعيرة الجهاد في سبيل الله وتعطيلها، وتمييع عقيدة الولاء والبراء وتبديلها، وإنشاء جيل ضائع تائه، ليس له هم إلا بطنه وفرجه، هكذا يريدون، وهكذا يخططون، ولكن الله ناصرٌ دينَه، غارس فيه غرساً يستعملهم في طاعته، ويقيمهم على نصرته، قد آمنوا بوعد الله الحق، وكفروا بوعد السلام المفترى.

٢- إن الحجر والشجر حين ينادي على المقاتلين لليهود؛ فإنه لا يقول: يا فلسطيني،

١- مسلم، كتاب الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال (ص١١٨٣)، رقم (٢٩٤٤) قال: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِى مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ به.

٢- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى (ص٨).

٣- لبيان ذلك؛ انظر: المصدر السابق (ص٧٧-٨١)؛ القدس قضية كل مسلم (ص١٤٥-١٥٨).

يا مصري، يا سوري... إلخ؛ بل ينادي قائلاً: يا مسلم، يا عبد الله، يا عبد الرحمن، وفيه إشارة واضحة إلى إسلامية الراية، وبعد المعركة العقدي؛ ولذلك فإن الذين يقاتلون اليهود وينتصرون عليهم، هم عباد الرحمن المسلمون، الذين أخلصوا دينهم لله تعالى، وصدقوا في الانتماء إلى شريعته، وليسوا القوميين، ولا العلمانيين، ولا البعثيين... إلخ.

إن المعركة ليست بين العرب والصهاينة، ولا بين الفلسطينيين واليهود، بل هي بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، وعِباد الله، وعُبَّاد الأهواء والشهوات، «فحين ندخل المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، حين ذلك نرتقب النصر، وأن يكون كل شيء معنا حتى الحجر والشجر»[٤].

ومن جميل ما قاله ابن حجر وهو يشرح قوله ﷺ: (تقاتلون اليهود): «فيه جواز مخاطبة الشخص، والمراد غيره ممن يقول بقوله، ويعتقد اعتقاده؛ لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه ﷺ لم يأتِ بعد، وإنما أراد بقوله: (تقاتلون) مخاطبة المسلمين...»[٥].

وقوله في بيان معنى قوله ﷺ: (تقاتلكم اليهود): «فيه جواز مخاطبة الشخص، والمراد من هو منه بسبيل؛ لأن الخطاب كان للصحابة والمراد من يأتي بعده بدهر طويل، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان؛ ناسب أن يخاطبوا بذلك»[٦].

وإني والله لأعجب «كيف يدرك الحجر والشجر حقيقة المعركة في أرض

٤- فتاوى من أجل فلسطين (ص١١٩) ليوسف القرضاوي، وانظر للمؤلف نفسه: "درس النكبة الثانية لماذا انهزمنا وكيف ننتصر" (ص٨٨-٩٠) وفيه كلام مهمٌ غايةً، والإسلام والقضية الفلسطينية (ص١٠٩) لعبد الله علوان.

٥- فتح الباري (٦/ ١٢٧).

٦- المصدر السابق (٦/ ٧٤٥-٧٤٦).

فلسطين، ولا يدركها بعض الناس»[1].

فالحذر الحذر من كل راية لا تكون هذه الغاية غايتها، وهذا الشعار شعارها، فثمَّ والله الدمار والخراب، وخسارة الدنيا وعذاب الآخرة.

٣- إن عداوة اليهود قد بلغت ذروتها ومنتهاها، وإن ظلمهم وشرهم وبغيهم قد عم وَطَمَّ، حتى طال الحجر والشجر؛ ولذلك فإنه لن يبق شيء مما خلق الله إلا ويعين المسلمين المجاهدين في قتالهم لليهود، فكل شيء من حولهم قد ناله الشر، وخلص إليه الأذى، « ولعل أكثر موجودات الأرض المقدسة ألماً: الحجر والشجر بما نالا من ظلم سافر مباشر من اليهود، وبما أن الشجر والحجر قد نالا الحظ الأوفر من ظلم اليهود؛ إذاً فليكن لهما مع المسلم شرف تطهير الأرض المقدسة من أمة لها النصيب الأوفر في كل افتراء على دين الله -سبحانه وتعالى-، وعلى أهله في الأرض»[2].

وتشير الروايات إلى استثناء الغرقد من بين الشجر الذي يدل على اليهود، ففي الحديث: (إلا الغرقد فإنه من شجر يهود) وهذا الاستثناء «استثناء خيانة وغدر، وليس منقطعاً أو متصلاً!! فالغرقد وحده يحالف اليهود استجابة بدهية للطباع المشتركة فيما بينهم»[3]،فأي خير يُرجى من قوم هذه طباع شجرهم؟!

٤- إن الواجب على المسلمين أن يتهيئوا لتحقيق هذا الوعد الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وأن يعدوا العدة لقتال اليهود، وجهادهم في الأرض المقدسة، فمن استطاع أن يجاهد بنفسه فليفعل، ومن لم يستطع فبماله؛ فإن الجهاد بالمال عظيم، ولقد قدمه الله تعالى على الجهاد بالنفس في غير موضع من كتابه، حيث قال جل شأنه:

١- فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (ص٤٦) لعدنان النحوي.

٢- الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٣٥٨).

٣- مجلة البيان، العدد (٤٩)، خالد السيف، في موسم الجفاف يُجتث نخلنا وينمو غرقدهم (ص٥٣).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[1].

وقال -أيضاً-: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ومن لم يستطع بماله، فبقلمه ولسانه؛ ناصراً ومؤيداً، أو ذابّاً ومُنافحاً، أو داعياً وناصحاً، أو موجهاً ومرشداً.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[3].

١- سورة الحجرات، آية (١٥).

٢- سورة التوبة، آية (٤١).

٣- إسناده: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد...

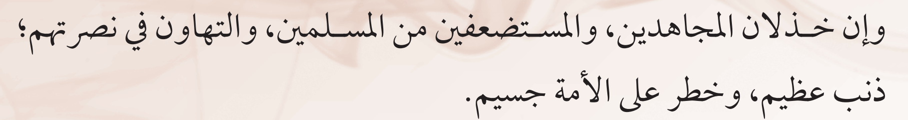
- أبو داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو (ص٣٨٠)، رقم (٢٥٠٤) واللفظ له، والنسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد (ص٤٧٧)، رقم (٣٠٩٥) وفيه: "أيديكم"؛ بدل "أنفسكم"، باب من خان غازياً في أهله (ص٤٤٩)، رقم (٣١٩٢) ولفظه: "جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم"، والدارمي، كتاب الجهاد، باب جهاد المشركين باللسان واليد (٣/ ١٥٧٦)، رقم (٢٤٧٥) بمثل رواية أبي داود، وأحمد (١٩/ ٢٧٢)، رقم (١٢٢٤٦) بمثل السابق، (٢٠/ ٢٦)، رقم (١٢٥٥٥) ولفظه: "جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم" كلهم من طريق حماد، عن حميد به.

- موسى: هو ابن إسماعيل، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٩٧٧).

- وحماد: هو ابن سلمة، ثقة له أوهام، تغير حفظه بآخره؛ وهذا لا يضره. قال أحمد: "هو أعلم الناس بحديث خاله حُميد، وأثبتُهُم فيه"، وقال نحوه أبو طالب (أحمد بن نصر البغدادي)، وزاد على كلام الإمام أحمد: " سمع منه (أي من حميد) قديماً".

- انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ١١٣)، وتهذيب التهذيب (٢/ ٤٢٤)، وتقريب التهذيب (ص٢٦٨-٢٦٩).

- وحُميد: هو ابن أبي حميد الطويل، ثقة يدلِّس، ولم يصرح بالسماع فيما أوردناه من طرق هذا الحديث، وتدليس حُميد هنا لا يضر، قال ابن عدي: " وأما ما ذُكر عنه (أي عن حُميد) أنه لم يسمع من أنس إلا مقدار ما ذُكر، وسمع الباقي من ثابت عنه، فإن تلك الأحاديث يميزه من كان يتهمه أنه عن ثابت



وإن خذلان المجاهدين، والمستضعفين من المسلمين، والتهاون في نصرتهم؛ ذنب عظيم، وخطر على الأمة جسيم.

وإن المسلم لا ينقضي عجبه وهو يرى الكفار والمشركين تتحد كلمتهم، ويجتمع صفهم في قتال المسلمين، لا يجمعهم في ذلك دين ولا عقيدة في كثير من الأحيان، وإنما هي مصالح وسياسات، فكيف بمن أكرمهم الله بهذا الدين، ومنَّ عليهم بهذه النعمة، يخذل بعضهم بعضاً، ويُسلِمون إخوانهم إلى عدوهم، بل يقفون مع الأعداء ضد إخوانهم من الموحدين، فهذا -لعمر الله- الكفر الصُّراح، والردة السافرة.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[1] .

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده

عن أنس عنه؛ لأنه قد روى عن أنس وروى عن ثابت عن أنس أحاديث، فأكثر ما في بابه أن الذي رواه عن أنس البعض مما يدلسه عن أنس، وقد سمعه من ثابت، وقد دلس جماعة من الرواة عن مشايخ قد رأوهم"

- وقال العلائي عن أحاديث حُميد: "وعلى تقدير أن تكون مراسيل فقد تبين الواسطة فيها، وهو ثقة محتج به".

- وقال الشيخ الألباني عن حميد: "يدلس، لكن ذكر غير واحد من الأئمة أن روايته عن أنس، سمعه من ثابت عن أنس، فلا يضر تدليسه".

- انظر: الكامل في الضعفاء (٣/ ٦٥)، وجامع التحصيل (ص١٦٨)، والسلسلة الصحيحة (٦/ ٥٦٥).

- فهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.

١- البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المسلمين بعضهم بعضاً (ص١١٦٦)، رقم (٦٠٢٦) واللفظ له، و مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص١٠٤١)، رقم (٢٥٨٥) بمثله، كلاهما من طريق بريد بن أبي بردة، قال: أخبرني جدي أبو بردة به.

بالسهر والحمى»[1].

٥- أن من ذهب إلى القول بأن الانتصار على اليهود، والقضاء عليهم قضاءً تاماً إنما يكون في آخر الزمان بعد خروج المسيح الدجال؛ لا ينبغي له بحال أن يزرع في الأمة روح الاتكال والتخاذل؛ بحجة أن الانتصار قادم لا محالة، فلا داعي للإطاحة بشباب الأمة في مقارعة اليهود ومصاولتهم، فهذا قول باطل، ورأي عاطل، ومنهج قاتل، وأنبه هنا على أمور:

أ- أن هذا القول تأصيل للجبرية، وزرع للانهزامية في حياة المسلمين، والله - سبحانه وتعالى- قدَّر المُسَبَّبات وأسبابها، وأمر بتعاطي الأسباب للوصول إلى المسببات.

ب- أن النصوص دلت على أن القتال مستمر بين أهل الكفر وأهل الإيمان، ولم يحدد بوقت أو زمان معيَّن، ولا أدل على ذلك من حديث الطائفة المنصورة المتواتر الذي أوردناه في المبحث السابق، ولئن كنا نعلم يقيناً أن المعركة الحاسمة بيننا وبين اليهود إنما تكون في آخر الزمان؛ فهذا لا يمنع أن تكون ثمة حروب بيننا وبينهم قبل ذلك،على النحو الذي رجحناه في ثنايا هذا المبحث.

ج- أن الله -تبارك وتعالى- ما تَعَبَّدَنا بانتظار المعركة الفاصلة مع اليهود؛ بل تَعَبَّدَنا بقتالهم وجهادهم، والقعود لهم في كل مرصد، فإن نحن عصينا أوامر الله بحجة الانتظار؛ فإننا لا شك آثمون[2].

٦- أن قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود...»، وفي بعض الروايات: (تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم...)، وفي بعضها: (تقتتلون أنتم

١- البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (ص١١٦٤)، رقم (٦٠١١) واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص١٠٤١)، رقم (٢٥٨٦) بنحوه، وفيه: "مثل المؤمنين... الحديث "كلاهما من طريق زكرياء (ابن أبي زائدة)، عن عامر الشعبي به.

٢- انظر: رؤية إستراتيجية في القضية الفلسطينية (ص٤٨) لناصر العمر.

ويهود...) هذا كله عَلَم من أعلام نبوته ﷺ، إذ فيه إخبار عن قيام دولة لليهود في الأرض المقدسة،قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وقد سئل من بعض طلبة العلم: هل عثرنا على نص من الكتاب أو السنة يفهم منه وجود دولة لليهود في آخر الزمان؟

فذكر الشيخ أن النصوص دلت على ذلك بدلالة الإشارة، ثم ذكر حديثي أبي هريرة وابن عمر، وعقب بقوله: «فهذا نص صحيح من النبي ﷺ أنه لا بد من قتال المسلمين واليهود حتى تكون عاقبة النصر والظفر للمؤمنين.

والمقاتلة بحسب الوضع اللغوي تقتضي وجود القتال من طائفتين مقتتلتين؛ لأن المفاعلة تقتضي الطرفين وضعاً، ومنه قوله ﷺ: (تقاتلون اليهود) على وجود جنس مقاتل من اليهود، وذلك إنما يكون من طائفة متحدة الكلمة تحت طاعة أمير يقاتل بهم؛ وذلك هو معنى دلالة الحديث على وجود دولة لهم في آخر الزمان؛ لأنهم لو كان دائماً عليهم مضمون قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾[1]، وكانوا متفرقين غير مجتمعين أبداً تحت أمير على كلمة واحدة؛ ما صح قتالهم مع المسلمين الذي نص عليه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح"[2].

٧- إن الأحاديث تدل بوضوح على مدى الجبن الذي قد صار علامة على إخوان القردة والخنازير، فهم لا يثبتون أمام زحوف عباد الله الموحدين أولي البأس الشديد، بل يهربون ويفرون خلف الأحجار والأشجار؛ أملاً في النجاة، وحرصاً على الحياة -أي حياة-، ولو كانت حياة الذل والصغار، فهذه والله

١- سورة الأعراف، آية (١٦٨).

٢-مجلة البيان، عدد (١٥١)، محمد الأمين الشنقيطي، دولة اليهود آخر الزمان، (ص٤٩)، وانظر لبيان ذلك: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص٥٣) لأحمد الغُماري، وخواطر دينية (ص٦٣)، وفتاوى من أجل فلسطين (ص١١٦)، ونبوءات الرسول ما تحقق منها وما يتحقق (ص٣٠٤) لمحمد وليّ الله النَّدْوي.

طبيعتهم، وتلك صفتهم، وتالله ما عربد اليهود، وظهروا على المسلمين بقوة ولا شجاعة، فهم أبعد ما يكونون عنها؛ وإنما تحقق لهم ذلك لأن المسلمين لم يعوا حقيقة الصراع بعد، ولم يدخلوا المعركة تحت شعار العبودية لله، والانقياد لشرعه، والموالاة والمعاداة على ذلك.

ولقد بين الله لنا جبنهم في كتابه أوضح بيان، فقال جل شأنه: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[1].

«ولو قُدِّر لأحد أن ينظر إلى اليهودي وقد فرضوا عليه القتال؛ فإنه سيرى جندياً يلبس واقياً على رأسه من الرصاص، وواقياً من السكين يطوق صدره وظهره، وواقياً من الغازات يصحبه حيث حل، ودرعاً واقياً من الرصاص لخاصتهم، ومن عجبٍ أنه يدركهم الموت ولو كانوا في كل هذه الدروع والحصون»[2].

٨- دلت الأحاديث على نطق الحجر والشجر في قتال المسلمين مع اليهود، وهذه آية من آيات الله -تبارك وتعالى- في نصرة عباده الموحدين، وما ذلك على الله بعزيز.

قال ابن حجر: «وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة. ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى»[3].

وعقب التويجري على ذلك بقوله: «بل هو المتعين، ولا ينبغي أن يقال فيه باحتمال المجاز، لا سيما وقد صرح في حديث أبي أمامة الآتي بأن الجمادات والدواب تنطق بالدلالة على اليهود، وهذا ينفي احتمال المجاز، وصرح أيضاً

١- سورة الحشر، آية (١٤).

٢- مستقبل الإسلام دراسة تحليلية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة (ص١٨١) للدكتور نزار ريان.

٣- فتح الباري (٦/ ٧٤٥).

في حديث سمرة الآتي بأن الجمادات تنادي المسلمين وتدلهم على اليهود، وهذا أيضاً ينفي احتمال المجاز، وأيضاً فحمل كلام الجمادات وندائها على المجاز ينفي وجود المعجزة في قتال اليهود في آخر الزمان، ويقتضي التسوية بينهم وبين غيرهم من أصناف الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم، إذ لا بد أن يختبئ المختبئ منهم بالأشجار والأحجار، ومع هذا لم يرد في أحد منهم مثل ما ورد في اليهود، فعُلم اختصاص قتال اليهود بهذه الآية، وأن الجمادات تنطق حقيقة بنداء المسلمين ودلالتهم على اليهود»[1].

ويبقى أن يقال: هل نطق الحجر والشجر يكون فقط في المعركة التي يخوضها المسلمون مع الدجال وشيعته من اليهود فحسب، أم أنه بالإمكان أن يحدث هذا في المرحلة الأولى التي ذكرناها، والتي يشير إليها حديثا أبي هريرة وابن عمر؟

يجاب عن ذلك بأنه لا مانع يمنع من أن يؤيد الله عباده المجاهدين بآيات من هذا القبيل؛ وذلك أنه حدث في عصرنا ما هو أكثر غرابة من ذلك، وقد ذكر الشيخ عبد الله عزام في «آيات الرحمن في جهاد الأفغان» عجائب من الآيات والكرامات التي أجراها الله على يد المجاهدين مما شاهده بنفسه أو حدثه عنه الثقات[2].

وما ذكره في كثير من الأحيان أكثر غرابة من نطق الحجر والشجر.

٩- اليهود من أشد الخلق عناداً واستكباراً عن قبول الحق، فهم يعلمون صدق النبي ﷺ ويأبون اتباعه، وكذلك يعلمون بأن قتالهم لا بد آت، وأنهم مهزومون في معركتهم مع المسلمين؛ ولذلك فهم يكثرون من زراعة الغرقد تَحَسُّبَاً لليوم الموعود الذي يفرح فيه المؤمنون بنصر الله.

١- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١/ ٤١٠).
٢- انظر (ص٦٩-١٠٣).

قال المباركفوري: «وقد أكثر اليهود من غرس شجر الغرقد في فلسطين في هذه الأيام حسب الأخبار الواردة إلينا، وهذا يعني أنهم يعتقدون صحة معنى هذا الحديث، ويعرفون مصيرهم، ثم هم لا يؤمنون، فما أجرأهم على الله، لعنهم الله»[1].

١- منة المنعم شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٦٦).



المبحث الرابع

ظهور المهدي وخوضه الملاحم مع الروم في بلاد الشام

توطـــئة:

إن مما استقر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله -تبارك وتعالى- يُخرج في آخر الزمـان رجـلاً من آل بيت النبـي ﷺ، من ولد فاطمة، أجلى الجبهـة، أقنى الأنف، اسـمه يوافق اسـم النبي ﷺ، واسـم أبيه يوافق اسـم أبي النبـي ﷺ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين، فيحكم بين الناس بشريعة الرحمـن -تبـارك وتعالى-، وتنعم الأمة في ولايته نعمـة لم تنعمها قط، يُعطي المال صَحَاحاً[1]، ويَحثيه حثياً، ولا يعده عداً.

"وفي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسـلطان قاهر، والديـن قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم"[2]، وينزل عيسـى عليه السلام في وقته فيصلي وراءه، وكل ذلك مما صحت به الأخبار، ووردت به الآثار.

ولقـد عنـي أهـل العلم عنايـة تامة ببيـان مـا يتعلق بأمـر المهـدي، فدوَّنوه في كتب الصحاح، والسـنن، والمسـانيد، وأصول الاعتقاد، بل إن كثـيراً منهم أفرده بالتصنيف والتأليف[3].

١- قال ابن الأثير في النهاية (ص٩٠٥): " الصَّحاح ـ بالفتح ـ بمعنى الصحيح، يقال: درهم صحيح، وصحاح، ويجوز أن يكون بالضم، كطُوال في طويل ".

والمراد: أنه يسخو في العطاء، ولا يمنع الناس من الخير الذي في يديه.

٢- النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٤١).

٣- الكتـب التي صنفـت في موضوع المهدي كثيرة، أوصلها محمد بن إسـماعيل المقدَّم في كتابه المهدي

وإن بيـان معتقد أهل السـنة والجماعة وإظهاره في أمـر المهدي في غاية الأهمية؛ وذلك لكثرة التشويه والتحريف والتلبيس الذي خالط هذا المعتقد؛ فكان له أسوأ الأثر في تاريخ الأمة الطويل، وجرَّها إلى ويلات وشرور ما زالت بعض آثارها إلى يومنا هذا، والله المستعان.

وإن المتتبـع للأحاديـث والآثـار التي صحـت في المهدي، يرى أن بلاد الشـام تنـال من رعايته واهتمامه النصيب الأوفى، والحظ الأوفر، فهي دار خلافته، ومحط إقامته، ومنطلق جنده إلى الفتوحات العظام التي يفتحها الله –تبارك وتعالى– على يديه، نسأل الله أن يعجل ذلك بمنِّه وكرمه.

ولـن أسـتطرد في ذكر ما يتعلـق بالمهدي وأحوالـه وأخباره، فهذا مسـطور في الكتـب، ومشـهور في المصنفات كما أشرنا، ولكن سـأُظهر جاهـداً ارتباط المهدي ببلاد الشام، ودور أهل الشام في نصرته والجهاد معه، وربما أذكر بعض النصوص التـي ليـس لهـا تعلـق بالشـام، ولكـن أرى أنه لا بـد من ذكرهـا رعاية لتسلسـل الأحداث، وفهمها فهماً واضحاً.

ظهور المهدي ومخرجه:

أشـارت بعض النصـوص إلى أن المهدي يخـرج من قِبَل المـشرق، وأصحها ما جاء عن ثوبان ﵁ قال: قال رسـول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفـة، ثـم لا يصير إلى واحـد منهم، ثم تطلع الرايات السـود مـن قبل المشرق،

(ص٧٠) إلى ثلاثـين كتاباً، وأكثر هذه الكتب مشـحونة بالأحاديث والآثـار الضعيفة والموضوعة، ومـن أفضـل الكتب المعاصرة التي أُلِّفـت في موضوع المهدي: "المهدي المنتظـر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة" (رسـالة ماجسـتير) لعبد العليم البَسْتوي، "المهدي" لمحمد بن إسـماعيل المقدَّم، " الرد على من كذَّب بالأحاديث الصحيحة في المهدي" لعبد المحسـن العبَّـاد، "الاحتجاج بالأثـر في الرد على من أنكر المهدي المنتظـر" لحمود التويجري، وميزة هـذه الكتب أنها تقتصر على الصحيـح في الغالـب، إلا أن الذي ينقصها هو شرح الأحاديث والربط بينها، فما زال هذا بحاجة إلى مزيد بيان وإيضاح.



فيقتلونكم قتلاً لم يُقتلْهُ قوم» ثم ذكر شيئاً لا أحفظه. فقال: «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي»(١).

---

١ - ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي (ص٦٧٩)، رقم (٤٠٨٢) قال: حدثنا محمد ابن يحيى وأحمد بن يوسف، قالا: حدثنا عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي به.

- محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي النيسابوري، ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص٩٠٧).
- وأحمد بن يوسف بن خالد الأزدي، ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص١٠٢).
- وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ثقة حافظ، تغير بأخرة، ونسبه غير واحد من الأئمة إلى التشيع.
- واختلاط عبد الرزاق هنا لا يضر؛ وذلك أن الظاهر من رواية الذهلي، وأحمد بن يوسف عن عبدالرزاق أنها كانت قبل اختلاطه، ولهذا أخرج البخاري لمحمد بن يحيى الذهلي عن عبد الرزاق، وأخرج مسلم لأحمد بن يوسف عن عبد الرزاق، كما نص عليه العراقي في التقييد والإيضاح، إضافة إلى ثناء الذهلي على عبد الرزاق، حيث قال: "كان عبد الرزاق أيقظهم في الحديث، وكان يحفظ"، فيظهر من ذلك أنه سمع منه قبل اختلاطه.
- انظر: تقريب التهذيب (ص٦٠٧)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢١٤)، والتقييد والإيضاح (ص٤٦٠).
- وتشيعه لا يضر؛ إذ إن الحديث لا يؤيد بدعته، ولقد نفى التشيع عنه الإمام أحمد، كما رواه عنه ابنه عبد الله، وقال ابن عدي بعد أن ذكر اتهامه بالتشيع عن بعض الأئمة: "وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به". انظر: من كلام الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال، رواية المروذي (ص١٢٩)، والكامل في الضعفاء (٥/ ٢١٥).
- تنبيه: لم يكن البخاري يصرح باسم محمد بن يحيى الذُّهلي حين يروي عنه، بل كان يقول:=
- حدثنا محمد بن عبد الله، أو حدثنا محمد بن خالد، أو حدثنا محمد. تهذيب التهذيب (٥/ ٤٨١)،
- وانظر: حديث رقم (١٩٥٢)، ورقم (٤٧٣٩) في البخاري.
- وسفيان الثوري: ثقة حافظ، إمام حجة، كان ربما دلس، وهو من الطبقة الثانية، وتدليسه لا يضر لقلته، قال البخاري: "ما أقل تدليسه". انظر: تقريب التهذيب (ص٣٩٤)، وطبقات المدلسين (ص٥٠).
- وأبو قِلابة: هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر الجرمي، البصري، ثقة فاضل، يرسل ويدلس. انظر: تقريب التهذيب (ص٥٠٨)، وطبقات المدلسين (ص٣٥).
- وتدلسيه لا يضر؛ حيث ذكره ابن حجر في الطبقة الأولى من المدلسين الذين لا يضر تدليسهم.
- وإرساله كذلك لا يضر؛ لأن الظاهر أنه سمع من أبي أسماء الرحبي، حيث توفي أبو أسماء في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨-٨٦هـ)، وأبو قلابة توفي سنة ١٠٤هـ، ولم يُذكر أبو أسماء فيمن أرسل عنهم أبو قِلابة. انظر: جامع التحصيل (ص٢١١).

قال ابن كثير معقباً على الحديث: "والظاهر أن المراد بالكنز المذكور في هذا السياق:

كنز الكعبة[1]، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر

= - وأبو أسماء الرحبي: هو عمرو بن مرثد الدمشقي، ثقة. تقريب التهذيب (ص٧٤٤).
- وثوبان: هو الهاشمي، مولى النبي ﷺ.
- قال الحاكم في المستدرك (٨/ ٢٩٦٩): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
- وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٤): هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات.
- وخلص البستوي إلى تصحيحه في رسالته: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (ص١٨٨).
- وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ١٩٧)، وأعله بعنعنة أبي قلابة، وقد سبق الجواب عن ذلك، ثم قال: " وهذه الزيادة: "خليفة الله" ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة، كما يفيده كلام الذهبي السابق، ومن نكارتها: أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال في الفتاوى (٢ / ٤٦١)....".
- وهذا الذي قاله الشيخ متعقب؛ فإن الإضافة في الحديث ليست بمعنى النيابة عن الله، وإنما هي إضافة تشريف، وإضافة خالق إلى مخلوق؛ كقولنا: بيت الله، وناقة الله، وغير ذلك. =
- والنكارة التي يقصدها الإمام الذهبي إنما هي في الإسناد لا في المتن، وذلك في ترجمته لعلي بن زيد في الميزان (٤/ ٤٨)، وهو أحد رواة هذا الحديث عند الإمام أحمد، وسبب النكارة: إسقاط عليٍ بن زيد أبا أسماء بين أبي قلابة وثوبان رضي الله عنه.
- وكذلك كلام شيخ الإسلام ليس فيه دلالة على ما ذهب إليه الشيخ.
- والعجيب أن الشيخ حسَّن حديث حذيفة بن اليمان عند أبي داود، رقم (٤٢٤٤): " كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الشر... فإن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه..." وهو في الصحيحة (٦/ ١/ ٥٣٩). انظر لمزيد البيان والإيضاح: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٣٣٨) لمصطفى العدوي.

(١) - الذي يظهر أن المراد بالكنز هنا: الذي يُحسر عنه الفرات، المذكور في الأحاديث، وقد ذكر الشيخ حمود التويجري كلام ابن كثير ثم تعقبه بقوله: " والأقرب في الكنز المذكور في حديث ثوبان رضي الله عنه: أنه الكنز الذي يحسر عنه الفرات، وقد يكون غيره ". إتحاف الجماعة (٢/ ١٨٧). ولعل هذا يتأيد بما رواه نُعيم بن حمَّاد في الفتن عن علي رضي الله عنه قال: " الفتن أربعة: فتنة السرَّاء، وفتنة الضرَّاء، وفتنة كذا، فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من عِترة النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم".

الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء، كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن...."[1] .

ثم ذكر حديث أبي هريرة عند الترمذي، وفيه ذكر الرايات السود وعلَّق قائلاً:

"وهذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بل رايات سود أخر تأتي بصحبة المهدي، وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه، يصلحه الله في ليلة، أي يتوب عليه ويوفقه ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك، ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً، وهو زِيٌّ عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء يقال لها: العِقاب... والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت، كما دل على ذلك بعض الأحاديث"[2].

وجاء في حديث أم سلمة أنه يكون في المدينة، ثم ينتقل إلى مكة، فيظهر ويبايع هناك.

- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ[3] بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ

- وجوَّد إسناد هذا الأثر مشهور حسن سلمان في: العراق في أحاديث الفتن (٢/ ٥٤٠).

١- النهاية في الفتن والملاحم (ص٣٩).

٢- المصدر السابق (ص٤٠).

٣- البيداء: المفازة التي لا شيء فيها، وكل أرض ملساء لا شيء فيها يقال لها بيداء، والمقصودة بالحديث: هي بيداء المدينة، وهي الشرف الذي قُدَّام ذي الحليفة، أي إلى جهة مكة، فهي واقعة بين مكة والمدينة بالقرب من ذي الحليفة، كما في الحديث. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر

أَبْدَالُ[١] الشَّـــام وَعَصَائِبُ[٢] أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُـلٌ مِنْ قُرَيْش أَخْوَالُـهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيَظْهَـرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الإِسْـلَامُ بِجِرَانِهِ[٣] إِلَى الأَرْضِ، فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»[٤].

(ص٩٧)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢١٤).

١- قـال ابـن الأثير في النهاية (ص٦٧): "الأبدال: هم الأولياء والعُبَّاد، الواحد بِدْل، كحِمْل وأحمال، سُمُّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أُبدل بآخر".

- وهذه الكلمة يكثر اسـتعمالها عند الصوفيـة، وكذلك غيرها من الألفاظ؛ مثل: الأوتاد، والأقطاب، والنجبـاء، والغوث، وغير ذلـك، وهم يقصدون بها معانٍ غير صالحـة، ويجرونها على وفق "قوانين وقواعـد مبتدعـة، ضاهـت عند بعضهم الـشرك الأكبر... وما اسـتُعمل منها على ألسـنة أكابر أئمة أهل السـنة والجماعة؛ كالإمام ابن المبارك، والأوزاعي، والشـافعي... فمحمول على معانٍ محمودة، ومدائح جائزة". فصل الخطاب ببيان بطلان أحاديث الأبدال والأقطاب (ص٢٢٠) لأحمد شحاتة السكندري، وهي رسالة ضمن كتابه (المقالات القصار في فتاوى الأحاديث والأخبار).

- ولقـد ضعَّـف ابـن القيـم كل مـا ورد مـن أحاديـث في الأبـدال والأقطاب، فقـال في المنار المنيف (ص١٢٧): " ومـن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله ﷺ، وأقرب ما فيها: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر، ذكره أحمد ولا يصح أيضاً، فإنه منقطع ".

- ولشيخ الإسلام كلام قريب منه في مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٥٧).

- قـال الباحـث: كلام ابن القيـم محمول على الأحاديث المرفوعة، وإلا فإنه صـَّح أثر عن علي فيه لفظ الأبدال، وسيأتي إن شاء الله.

٢- " جمع عصابة، وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، ولا واحد لها من لفظها ".

- النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦١٨).

٣- الجِرَان: الصدر، وباطن العنق، والبعير إذا برك واستراح، فإنه يضرب بصدره الأرض، ويمد عنقه عليهـا، فقيل ذلك للشيء إذا ثبت واسـتقر واسـتقام. انظر: ابن قتيبـة، غريب الحديث (٢/ ٤٧٩)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٤٩).

٤- إسناده: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي (هشام الدستوائي)...

- أبـو داود، كتاب المهـدي، باب.. (ص٦٣٨)، رقم (٤٢٨٦) واللفظ لـه، وأحمد (٤٤/ ٢٨٦)، رقم (٢٦٦٨٩) بنحـوه، كلاهمـا مـن طريق هشـام الدسـتوائي، عن قتـادة، عن صالـح أبي الخليل، عن



والجمع بين الحديثين عند من يقول بصحة حديث أم سلمة: أن المهدي

صاحب له به.

- ورواه أبو داود في الكتاب والباب السابقين (ص٦٣٧)، رقم (٤٢٨٧) من طريق همام عن قتادة به. ورواه أبو يعلى في مسنده، مسند أبي هريرة (١٢/ ٣٧٠)، رقم (٦٩٤٠)؛ ومن طريقه: ابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخبار النبي ﷺ عن الفتن، ذكر الخبر المصرح بأن القوم الذين يخسف بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه (١٥/ ٦٧٥٧)، رقم (٦٧٥٧) من طريق هشام عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له -وربما قال صالح عن= مجاهد- به، والشك عند أبي يعلى، ورواية ابن حبان: عن صالح عن مجاهد، من غير شك.
- ورواه أبو داود في الكتاب والباب السابقين (ص٦٣٧)، رقم (٤٢٨٨) من طريق أبي العوَّام، حدثنا قتادة عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث به.
- وهذا الحديث مداره على قتادة، وفيه علتان:
- الأولى: تدليس قتادة، فهو مدلس من الثالثة، كما ذكره ابن حجر في طبقات المدلسين (ص٥٧)، وهو هنا لم يصرح بالسماع في أي من طرق الحديث.
- الثانية: إبهام صاحب أبي الخليل، ولا يَرِدُ على ذلك أنه مصرح به في رواية أبي داود من طريق أبي العوام، حدثنا قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث به.
- والسبب في ذلك: أن هذه الرواية من طريق أبي العوام عن قتادة، وأبو العوام: هو عمران بن داوَر القطان، ضعَّفه النسائي وغيره، وأحسن أحواله أن يكون صدوقاً يَهِمْ، كما نقله ابن حجر عن البخاري في تهذيب التهذيب، وتبعه على ذلك في التقريب.
- انظر: الضعفاء والمتروكين (ص٢٢٤)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، وتقريب التهذيب (ص٧٥٠).
- وقول البخاري نقله ابن حجر في التهذيب، ولم أعثر عليه بهذا اللفظ، بل وقفت على كلام للبخاري في الضعفاء الصغير (ص٩١) يقول فيه: قال يحيى القطان: " لم يكن (أي عمران) من أهل الحديث، وكتبتُ عنه أشياء فرميت بها ".
- ورواية هشام عن قتادة مقدمة بلا شك على رواية عمران عن قتادة، فزيادته هنا لا تحتمل.
- وأما رواية أبي يعلى، وابن حبان: ففيها بيان المبهم وتسميته، وهو مجاهد، إلا أن فيها:
- أبو هشام الرفاعي: محمد بن يزيد بن رفاعة.
- وثقه الدارقطني، وقال ابن معين، والعجلي، ومسلمة بن القاسم: لا بأس به.
- وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وقال: "روى عن البخاري ومسلم، و..." وسمَّى جماعة.
- وضعفه البخاري، وأبو حاتم، والنسائي، وغيرهم، وقال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه.
- وخلص ابن حجر في التقريب إلى أنه ليس بالقوي، والقلب يميل إلى ما ذكره ابن حجر.

يخرج من المدينة إلى مكة ويبايع هناك، ثم تأتي الرايات السود من المشرق لنصرته، والله تعالى أعلم.

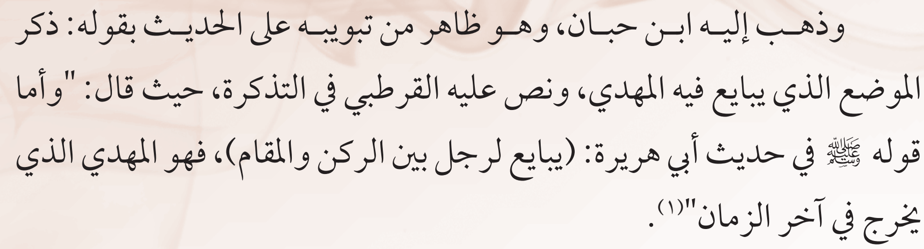
كيف يحصل العلم بخروج المهدي؟:

والـذي يظهـر من النصـوص أن المهديَّ يُبَايَـعُ له بين الركن والمقام، واسـتدل بعـض أهـل العلم على ذلـك بحديث أبي هريـرة ﵁ قال: قال رسـول الله ﷺ:

«يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»[1] .

- انظر: معرفة الثقات (٢/ ٤٣٤)، والضعفاء والمتروكين (ص٢٣٥) للنسائي، والجرح= والتعديل (٨/ ١٢٩)، والثقات (٩/ ١٠٩)، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٧٥)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٩٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٠٩).
- وحسَّن إسناد أبي يعلى: حسين سليم أسد في تحقيقه على مسند أبي يعلى (١٢/ ٣٧٠).
- وقال الأرنؤوط في تحقيقه على صحيح ابن حبان: محمد بن يزيد بن رفاعة وإن كان ضعيفاً قد توبع، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.
- ولو سلَّمنا بذلك، فإنه تبقى علة تدليس قتادة، وعدم تصريحه بالسماع.
- أشار شمس الحق أبادي إلى أن سكوت أبي داود، ثم ابن القيم، وعدم كلامهم على هذا الحديث فيه إشارة إلى أن عندهم علماً بثبوت سماع قتادة من أبي الخليل لهذا الحديث. انظر: عون المعبود (٧/ ٣٥٢).
- وعقب عليه البستوي في: الموسوعة في أحاديث المهدي (ص٣٣٤) بقوله: "ولكن الذي يظهر أن هذا الجواب غير كاف، فلا بد من تصريح قتادة بالسماع...".
- وقال ابن القيم في المنار المنيف: "والحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يقال فيه صحيح".
- وضعف الحديث الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤/ ٤٣٥)، رقم (١٩٦٥).
- وضعفه البستوي في: الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة (ص٣٢٤-٣٣٤)، رقم (٢٢٨) بعد ذكر طرقه ورواياته.
- والقلب يميل إلى تضعيف الحديث، ولكنه ليس بذاك الضعف، فأكثر فقراته تشهد لها النصوص والأحاديث الأخرى.

١- إسناده: حدثنا يزيد (ابن هارون)، أخبرنا ابن أبي ذئب...
- أحمد (١٣/ ٢٩٠)، رقم (٧٩١٠) واللفظ له، ورواه في مواضع أخرى من المسند برقم (٨١١٤)،



وذهب إليه ابن حبان، وهو ظاهر من تبويبه على الحديث بقوله: ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي، ونص عليه القرطبي في التذكرة، حيث قال: "وأما قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: (يبايع لرجل بين الركن والمقام)، فهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان"[1].

وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد حديث أم سلمة الذي سبق، وفيه: «فَيُبَايِعُونَهُ

و(٨٣٥١)، و(٨٦١٩)؛ ابن حبان، كتاب التاريخ، باب ذكر الفتن عن رسول الله ﷺ، ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي (١٥/ ٢٣٩)، رقم (٦٨٢٧) بنحوه، كلاهما من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد بن سِمعان به.

- يزيد: هو ابن هارون، ثقة متقن. تقريب التهذيب (ص١٠٨٤).
- وابن أبي ذئب: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، ثقة فقيه. تقريب التهذيب (ص٨٧١).
- وسعيد بن سمعان: وثقه النسائي، وابن حبان، والدارقطني.
- وقال الأزدي: ضعيف، وتعقَّبه ابن حجر في التقريب بقوله: لم يصب الأزدي في تضعيفه.
- وقال الذهبي في الميزان: فيه جهالة، وضعفه الأزدي وقواه غيره.
- وقال في تلخيص المستدرك: ما روى عنه غيرُ ابن أبي ذئب، وقد تُكُلِّم فيه.
- ورمي الذهبي لابن سمعان بالجهالة غريب جداً؛ فقد ذكر الذهبي نفسه راوياً آخر روى عن سعيد في الكاشف، وتعقب أحمد شاكر -في تحقيقه على مسند الإمام أحمد (١٥/ ٣٥حاشية)- الذهبيَّ؛ فقال: " وأمَّا إنه لم يرو عنه غير ابن أبي ذئب، ففي التهذيب راويان آخران عنه، وأما إنه تُكُلِّم فيه، فإنه لا قيمة له؛ لأن الذي تكلم فيه هو الأزدي وحده،
- وهو ينفرد بتضعيف الكثير من الرواة بدون حجة، ولا نقل صحيح...".
- انظر: سؤالات البرقاني للدارقطني (ص٣٢)، والثقات (٤/ ٢٧٨)، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٣)، والكاشف (١/ ٤٣٨)، وتلخيص المستدرك (٤/ ٢٧٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٣٨)، وتقريب التهذيب (ص٣٨٠).
- فتبين أن رواة الحديث كلهم ثقات، فإسناد الحديث صحيح.
- وصحح إسناده: أحمد شاكر في تحقيقه على المسند (١٥/ ٣٥)، والألباني في الصحيحة (٢/ ١٩)، والأرنؤوط في تحقيقه على المسند (١٣/ ٢٩٠).

١- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١١٨٩).

﴿بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ﴾ ضمن "باب ما جاء في المهدي"[1]، كأنه يميل إلى أن هذا هو المهدي.

واعترض بعض أهل العلم المعاصرين على أن يكون المبايع له عند البيت هو المهدي، وأيدوا هذا الاعتراض بأمور تقبل الأخذ والرد، ولا يسلَّم لهم بها[2].

وما أن يظهر المهدي، ويبايع له عند البيت حتى يعاديه أهل ذلك الزمان، فيرسَل إليه جيش لقتاله، وخبر هذا الجيش جاء في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيشٌ الكعبةَ، فإذا كانوا ببيداءَ من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم). قالت: قلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: (يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[3].

وهذا الجيش الذي يُخسف به؛ هو الذي سبق ذكره في حديث أم سلمة -إن صح-، ولذلك خرجه أبو داود في السنن في "أبواب المهدي"، وكذلك صنع ابن حبان، حيث ذكر حديث أم سلمة وبوَّب عليه "ذكر الخبر المصرح بأن القوم الذين يخسف بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه".

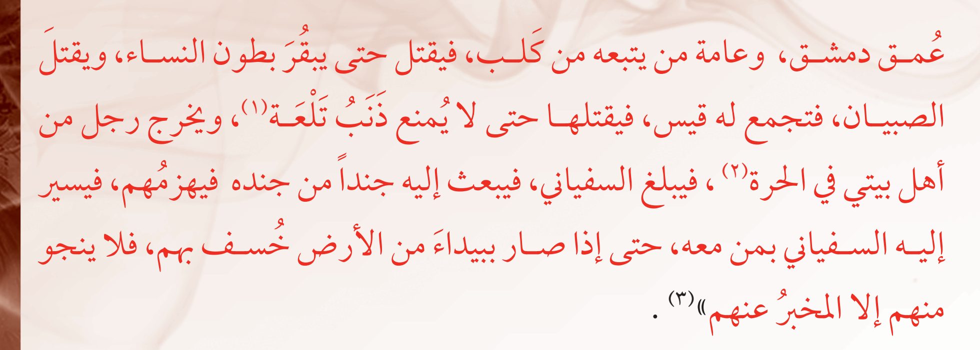
وفي الحديث أنه يخرج من الشام، وجاء في بعض الروايات تعيين هذا الرجل الذي يخرج من الشام، وهو السفياني، وأن المهدي يقاتل جنده فيهزمهم، ثم يسير إلى المهدي بنفسه فيُخسف به.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفياني في

١- (٧/ ٦١٢)، رقم (١٢٣٩٧).

٢- انظر: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (ص٢٩٦)، والمهدي (ص٤٨-٥٠)، وفتح العليم العلام بالرد على كتاب هرمجدون (ص١٢٠-١٢١).

٣- البخاري، كتاب البيوع، باب ذكر الأسواق (ص٣٩٩)، رقم (٢١١٨) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (ص١١٥٥)، رقم (٤٨٨٤) بنحوه، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.



عُمـق دمشـق، وعامة من يتبعه من كَلـب، فيقتل حتى يبقُرَ بطون النسـاء، ويقتلَ الصبيـان، فتجمع له قيس، فيقتلهـا حتى لا يُمنع ذَنَبُ تَلْعَـة[1]، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة[2] ، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمُهم، فيسير إليـه السـفياني بمن معه، حتى إذا صـار ببيداءَ من الأرض خُسـف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبرُ عنهم»[3] .

---

١ - التِّلاع: مسـايل الماء من علو إلى سُـفل، واحدها: تلعة. وقيل: هو من الأضداد؛ يَقَع على ما انْحَدر مـن الأرض وأشرَف منهـا. ومنه الحديث (فيجيء مطر لا يُمْنَع منه ذَنْبُ تَلْعَة)، يريد كثرتَه وأنه لا يَخلُـو منه موضع. النهايـة في غريب الحديث والأثر (ص١١٠)، وانظر: غريب الحديث (١/ ٣٦٦) لابن الجوزي.

٢- " أرض بظاهـر المدينـة، بها حجارة سـود كثيرة، سـميت بذلك لشـدة حرِّها ".النهايـة في غريب الحديث والأثر(ص١٩٨).

٣- الحاكـم، كتـاب الفتـن والملاحم (٨/ ٣٠٥٩)، رقـم (٨٥٨٦) قال: حدثنا أبـو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا زكريا بن يحيى السـاجي، حدثنا محمد بن إسـماعيل بن أبي سمينة، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن كثير، عن أبي سلمة به.

- أحمـد بـن محمد بن عبد الله المزني: ذكره البغـدادي في تاريخ بغداد (٥/ ٤٤)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، والظاهر من تصحيح الحاكم لحديثه أنه يوثقه.

- وزكريـا بـن يحيى السـاجي: ثقـة فقيـه. تقريـب التهذيـب (ص٣٣٩)، وانظـر: الجـرح والتعديل (٣/ ٦٠١).

- ومحمد بن إسماعيل بن أبي سمينة: ثقة، وتقدم (ص١١٧).

- والوليد بن مسـلم: القرشي، أبو العباس الدمشـقي، ثقة، كثير التدليس والتسـوية. انظر: المدلسـين (ص٧٠) لابن العراقي، وتقريب التهذيب (ص١٠٤١)، وطبقات المدلسين (ص٧٩).

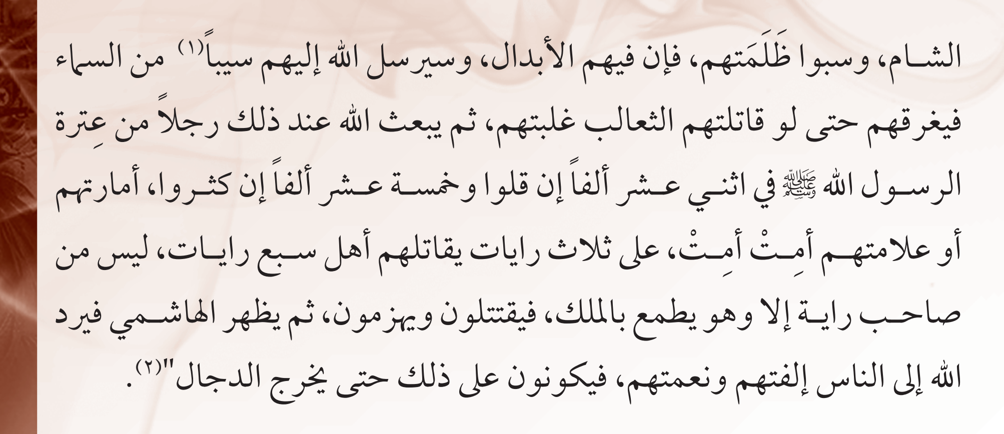
- والتسـوية كما ذكر الحافظ العراقـي في التقييد والإيضـاح (ص٩٦): "أن يجـيء المدلس إلى حديث سـمعه مـن شـيخ ثقة، وقد سـمعه ذلك الشـيخ الثقة من شـيخ ضعيـف، وذلك الشـيخ الضعيف يرويه عن شـيخ ثقة، فيعمل المدلس الذي سـمع الحديث من الثقة الأول، فيُسـقط منه شـيخ شيخه الضعيـف، ويجعلـه من رواية شـيخه الثقة عـن الثقة الثاني بلفـظ محتمل كالعنعنـة ونحوها، فيصير الإسـناد كله ثقات، ويصرح هو بالاتصال بينه وبين شـيخه لأنه قد سـمعه منه، فلا يظهر حينئذ في الإسناد ما يقتضى عدم قوله إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل".

- ولا بـد لاسـتقامة هذا الإسـناد أن يـصرح الوليد وشـيخه (أي الأوزاعي) بالتحديـث، وقد عنعنه الأوزاعـي هنا، ومعروف عـن الوليد أنه يدلس في حديث الأوزاعي؛ "قال صالح جزرة: سـمعت

وتشير النصوص إلى أن أهل الشام هم أسعد الناس حظاً بنصرة المهدي، والقتال والجهاد معه، ولا أدل على ذلك من سرعة استجابتهم لبيعته أول سماعهم بخبره، وأسوق هنا أثراً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فيه إلماح إلى ذلك، قال رضي الله عنه: "ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن، فلا تسبُّوا أهل

الهيثم بن خارجة يقول: قلت للوليد بن مسلم: قد أفسدت حديث الأوزاعي. قال: وكيف؟ قلت: تروي عنه عن نافع، وعنه عن الزهري، وعنه عن يحيى، وغيرك يُدخل بين الأوزاعي وبين نافع عبد الله بن عامر الأسلمي، وبينه وبين الزهري قُرَّة؛ فما يحملك على هذا؟

- قال: أُنَبِّل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء. قلت: فإذا روى الأوزاعي عن هؤلاء وهم ضعفاء مناكير فأسقطتهم أنت وصيرتها من رواية الأوزاعي عن الأثبات ضُعِّف الأوزاعي. فلم يلتفت إلى قولي". ميزان الاعتدال (٤/ ٢٢).
- والأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو، ثقة جليل. تقريب التهذيب (ص٥٩٣).
- ويحيى بن أبي كثير: ثقة ثبت، مدلس، كثير الإرسال، وهو عند ابن حجر من الطبقة الثانية فيُحتمل تدليسه، أما إرساله فلم يُذكر أبو سلمة فيمن أرسل عنهم يحيى.
- وأبو سلمة: هو ابن عبد الرحمن بن عوف، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة مكثر. تقريب التهذيب (ص١١٥٥).
- فهذا إسناد ظاهره الصحة، رجاله كلهم ثقات؛ ولذا قال الحاكم بعد تخريجه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال: على شرط البخاري ومسلم.
- وقال البستوي في الموسوعة (ص٢٤٥): "ولهذا أنا متوقف في هذا الحديث، حتى يفتح الله علي وهو خير الفاتحين. والقلب إلى تضعيفه أميل".
- تنبيه: أحاديث السفياني كلها ضعيفة، ولم يستقم إسناد حديث منها، سوى هذا الحديث الذي معنا فإن بعض أهل العلم صححه، ولقد أكثر نُعيم من روايتها في كتاب الفتن (ص١٦٨-١٩٢)، وبالغ البعض في إثباتها، وتنزيلها على الواقع، كما فعل أمين محمد جمال الدين في كتابه هرمجدون (ص٤٧-٥٤) وقال (ص٤٩): إنني أظن أن حاكم العراق الحالي صدام حسين هو الرجل الملقب بالسفياني في أحاديث النبي ﷺ"، وقال في الصفحة نفسها: "لولا أنني على يقين من أمري ما تورطت في أمر كهذا"، واستدل بأحاديث واهية لا ينهض شيء منها= للاحتجاج، ولقد كذبه الواقع فيما يقول، وردَّ عليه جمعٌ من أهل العلم، وبينوا ضعف ما استدل به، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: عادل زكي في "فتح العليم العلام" (ص٦٩ وما بعدها)، محمد بيومي في "نبوءات النبي في فتن آخر الزمان" (ص٤٤-٥٤)، محمد المقدم في "فقه أشراط الساعة" (ص٦١-٦٥)، مشهور حسن سلمان في "العراق في أحاديث الفتن" (ص٧١١ وما وبعدها)، وغيرهم كثير.



الشام، وسبوا ظَلَمَتهم، فإن فيهم الأبدال، وسيرسل الله إليهم سيباً[1] من السماء فيغرقهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم، ثم يبعث الله عند ذلك رجلاً من عِترة الرسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً إن قلوا وخمسة عشر ألفاً إن كثروا، أمارتهم أو علامتهم أمِتْ أمِتْ، على ثلاث رايات يقاتلهم أهل سبع رايات، ليس من صاحب راية إلا وهو يطمع بالملك، فيقتتلون ويهزمون، ثم يظهر الهاشمي فيرد الله إلى الناس إلفتهم ونعمتهم، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال"[2].

١- السَّيْب: هو العطاء. انظر: غريب الحديث (١/ ٢١٤) لأبي عبيد القاسم بن سلام، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٥٨).

٢- الحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٣٠٩٤)، رقم (٨٦٥٨) قال: أخبرني أحمد بن سلمة العنزي، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا نافع بن يزيد، حدثني عياش بن عباس، أن الحارث بن يزيد حدثه، أنه سمع عبد الله بن زُرَير الغافقي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: وذكر الحديث.

- أحمد بن سلمة العنزي: تقدم (ص٨١-٨٢).
- ونقل البستوي في المهدي المنتظر (ص٣٤٤) قولاً للحاكم عن أحمد بن سلمة بأنه: صدوق، وعزاه إلى سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٥)، وليس كذلك؛ بل هو في تاريخ الإسلام كما تقدم.
- وعثمان بن سعيد الدارمي: إمام حافظ حجة، سبق (ص٨٢).
- وسعيد بن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم بن أبي مريم الجمحي، ثقة ثبت.
- تقريب التهذيب (ص٣٧٥).
- ونافع بن يزيد: هو أبو يزيد المصري، ثقة عابد. تقريب التهذيب (ص٩٩٦).
- وعياش بن عباس: المصري، ثقة. تقريب التهذيب (ص٧٦٤).
- والحارث بن يزيد: الحضرمي المصري، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٢١٥).
- وعبد الله بن زرير الغافقي: المصري، ثقة رُمي بالتشيع. تقريب التهذيب (ص٥٠٧).
- قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.
- فالحديث إسناده صحيح.
- وهذا الحديث رواه الطبراني مرفوعاً في المعجم الأوسط (٤/ ١٧٦)، رقم (٣٩٠٥) قال: حدثنا علي بن سعيد الرازي، قال: حدثنا علي بن الحسين الخوَّاص، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، قال: حدثنا ابن لهيعة، قال: حدثنا عياش بن عباس به.
- وهذا الإسناد رجاله ثقات، سوى علي بن سعيد الرازي فإنه متكلَّم فيه، وعبد الله بن لهيعة ضعيف،

بدايات الملاحم وسَيْرُهَا مع الروم في بلاد الشام:

بعد الخسف بجيش السفياني يشتهر أمر المهدي، ويأتيه المؤمنون للمبايعة، وقد سبق أن أوَّل القادمين لبيعته هم صالحو أهل الشام، ثم ما يلبث المهدي أن ينتقل إلى الشام استعداداً للمرحلة القادمة.

يوطد المهدي دعائم الخلافة في بلاد الشام، وتقوى دولة الإسلام في عهده، وحينها يضطر الروم للتعامل مع الخلافة وقوة المسلمين كأمر واقع، وتكون هدنة بين المسلمين والروم.

وقبل ذكر الهدنة، أحب أن أشير إلى أمارتين من أمارات الملحمة، ذكرهما النبي ﷺ.

الأولى: خراب يثرب:

- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ». ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِى حَدَّثَ - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَا هُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ». يَعْنِى مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ[1].

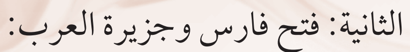
ولم يرو عنه هذا الحديث سوى زيد بن أبي الزرقاء كما أشار إلى ذلك الطبراني.

١ - إسناده: حدثنا عباس العنبري، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان....

- أبو داود، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم (ص٦٤٠)، رقم (٤٢٩٤) واللفظ له، وأحمد (٣٦/ ٤٣٢)، رقم (٢٢١٢١) كلاهما من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر به، وأحمد (٣٦/ ٣٥٢)، رقم (٢٢٠٢٣) من طريق عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول به، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٢٩٤٦)، رقم (٨٢٩٧) موقوفاً على معاذ بن جبل رضي الله عنه.

- عباس العنبري: هو عباس بن عبد العظيم، ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص٤٨٧).

- وهاشم بن القاسم: هو ابن مسلم الليثي، مولاهم، أبو النضر البغدادي، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص١٠١٧).



الثانية: فتح فارس وجزيرة العرب:

- عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قال: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ[1] فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لاَ يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُ نَجِيٌّ[2] مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ

- وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: وثقه أبو حاتم، ودُحيم، والفلاس، وذكره ابن حبان في الثقات، وحسَّن الرأي فيه علي بن المديني.
- وقال صالح جزرة: صدوق، وقال العجلي وأبو داود: لا بأس به.
- وقال ابن حجر: صدوق يخطئ، ورمي بالقدر، وتغير بأخرة.
- وضعفه أحمد، والنسائي، وابن خراش.
- انظر: الجرح والتعديل (٥/ ٢١٩)، والثقات (٧/ ٩٢)، ومعرفة الثقات (٢/ ٣٧)، والكاشف (١/ ٦٢٢)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٣٦)، وتقريب التهذيب (ص٥٧٢).
- ورميه بالقدر لا يضر؛ لأن هذا الحديث لا يؤيد بدعته، إضافة إلى نفي أبي داود هذه التهمة عنه،
- وأما اختلاطه فلم يذكره غير أبي حاتم، حيث قال: تغير عقله في آخر حياته، وهو مستقيم الحديث.
- وكلام أبي حاتم فيه إشعار بأن هذا التغير لم يضره؛ وذلك أنه أعقبه بقوله: وهو مستقيم الحديث، وإليه أشار محمد عوامة في حاشيته على الكاشف، وكذلك صاحبا تحرير التقريب (٢/ ٣٠٩).
- مكحول: ثقة فقيه، كثير الإرسال، أرسل عن النبي ﷺ وعدد من الصحابة، وكذلك عن بعض التابعين، ولم يُذكر جبير بن نفير فيمن أرسل عنهم مكحول، فروايته عنه محمولة على الاتصال.
- انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٣٣٢)، وتقريب التهذيب (ص ٩٦٩).
- فهذا إسناد حسن، لحال عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان.
- أما إسناد أحمد من طريق ثابت عن مكحول عن معاذ فهو إسناد ضعيف؛ لأن مكحولاً لم يسمع من معاذ.
- وإسناد الحاكم صح موقوفاً كما ذهب إليه الحاكم ووافقه الذهبي، وإليه ذهب الألباني في تحقيقه على (هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة) (٥/ ١٠٧)، وقال: "ولا يخفى أن له حكم الرفع".

١- الأَكَمَة: المكان الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله، ولا يعدو أن يكون حجارة. وقيل: القطعة الغليظة من الرمل. انظر: غريب الحديث (٢/ ٤٨٤) للحربي، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٣٧) للقرطبي.

٢- النجيّ: المناجي، وهو المتحدث في خلوة. نفسه (٧/ ٢٣٧).

أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ[1]».

قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ[2].

وقد تم للصحابة رضي الله عنهم فتح جزيرة العرب، وفتح فارس، وغزو الروم قريب إن شاء الله.

والنبي ﷺ قرن بين فتح الروم، وقتل الدجال، وهذا ظاهر لمن تأمل في أحاديث الفتن، حيث إن المسلمين ما أن ينتهوا من فتح القسطنطينية حتى يخرج الدجال، مما يشير إلى أن غزو بلاد الروم وفتحها على الكمال والتمام إنما يقع في آخر الزمان، ولذلك قال نافع بن عتبة رضي الله عنه راوي الحديث: لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم.

الهدنة بين المسلمين والروم:

- عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أَدَم[3] فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَان[4] يأخذ فيكم كقعاص[5] الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم

١- قال القاري في المرقاة (٨/ ٣٤١١): "أي يجعله مقهوراً مغلوباً". ووقعت عند ابن ماجه بلفظ: يفتحها الله، فيكون المعنى هنا: يفتح الله مملكته أو أرضه التي يغلب عليها. انظر: المفهم (٧/ ٢٣٨).

٢- إسناده: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ (ابن عبد الحميد)...

- مسلم، كتاب الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال (ص١١٦٣)، رقم (٢٩٠٠) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم (ص٦٨٠)، رقم (٤٠٩١) بنحوه، وفيه: "قال جابر: فما يخرج الدجال حتى تفتح الروم"، كلاهما من طريق عَبْدِ الْمَلِكِبْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ به.

٣- الأَدَم: جمع أديم، وهو الجلد. انظر: لسان العرب (١/ ١٠٣).

٤- سيأتي بيانه مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل الثالث (ص٢١٧).

٥- سيأتي بيانه مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل الثالث (ص٢١٧).



وبين بني الأصفر[1]، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية[2]، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[3] .

سبب غدر الروم:

وسبب الغدر المذكور في حديث عوف؛ جاء مبيناً في حديث ذي مِخبَرَ رضي الله عنه[4]، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، حتى تغزو أنتم وهم عدوّاً من ورائهم[5]، فتنصرون وتَسلمون وتغنمون، حتى

١- بنو الأصفر: يعني الروم، وفي سبب تسميتهم بذلك قولان: أحدهما: أن جيشاً من الحبشة غلبوا على ناحيتهم في بعض الدهر، فوطئوا نسائهم، فولدن أولاداً صفراً. قاله ابن الأنباري.

- الثاني: أنهم نسبوا إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. قاله ابن إسحاق.

- وقال القرطبي: "وهذا (أي الثاني) أشبه من الأول". التذكرة (٣/ ١١٥٧)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٢٨).

٢- الغاية: الراية، ويقال للسحابة: غاية، وسميت الراية بذلك؛ لأنها تشبه السحاب لمسيرها بالجو، ولأنها تُظل الأجناد، فكأنهم لكثرة راياتهم، واتصال ألويتهم كالسحاب الذي يظلل الإنسان.

- انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦٨٦)، والتذكرة (ص١١٥٧-١١٥٨).

٣- البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ما يُحذر من الغدر (ص٦٠٩)، رقم (٣١٧٦)، حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زَبْر، قال: سمعت بُسْر بن عبيد الله، أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك رضي الله عنه قال: وذكر الحديث.

- والوليد بن مسلم: يدلس ويسوي، وتدليسه هنا لا يضر؛ لتصريحه ومن فوقه بالسماع.

٤- ويقال: ذو مِخْمَر، ابن أخ النجاشي، صحابي جليل، وفد على النبي ﷺ وخدمه، ثم نزل الشام. روى له أبو داود، وابن ماجه، وأحمد. انظر: الإصابة (٢/ ٣٤٨).

٥- هكذا عند الإمام أحمد، رقم (١٦٨٢٦)، وعند أبي داود: "من ورائكم"، وقد تكلف كثير من المعاصرين في تأويلها؛ فمنهم من ذهب إلى أن هذا العدو إيران، ومنهم من ذهب إلى أنه روسيا والصين، ومنهم من ذهب إلى أنهم اليهود، وغير ذلك، والأولى السكوت عن ذلك والكف عنه، وذلك أن الروايات قد اختلفت ألفاظها، فيصعب الجزم بواحد من التأويلات المذكورة أو غيرها، ونكل علم ذلك إلى الله تعالى.

تنزلوا بمرْج[1]، فيقول قائل من الروم: غَلب الصليب[2]، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غَلب، ويتداولونها[3]، وصليبهم من المسلمين غيرُ بعيد، فيثور إليه رجل من المسلمين فيدقه[4]، ويثورون إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة، فيأتون ملكهم فيقولون: كفيناك جزيرة العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتون تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[5].

١- المرج: هو الموضع الذي ترعى فيه الدواب، وجاء عند غير ابن حبان: "مرج ذي تُلول"، والتلول: جمع تل، وهو الموضع المرتفع، أو كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل. انظر: حاشية السندي على مسند أحمد (٢٨/ ٣٣)، وعون المعبود (٧/ ٣٦٢).

٢- أي: دين النصارى؛ قصداً لإبطال الصلح، أو لمجرد الافتخار وإيقاع المسلمين في الغيظ.

- حاشية السندي على المسند (٢٨/ ٣٣).

- وقال الشيخ رفاعي سرور معلقاً على ذلك في كتابه: المسيح بن مريم تصور سلفي (ص٦٠٥): "وهو (أي الصليب) العنصر الواضح في الحروب الصليبية التاريخية، حتى بلغ درجة هستيرية،

- فيُرسم الصليب على أعلام الدول، ورايات الحرب وملابسها، وعلى الدروع والأسلحة... وكذلك سيكون في الملحمة.. ولعلنا نلاحظ عبارة: "غلب الصليب"؛ لننتبه إلى مدى حَمِيَّةِ النصارى للصليب، وهو الأمر الواضح جداً في كل الحروب الصليبية؛ القديمة والحديثة ".

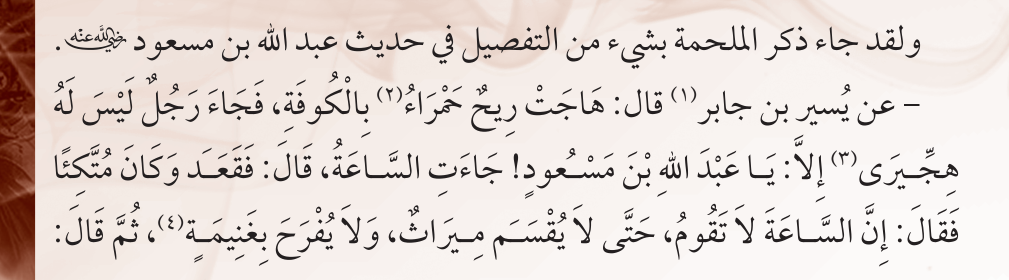
- قال الباحث: إنه والله أمر غريب عجيب، أن يرفع الكفار المشركون صليبهم الذي ارتسم في واقعهم وقولهم وعقولهم، جرَّاء عقيدة فاسدة مكذوبة، فيغضبون له، ويُقتلون دونه، ثم في المقابل لا تفعل ذلك أمة الإسلام مع كتاب ربها المجيد، الذي هو سبب نصرتها وسر فلاحها.

٣- أي: كل منهم ينسب الغلبة لنفسه.

٤- أي: يكسره.

٥- إسناده: أخبرنا عبد الله بن محمد بن سَلْم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم...

- أبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم (ص٦٣٩)، رقم (٤٢٩٢) مختصراً، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم (ص٦٨٠)، رقم (٤٠٨٩) بنحو رواية أبي داود، وأحمد (٢٨/ ٣١)، رقم (١٦٨٢٥) بنحو رواية أبي داود، (٢٨/ ٣٣)، رقم (١٦٨٢٦) مطولاً، وابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذكر الإخبار عن وصف مصالحة المسلمين للروم (١٥/ ١٠٣)، رقم (٦٧٠٩) واللفظ له، كلهم من طريق الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير به.



ولقد جاء ذكر الملحمة بشيء من التفصيل في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

– عن يُسير بن جابر[1] قال: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ[2] بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[3] إِلاَّ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ! جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ، حَتَّى لاَ يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلاَ يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ[4]، ثُمَّ قَالَ:

– ووقع عند أبي داود وابن ماجه:... عن حسان بن عطية، قال: مال مكحول وابن أبي زكريا إلى خالد بن معدان، وملت معهما، فحدثنا عن جبير بن نفير عن الهدنة، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر، رجل من أصحاب النبي ﷺ، فأتيناه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: وذكر الحديث.

– ووقع عند ابن حبان:... حدثني حسان بن عطية، قال: مال مكحول إلى خالد بن معدان، وملنا معه، فحدثنا عن جبير بن نفير، أن ذا مخبر ابن أخي النجاشي حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ: وذكر الحديث.

– وسقط جبير بن نفير من سند الإمام أحمد، رقم (١٦٨٢٥)، وهذا لا يضر؛ لأن خالد بن معدان سمعه من ذي مخبر مع جبير بن نفير.

– عبد الله بن محمد بن سَلْم: بن حبيب بن عبد الوارث، أبو محمد المقدسي الفِريابي، وثقه ابن حبان، والذهبي. انظر: تاريخ دمشق (٣٢/ ١٩٣)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٦).

– وعبد الرحمن بن إبراهيم: هو بن عمرو العثماني مولاهم، الدمشقي، ثقة حافظ متقن. تقريب التهذيب (ص٥٦٩).

– فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، سوى ما فيه من تدليس الوليد بن مسلم، وهو يدلس تدليس تسوية، وتدليسه مدفوع بتصريح الأوزاعي (شيخه) فمن فوقه بالسماع.

١– الكوفي، ويقال: ابن عمرو، ويقال: أسير، أبو الخباز العبدي، ويقال: المحاربي، ويقال: الكندي، أدرك زمن النبي ﷺ، ويقال: له رؤية، روى عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وغيرهم، توفي سنة٨٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٩٨)، و تقريب التهذيب (ص١٠٨٧).

٢– أي: شديدة، احمرت بها السحاب، ويبست لها الشجر، وانكشفت الأرض، فظهرت حمرتها. المفهم (٧/ ٢٣٣).

٣– بكسر الهاء، والجيم المشددة، مقصور الألف، أي: شأنه ودأبه، فليس له كلام ولا شأن إلا ذلك، ويقال: ما زال هِجِّيراه، وإهجيراه، وإجريَّاه، والأول أفصح. انظر: المفهم (٧/ ٢٣٣)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٣٢)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٣٧).

٤– والسبب في ذلك: أن أكثر المسلمين قد قتلوا في هذه الملحمة العظيمة. انظر: مرقاة المفاتيح (٣/ ٤١٤).

بيَـده هكَـذَا (وَنَحَّاهَا نَحوَ الشَّـام) فقَالَ: عَـدُوٌّ يجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْـلاَمِ[1] وَيَجْمَعُ لَهُـمْ أَهْلُ الإِسْـلاَمِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَـالَ: نَعَمْ، وَتكُونُ عِنْدَ ذَاكُـمُ الْقِتَال رَدَّةٌ شَـدِيدَةٌ[2]، فَيَشْـتَرِطُ الْمُسْـلِمُونَ شُرْطَـةً[3] لِلْمَوْتِ لاَ تَرْجِـعُ إِلاَّ غَالِبَـةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّـى يَحْجُـزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَـيْرُ غَالِـب، وَتَفْنَى الشُّرْطَة، ثُمَّ يَشْـتَرِطُ الْمُسْـلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَـوْتِ، لاَ تَرْجِعُ إِلاَّ غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُـونَ، حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُـمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَـؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِـب، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْـتَرِطُ الْمُسْـلِمُونَ شُرْطَـةً لِلْمَـوْتِ، لاَ تَرْجِـعُ إِلاَّ غَالِبَـةً، فَيَقْتَتِلُـونَ حَتَّى يُمْسُـوا، فَيَفِيءُ هَـؤُلاَءِ وَهَـؤُلاَءِ، كُلٌّ غَـيْرُ غَالِـب، وَتَفْنَى الشُّرْطَـةُ، فَـإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِـعِ، نَهَدَ[4] إِلَيْهِـمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْـلاَمِ، فَيَجْعَـلُ اللهُ الدَّبْرَةَ[5] عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُـونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لاَ يُـرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَـالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ[6]، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّـى يَخِرَّ مَيْتًـا، فَيَتَعَـادُّ بَنُـو الأَبِ، كَانُوا مِائَةً فَـلاَ يَجِدُونَهُ بَقِـيَ مِنْهُـمْ إِلاَّ الرَّجُلُ

١- وقـع في مشـكاة المصابيـح (٣/ ١٤٩٣) للتبريـزي، وكذلك في هدايـة الـرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشـكاة (٥/ ١٠٥) لابن حجر: "يجمعون لأهل الشـام" ولم أجد هذه اللفظة عند مسلم في أيٍ من النسخ التي وقفت عليها، ولا في شروح مسلم كذلك.

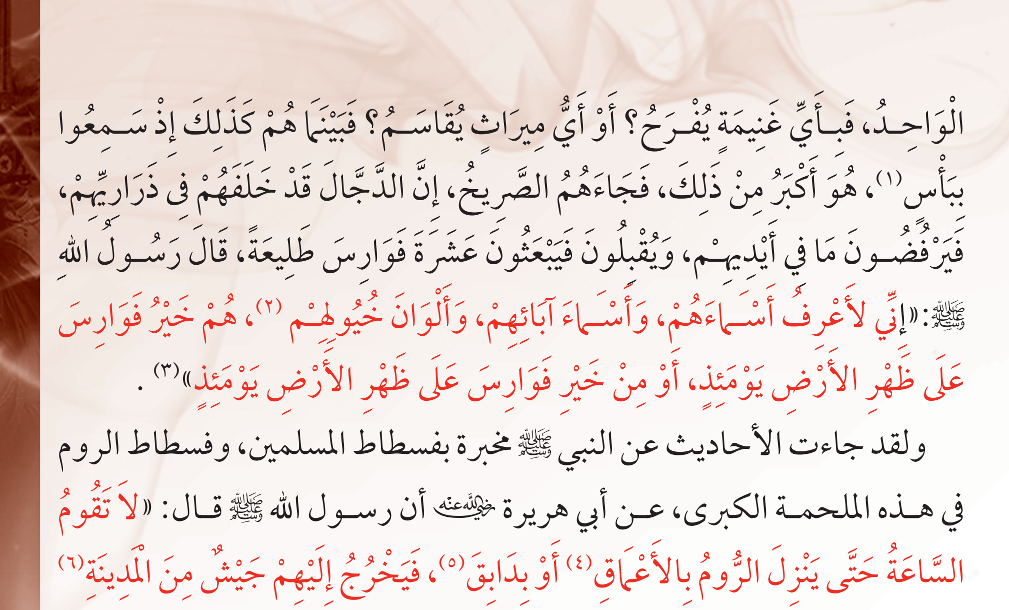
٢- المـراد: عطفـة قوية، وهي مضبوطة في أكثـر الروايات: بفتح الراء، وقعـت عند القرطبي بكسرها وتصح على الوجهين، فيكون معناها بالفتح ما ذكرنا، وبالكسر: " ارتداد شـديد عن الإسـلام، إما ظاهراً بالخروج عن الإسـلام، والدخول في الكفر، وإما معنىً باختيار عقائد وأمور توجب الكفر، مع بقائهم على ظاهر الإسلام ". منة المنعم في شرح صحيح مسلم (٤/ ٣٥٣).

٣- الشرطـة: الطائفة من الجيش تتقدم للقتال، وقيل سُـموا بذلك لعلامات تميزوا بها. قال القرطبي: وهذا (أي الثاني) هو الأعرف. انظر: المفهم (٧/ ٢٣٣)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٣٢).

٤- أي: نهـض وتقـدم، ومنه سـمي النهد؛ لأنه متقـدم في الصـدر. المصدران السـابقان (٧/ ٢٣٣)، (١٨/ ٢٣٢).

٥- بسكون الباء وفتحها، أي: الهزيمة، وهي الرواية الأشهر، وفي بعض روايات مسلم: الديرة، وهي بنفس المعنى، وفي بعضها: الدائرة، ومعناها مقارب لما سبق. قال الأزهري: الدائرة الدولة تدور على الأعداء. المصدران السابقان (٧/ ٢٣٣)، (١٨/ ٢٣٢).

٦- أي: نواحيهم، وهي رواية الأكثر، وفي بعض روايات مسلم: بجثمانهم، أي: شخوصهم.
- انظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٣٨).



الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ[1]، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ[2]، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»[3].

ولقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ مخبرة بفسطاط المسلمين، وفسطاط الروم في هذه الملحمة الكبرى، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ[4] أَوْ بِدَابِقَ[5]، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ[6]

١- هذا يوهم أن سماعهم بالبأس يكون بعد الانتهاء من الملحمة، وليس هذا بصحيح، ففي السياق حذف دلت عليه باقي الروايات، حيث ثبت عند مسلم - وسيأتي- أنهم بعد الانتهاء من الملحمة يتجهون للقسطنطينية ويفتحونها، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ سمعوا بالصارخ، وقد وقع الحديث تاماً عند أبي يعلى في المسند (٩/ ٢٥٩)، رقم (٥٣٨١).

٢- الملاحظ هنا أن النبي ﷺ يفصِّل، كما هو الحال في الإخبار عن كثير من الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وهذا التفصيل يورث في القلب يقيناً لا يدع مجالاً لشك ولا ريب، فكثير من الناس ربما يشككون في هذه الأحداث أو يستبعدون وقوعها، فيأتي التفصيل ناسفاً هذا الريب، داحضاً تلك الشبهة.

٣- مسلم، كتاب الفتن، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال (ص١١٦٢)، رقم (٢٨٩٩) قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، كِلاَهُمَا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ (وَاللَّفْظُ لاِبْنِ حُجْرٍ)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ به.

٤- الأعماق: جمع عَمْق، وهو ما بَعُد من أطراف المفازة، وهي كُورة قرب دابق، بين حلب وأنطاكية، وتقع إلى الشمال من أنطاكية. انظر: معجم البلدان (١/ ٢٦٤).

٥- دابق: قرية قرب حلب، وتقع إلى الشمال منها، وبينها وبين حلب أربعة فراسخ، وعندها مرج مشعَّب نَزِه، كان ينزله بنو مروان. انظر: معجم البلدان (٤/ ٧٥).

٦- اختلف أهل العلم في هذه المدينة، ما هي؟ فذهب بعضهم إلى أنها: حلب، ونقله القاري في المرقاة (٨/ ٣٤١٢) عن ابن الملك، ونقل كذلك عن بعضهم -من غير تعيين- أنها: دمشق، والذي يظهر -بعد النظر في مجموع الروايات- أن هذه المدينة هي مدينة النبي ﷺ، ولعل هذا يتأيد بقول ابن مسعود في الحديث آنف الذكر: " فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام "، واختار هذا الشيخ محمد العقيل في تحقيقه على كتاب: القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص٤٣)،

مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا[1] مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللهِ لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا[2]، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا[3]، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ

وعقب بقوله: " وفيه منقبة عظيمة للمدينة وأهلها، حيث أن العصابة التي تخرج لفتح القسطنطينية منهم، ولما كانوا أنصار النبي ﷺ في أول الإسلام كافأهم الله، وجعل ذريتهم أنصار عيسى عليه السلام آخر الزمان، وفيه أن الطائفة المنصورة في آخر الزمان في المدينة، ثم ينتقلون إلى الشام ".

- ولمزيد من البيان، انظر: نهاية التاريخ (ص٢٩)، وفقد جاء أشراطها (ص٢٦١).

١- قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (٢/ ٤٠٥): " أكثرهم (أي رواة مسلم) على ما لم يسم فاعله، وعند بعضهم: سَبَوا، بفتح السين والباء، والصواب الأول "، وعقَّب عليه النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٢٩) بقوله: " قلت: كلاهما صواب؛ لأنهم سُبُوا أولاً ثم سَبَوا الكفار، وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سَبَوهم في زماننا مراراً كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه".

- واختار القرطبي في المفهم (٧/ ٢٣١): فتح السين والباء، وقال: " وقد قيده بعضهم بضم السين والباء، وليس بشيء؛ لأن قول المسلمين في جوابهم: لا والله ما نخلي بينكم وبين إخواننا. يعنون: أنهم منهم في الأنساب والدين، فلو أن الروم طلبوا من سبي منهم، لما قالوا لهم ذلك مطلقاً "

وهذا الذي قاله الإمام القرطبي متعقب بأن الأخوة لا يشترط لثبوتها الاشتراك في النسب، بل تثبت بالدين، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. سورة الحجرات، آية (١٠).

٢- فيه إشارة إلى قوة رابطة الأخوة، والولاء بين أهل الإيمان في ذاك الزمان، وأنه من أسباب انتصارهم، ولما ضيع المسلمون هذا الأصل العظيم مال حالهم إلى ما نراه اليوم، فإن الناظر إلى حالهم يكاد يتفطر قلبه، ويتفتت كبده، حيث إن المسلمين يذبحون، ويُتخطفون في غير بلد من بلاد الإسلام، ولا يتحرك أحد لنصرتهم وغوثهم، بل إن بعض من ينتسبون للإسلام يعينون الأعداء عليهم، فنسأل الله العافية.

٣- المراد بذلك: أن الله لا يلهمهم التوبة، ولا يعينهم عليها؛ وذلك لعظم جرمهم، وشناعة فعلهم، ويحتمل أن يكون المراد: ما ذهب إليه القاري في المرقاة (٨/ ٣٤١٢)، حيث قال: "هذا كناية عن موتهم على الكفر، وتعذيبهم على التأبيد ". قال القرطبي في المفهم (٧/ ٢٣٢):

- "ويجوز أن يكون معنى ذلك: أنه تعالى لا يقبل توبتهم وإن تابوا ".

- والذي يظهر أن تجويز هذا بعيد؛ لدلالة النصوص -كتاباً وسنةً- أن الله تعالى يغفر الذنوب مهما عظمت إلا الشرك.

عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ[1]: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِى أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِى حَرْبَتِهِ»[2].

أما فسطاط المسلمين في الملحمة الكبرى، فلقد أخبر النبي ﷺ أنه في الغوطة بجانب دمشق.

- وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فُسْطَاطُ[3] الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْغُوطَةِ[4] إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ»[5].

- وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

١- قال المباركفوري في منة المنعم (٤/ ٣٥٢) مبيناً معنى الصياح: "تعبير لطيف لما ينشر من الراديو والإذاعات الكاذبة إذ ذاك ".

- والأولى حمل ذلك على الظاهر، فهو ليس بمستغرب، ولا مستحيل الوقوع.

٢- مسلم، كتاب الفتن، باب في فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم (ص١١٦١)، رقم (٢٨٩٧) قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ (ابن أبي صالح)، عَنْ أَبِيهِ به.

٣- الفُسطاط -بالضم والكسر-: هو المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٧٠٥).

٤- هي الكُورَة التي منها دمشق، وكلها أشجار وأنهار متصلة، وهي بالإجماع أنزه بلاد الله، وأحسنها منظراً. انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٤٨)، وأطلس الحديث النبوي (ص٢٨٩).

٥- أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم (ص٦٤٠)، رقم (٤٢٩٨) بنحوه، حدثنا هشام بن عمار؛ أحمد (٣٦/ ٥٦)، رقم (٢١٧٢٥) واللفظ له، حدثنا إسحاق بن عيسى، كلاهما من طريق يحيى بن حمزة، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني زيد بن أرطاة، سمعت جبير بن نفير يحدث، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: وذكر الحديث.

- وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.

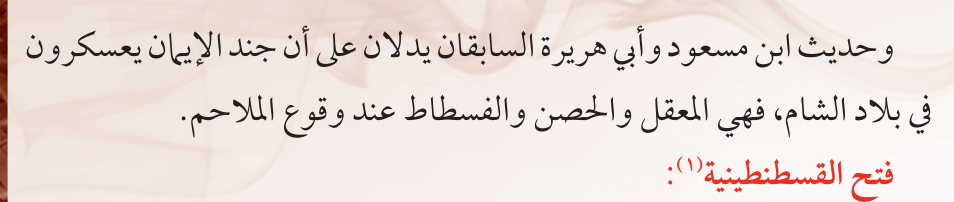
«عَوْفُ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلْ»، قَالَ: قُلْتُ: كُلِّي أَوْ بَعْضِي؟ قَالَ: «بَلْ كُلُّكَ، قَالَ: يَا عَوْفُ اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي»، قَالَ: فَاسْتَبْكَيْتُ حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسْكِتُنِي، قَالَ: قُلْتُ: إِحْدَى، «وَالثَّانِيَةُ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»، قُلْتُ: اثْنَتَيْنِ، «وَالثَّالِثَةُ مُوتَانٌ يَكُونُ فِي أُمَّتِي يَأْخُذُهُمْ مِثْلُ قُعَاصِ الْغَنَمِ»، قُلْ: ثَلَاثًا، وَالرَّابِعَةُ «فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي أُمَّتِي -وَعَظَّمَهَا- قُلْ: أَرْبَعًا»، «وَالْخَامِسَةُ يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى الْمِائَةَ دِينَارٍ فَيَتَسَخَّطُهَا، قُلْ: خَمْسًا، وَالسَّادِسَةُ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً، قُلْتُ: وَمَا الْغَايَةُ»؟ قَالَ: «الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ»[١].

وفي بيان بأس أهل الشام وشجاعتهم عند وقوع الملاحم، يقول النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة: «إذا وقعت الملاحمُ خرج بعثٌ من الموالي[٢] من دمشق، هم أكرم العرب فرساً، وأجوده سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين»[٣].

١- أحمد (٣٩/ ٤١١-٤١٢)، رقم (٢٣٩٨٥) قال: حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صفوان، قال: حدثنا عبدالرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه به.
- وأبو المغيرة: هو عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، وصفوان: هو ابن عمرو السَّكسَكي.
- فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢- أي: من الذين أعتقهم العرب، وقوله: هم أكرم العرب، يدل على أنهم من العرب.

٣- إسناده: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي، حدثنا أبو حفص القاضي عثمان بن أبي العاتكة...
- ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم (ص٦٨٠) بنحوه، رقم (٤٠٩٠)، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٣٠٨٩)، رقم (٨٦٤٦) واللفظ له، وزاد فيه: "من دمشق"، كلاهما من طريق عثمان بن أبي العاتكة، عن سليمان بن حبيب المحاربي به.
- وهذا إسناد رجاله ثقات، سوى عثمان بن أبي العاتكة، مختلف فيه.
- قال أبو حاتم: لا بأس به، بأسه من كثرة روايته عن علي بن يزيد، أما روايته عن غير علي فهو مقارب يُكتب حديثه، وقال دحيم العجلي: لا بأس به.
- وقال أبو داود: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق، ضعفوه في روايته عن



وحديث ابن مسعود وأبي هريرة السابقان يدلان على أن جند الإيمان يعسكرون في بلاد الشام، فهي المعقل والحصن والفسطاط عند وقوع الملاحم.

فتح القسطنطينية[1]:

وبعد الانتهاء من انتصار المسلمين في هذه الملحمة الكبرى، ينطلقون إلى القسطنطينية لفتحها، وإنقاذها من براثن الكفر والعلمنة والإلحاد.

وقد دل على ذلك حديث ابن مسعود -من رواية أبي يعلى-، وحديث أبي

علي بن يزيد الألهاني.

- وضعفه يحيى بن معين، ويعقوب بن سفيان، والنسائي.

- انظر: معرفة الثقات (٢/ ١٢٨)، والجرح والتعديل (٦/ ١٦٣)، والضعفاء والمتروكين (ص٢١٥) للنسائي، والثقات (٧/ ٢٠٣)، والكامل في الضعفاء (٥/ ١٦٤)، والكاشف (٢/ ٨)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٨٨-٤٨٩)، وتقريب التهذيب (ص٦٦٤).

- والذي يظهر: أن عثمان أُتي من جهة روايته عن علي بن يزيد الألهاني كما ذكره ابن حجر، ولذلك قال ابن عدي: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، عن هشام بن عمار، عن صدقة بن خالد، عن عثمان، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة بثلاثين حديثاً عامتها ليست مستقيمة. الكامل في الضعفاء (٥/ ١٦٤).

- فحديثه حسن في غير روايته عن علي بن يزيد كما هو ظاهر كلام ابن حجر.

- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

- قال الألباني: والأول (أي كلام الحاكم) أقرب إلى الصواب؛ لأن مسلماً لم يخرج لعثمان هذا، والبخاري إنما أخرج له في الأدب المفرد.

- وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٦): إسناده حسن.

- وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (٦/ ١/ ٦٤٦)، رقم (٢٧٤٤٧).

١- ويقال: قسطنطينة، بإسقاط ياء النسبة، وهي دار ملك الروم، انتقل إليها قسطنطين الأكبر بعد أن ملك الروم، وبنى عليها سوراً، وأسماها القسطنطينية نسبة إليه، وكانت تعرف باسم: بِزَنْطِيَة، وهي اليوم: استنبول، ولها خليج من البحر، يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر، ولها أهمية كبرى، وتأتي هذه الأهمية نظراً لموقعها الجغرافي عند نقطة اتصال آسيا بأوروبا عن طريق مضيق البوسفور، الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأسود.

- انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (١/ ٤٨١)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٩٥)، وتاريخ الدولة العثمانية (ص٣١) لعلي حسون.

هريـرة، ولقد جـاء هذا الفتح مفصلاً مبيناً في حديـث لأبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُـولَ الله. قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلاَحٍ ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا».

قَـالَ ثَـوْرٌ: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ قَالَ: «الَّـذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَـةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِـمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»[1].

وتوقف بعض[2] أهل العلم في تعيين هذه المدينة، وذهب بعض المعاصرين[3] إلى أنها مدينة غير القسطنطينية.

والذي يظهر أن هذه المدينة هي القسطنطينية، ويتأيد ذلك بما يلي:

١ - أن الوصف الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث مطابق لوصف هذه المدينة.

١- مسـلم، كتـاب الفتن، باب لا تقوم السـاعة حتى يمـر الرجل بقبر الرجل فيتمنـى أن يكون مكان الميت من البلاء (ص١١٧٠)، رقم (٢٩٢٠) قال: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ (يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ)، عَنْ ثَوْرٍ (وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ الدِّيلِيُّ)، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ به.

٢- وممن توقف: القرطبي في المفهم (٧/ ٢٤٩)، حيث قال معقباً على كلام القاضي عياض -وسيأتي- الذي اختار أنها القسطنطينية: "وأما قوله: إن هذه القرية هي القسطنطينية، فينبغي أن يبحث عن صفتها؛ هل توافق ما وصفه ﷺ في هذه المدينة أم لا؟"، وأما ما ذكره مسلم في الأم من حديث القسطنطينية، فهو ما تقدم في حديث أبي هريرة ﷺ، الذي في أوله: (لا تقوم السـاعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق)، قال فيه: "فيقاتلهم المسلمون.." وظاهر هذا يدل على: أن القسطنطينية إنما تفتح بالقتال، وهذا الحديث يدل على أنها تفتح بالتهليل والتكبير، فقول بعضهم (أي عن المدينة بأنها القسطنطينية) فيه بُعد...".

٣- ومنهم: الشـيخ عمر الأشـقر، حيث ذهب في القيامة الصغرى (ص٢٣٩) إلى أنها البندقية التي في إيطاليـا، وقـال: هي أقرب إلى المراد بالحديث، وذهب العلي في الأرض المقدسـة (ص٢٠١) إلى أنها روما.

٢- أن حديث ابن مسعود وأبي هريرة اللذين فُصِّل فيهما سير الملحمة مع الروم؛ بيَّنا أن المسلمين ينطلقون بعد الملحمة إلى القسطنطينية لفتحها، فإذا أتم الله لهم ذلك، وعلقوا سيوفهم بالزيتون جاءهم الصريخ، وصاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، وهذا تماماً هو الذي ذُكر في حديث أبي هريرة الآنف الذكر، والذي فُصل فيه فتح القسطنطينية.

٣- أن غير واحد من أهل العلم نصوا على أن هذه المدينة هي القسطنطينية، وإليه ذهب القاضي عياض[١]، والقرطبي[٢]، والنووي[٣]، وابن كثير[٤]، والسخاوي[٥]، والمباركفوري[٦]، والتويجري[٧]، وغيرهم كثير.

ومما تتابع أهل العلم في التأكيد عليه، والتنبيه إليه: أن هذا الفتح المبارك غير الفتح الذي أجراه الله على يد القائد المظفر: محمد الفاتح[٨]، "فإنه افتتح هذه المدينة بعد الحصار الطويل، والحروب الشديدة، والتدابير الواقية، وهذا الفتح المذكور في

١- إكمال المعلم (٨/ ٤٦٤).

٢- حيث بوَّب في التذكرة (٣/ ١٢١١): "باب ما جاء في فتح القسطنطينية، ومن أين تفتح، وفتحها علامة خروج الدجال، ونزول عيسى وقتله إياه"، ثم ذكر بعض الأحاديث؛ منها: حديث أبي هريرة الذي أوردناه.

٣- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٥٢).

٤- النهاية في الفتن والملاحم (ص٦٤).

٥- القناعة (ص١١٧).

٦- منة المنعم (٤/ ٣٦٥).

٧- إتحاف الجماعة (٢/ ٤٠١).

٨- هو: محمد بن مراد بك بن محمد بك، صاحب بلاد الروم، ولد سنة ٨٣٣هـ، وهو سابع سلاطين الدولة العثمانية، بويع للخلافة سنة ٨٥٥هـ، وسار على نهج والده في دفع الفرنج، وتم له فتح القسطنطينية، وصارت كرسي ملكه بعد فتحها، وطرد الفرنج منها، ومات في أوائل سنة ٨٨٦هـ أثناء توجهه من قسطنطينية لجهة برما، ودفن هناك، ثم حُوِّل إلى اسطنبول.

- انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٤٧) للسخاوي، والمختار المصون من أعلام القرون (١/ ٥٥٩-٥٦٠) لمحمد موسى الشريف، وتاريخ الدولة العثمانية (ص٣١).

هـذا الحديث إنما يحصل بهتاف التكبير دون القتال، ويحصل قرب خروج الدجال جداً"[1].

وفي هذا الصدد يقول الشيخ المحدث أحمد شاكر: "فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، يعلمه الله -عز وجل-، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا؛ فإنه كان تمهيداً للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهدت الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها إن شاء الله كما بشر به رسول الله ﷺ"[2].

ويتأيد هذا بأثر أنس رضي الله عنه، قال: "فتح القسطنطينية مع قيام الساعة"[3].

قال الترمذي عقب الحديث: قال محمود (أي: ابن غيلان، شيخه): "والقسطنطينية

هي مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ".

وتعقبه ابن كثير بقوله: "وفي هذا نظر، فإن معاوية بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري، ولكن لم يتفق أن فتحها، وحاصرها مَسْلَمَةُ بن عبد

١- منة المنعم (٤/ ٣٦٥).

٢- عمدة التفسير عن ابن كثير (٢/ ٢٥٦ حاشية)، وهذا الكتاب اختصر فيه الشيخ تفسير ابن كثير. وانظر: إتحاف الجماعة (١/ ٤٠٣-٤٠٤)، والسلسلة الصحيحة (١/ ١/ ٣٣).

٣- الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في علامات خروج الدجال (ص٥٠٦)، رقم (٢٢٣٩) قال: حدثنا محمود بن غيلان، قال: حدثنا أبو داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد به.

- وأبو داود: هو الطيالسي، وهذا إسناد صحيح موقوف، رواته كلهم ثقات، وله حكم الرفع، فمثل هذا لا يقال من قبيل الرأي.

الملك بن مروان في زمان دولتهم، ولم تفتح أيضاً، ولكن صالحهم على بناء مسجد بها، كما قدمنا ذلك مبسوطاً"[1].

وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ، حيث إن تركيا كانت "حامية الإسلام، ومالكة أكثر بقاع الأرض الإسلامية... وإليها آلت الخلافة الراشدة، واستمرت بها أزيد من ثلاثمائة سنة، بل قريباً من الأربعمائة، إلى أن جاء الملحد الكافر أتاتورك، وحزبه المتولي للحكم، فأعلنوا كفر الدولة، وحاربوا الإسلام، وقضوا على معالمه... ولما أعلن أتاتورك كفر الدولة التركية، وحارب الإسلام وأهله؛ صارت القسطنطينية دار كفر بعد أن كانت دار خلافة، والدولة التركية دولة إلحاد بعد أن كانت دولة إسلام، فاستحقت بذلك الحرب والقتال، واستوجب ذلك فتح القسطنطينية من جديد، فظهر بذلك مصداق الحديث، ومعجزة النبي ﷺ في إخباره بفتحها، ووصفها بأن جانباً منها في البر وجانباً منها في البحر"[2].

ومما يسترعي النظر، ويستدعي الانتباه في فتح القسطنطينية؛ أن النبي ﷺ أخبر أن الذين يفتحونها هم من بني إسحاق، وهذا يتعارض ظاهراً مع بعض النصوص التي تخبر أنهم من العرب، فما السبيل إلى حل هذا الإشكال؟.

قال القاضي عياض: "كذا في سائر الأصول (أي: من بني إسحاق). قال بعضهم: المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما يعني العرب والمسلمين، بدليل الحديث الذي سماها فيه في الأم، وأنها القسطنطينية، وإن لم يصفها بها وصفها به هنا"[3].

١- النهاية في الفتن والملاحم (ص٦٨).

٢- مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص٤٩).

٣- يقصد من ذلك: أن سياق هذا الحديث يدل على أن المدينة هي القسطنطينية، وقد بينا هذا في أسباب الترجيح التي تقدمت، فإذا كان ذلك كذلك فإن الأحاديث الأخرى دلت على أن العرب المسلمين هم الذين يخوضون الملحمة، ثم يتوجهون لفتح القسطنطينية، فيحمل هذا على هذا.

ونقل كلام القاضي عياض - مقراً له - الإمامُ النووي[1]، وكذا الإمام السيوطي[2]، والتويجري[3]، وغيرهم.

واختار ابن كثير -على جهة الاحتمال- ما جاء في الروايات، وذهب إلى أن بني إسحاق هم الذين يفتحون القسطنطينية.

ذكر ذلك ابن كثير في سياق حديثه عن بعض خصال الروم الحسنة، حيث ذكر حديث المستورد القرشي[4]، أنه قال عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ، وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»[5].

وقال ابن كثير معلقاً: "وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم، كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعُون ألفاً من بني إسحاق، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، فهم أولاد عم بني إسرائيل؛ وهو يعقوب بن إسحاق، فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من بني إسرائيل، فإن الدجال يتبعه سبْعُون ألفاً

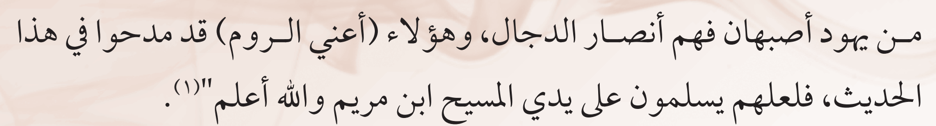
١- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٥٢).

٢- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٢٣٦).

٣- إتحاف الجماعة (١/ ٤٠١)، واستدل له ببعض النصوص.

٤- هو: المستورد بن شداد القرشي، الفهري، الحجازي، سكن الكوفة، وروى عن النبي ﷺ وعن أبيه، وله ولأبيه صحبة، توفي سنة ٤٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٨-١٢٩)، والإصابة (٣/ ٢٦٢).

٥- مسلم، كتاب الفتن، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (ص١١٦١)، رقم (٢٨٩٨) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ، عَنْ أَبِيهِ (عُلي بن رباح) به.



مـن يهود أصبهان فهم أنصـار الدجال، وهؤلاء (أعني الـروم) قد مدحوا في هذا الحديث، فلعلهم يسلمون على يدي المسيح ابن مريم والله أعلم"[١].

واختـار القرطبي -أيضاً- ما جاء في الرواية، غير أنه تأوله، فقال: "الذي وقع في الروايـة صحيح، غير أنه أراد به العرب، ونسـبهم إلى عمهم، وأطلق عليهم ما يطلق على ولد الأب..."[٢].

وهذا الذي ذهب إليه القرطبي بعيد، وذلك أن الأصل في الكلام أن يحمل على الظاهر، ولو أن النبي ﷺ أراد بني إسماعيل لصرح بذلك.

وقريب من قول القرطبي قولُ السخاوي، حيث قال بعد ذكر الحديث: "فهذه المدينـة هـي التـي عَيَّنَّاها، لكن قوله: من بني إسـحاق، إنما هو من بني إسـماعيل، وسياق الحديث يدل له، فإنه إنما أراد العرب"[٣].

والذي يظهر -والله أعلم- أن بني إسـماعيل وبني إسـحاق يشـتركون في هذا الفتـح، أمـا بنو إسـماعيل فلأنهم هم الذيـن يخوضون الملحمة، وتقـدم بيان دلالة النصوص على أن الذين يخوضون الملحمة هم الذين يفتحون القسطنطينية.

وأمـا بنو إسـحاق، فلتصريح النبـي ﷺ بذلك في الحديث، ومما يشـهد له أيضاً ما سـبق ذكـره في حديث أبي هريـرة مرفوعاً: (لا تقوم السـاعة حتـى ينزل الروم بالأعـماق أو بدابق...)، وفيه: (فـإذا تصافوا قالت الروم: خلـوا بيننا وبين الذين سبوا منا)[٤].

وقد نقلنا خلاف أهل العلم في ضبط سُبُوا، وترجح أنها تضبط على الوجهين، كـما ذهب إليه النووي، وأسـوق كلامه هنا لأهميته في هذا السـياق، قال: "كلاهما صـواب؛ لأنهـم سُـبُوا أولاً ثم سَـبَوا الكفار، وهـذا موجود في زماننـا، بل معظم

١- النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٦٤-٦٥).

٢- المفهم (٧/ ٢٤٧).

٣- القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص١١٧).

٤- سبق تخريجه (ص٢٠٦).

عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سَبَوهم في زماننا مراراً كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه"[١].

والسؤال هنا: إن كان ثمة اشتراك بين بني إسماعيل، وبني إسحاق فلِمَ اقتصر على ذكر بني إسحاق؟

قال القاري في المرقاة بعد ذكر احتمالية الاشتراك في الفتح بين بني إسماعيل وبني إسحاق: " واقتصر على ذكرهم تغليباً لهم على من سواهم "[٢].

ولعله من الممكن أن يقال: اقتصر على ذكر بني إسحاق؛ لشدة إثخانهم في المعركة، وبسالتهم فيها، فهم أعرف بتلك البلاد من المسلمين، ولعل تأخر إسلامهم، وسالف عهدهم في الكفر؛ يحملهم على البسالة والشجاعة في الغزو والقتال.

فتح القسطنطينية منوط بأمن الشام واستقرارها:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَهُ[٣] يَقُولُ وَهُوَ بِالْفُسْطَاطِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ أَغْزَى النَّاسَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَا تَعْجِزُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ[٤]، إِذَا

١- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩).

٢- (٨/ ٣٤١٧).

٣- أي: أن جبير بن نفير (والد عبد الرحمن) سمعه من أبي ثعلبة، كما جاء مبيناً عند الحاكم في المستدرك، وسيأتي العزو إليه.

٤- قال السندي في حاشيته على المسند (٢٩/ ٢٧٠): " أي: من أيام الله، قال تعالى: ﴿ ..وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الحج، آية (٤٧)، فنصفه خمسمائة سنة، والمراد أنهم لا بد يدركون نصفه، والمقصود بقاؤهم هذا المقدار، وليس فيه نفي الزيادة على ذلك، وهم اليوم زادوا على ضعف ذلك ". وهذا الذي ذكره السندي يؤيده ما رواه أبو داود، رقم (٤٣٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: (إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها -عز وجل- أن يؤخرهم نصف يوم). قيل لسعد: وكم نصف اليوم؟ قال: خمسمائة سنة، ورواه الحاكم


رَأَيْتَ الشَّامَ مَائِدَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ[1].

في هذا الحديث يبين أبو ثعلبة رضي الله عنه أن من علامة فتح القسطنطينية أن ترى الشام مائدة رجل واحد وأهل بيته، "وكان هذا في خلافة معاوية رضي الله عنه، فقد ملك الشام وما حولها، وكان هذا الملك إرهاصاً لفتح القسطنطينية، وأنه لا بد واقع، وإن وقع بعده بقرون"[2].

فتأمل كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد فتح القسطنطينية، معقل الكفر والإلحاد في ذاك الزمان على صلاح أهل الشام، واجتماعهم تحت إمرة خليفة مسلم، مما يرشد إلى أن صلاحَ أهل الشام صلاحُ أهل الإسلام، وفسادَهم فسادُ أهل الإسلام، وفيه

في المستدرك (٨/ ٢٩٥١)، رقم (٨٣٠٧) بنحوه.

- وإسناد أبي داود رجاله ثقات، غير أن شُريح بن عبيد لم يسمع من سعد بن أبي وقاص، كما ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣/ ٦١٨).

- وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٥٣): إسناده جيد. وبمجموع الطريقين حسَّنه: سعد آل حميِّد في تحقيقه على "مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم" (٧/ ٣٢٥٤-٣٢٥٦).

١- إسناده: حدثنا هاشم (أبو النضر)، قال: حدثنا ليث (ابن سعد)، عن معاوية بن صالح...

- أحمد (٢٩/ ٢٦٩-٢٧٠)، رقم (١٧٧٣٤) واللفظ له، وبغية الحارث عن زوائد مسند الحارث (ص٧٨٦) للحارث بن أبي أسامة، رقم (٧٩٠) بمثله، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٢٩٩٥)، رقم (٨٤٢٥) مقتصراً على قوله: (إذا رأيت الشام مائدة... الحديث)

- كلهم من طريق معاوية بن صالح عن عبدالرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نفير، به.

- وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات، غير أنه موقوف على أبي سلمة، ولا يخفى أن له حكم الرفع.

- ورواه مرفوعاً: أبو داود، كتاب الملاحم، باب قيام الساعة (ص٦٤٩)، رقم (٤٣٥٠) بلفظ (لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم)، والحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٨/ ٢٩٥٠)، رقم (٨٣٠٦) بمثله، من طريق عبد الله بن وهب، عن معاوية بن صالح بالإسناد السابق، وهو إسناد صحيح.

- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ١٩٧)، رقم (١٦٤٣).

٢- موسوعة أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين (ص٣١٢) لخالد الغامدي.

وجه شبه لقول النبي ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم..»[1].

هل تفتح رومية بعد القسطنطينية:

عن أبي قبيل قال: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ»[2].

أما القسطنطينية فقد سبق الحديث عن فتحها، وبيان أنه تحقق في عهد محمد الفاتح، وسيتحقق في آخر الزمان بعون الله، وأما رومية فلم يُعلم أن أحداً افتتحها من المسلمين، "وسيتحقق فتحها بإذن الله تعالى ولا بد، ولتعلمن نبأه بعد حين"[3].

ولكن هل يكون فتحها بعد فتح القسطنطينية مباشرة، وعلى يد الجيش الذي يقوده المهدي في الملحمة الكبرى؟

ليس من دليل واضح بيِّن على ذلك، ولكن جمع النبي ﷺ بين المدينتين في سياق واحد ربما أشعر بذلك، ويبعد في ظني -والله أعلم- أن يتم فتح رومية قبل الفتح الثاني للقسطنطينية؛ لأن الطريق إلى رومية يمهد من خلال القسطنطينية[4].

١- سبق تخريجه (ص٩٥).

٢- أحمد (١١/ ٢٢٥)، رقم (٦٦٤٥) قال: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا يحيى بن أيوب، به.

- وهذا إسناد حسن، لحال يحيى بن أيوب الغافقي المصري، وهو صدوق تقدمت ترجمته (ص٤٨).

- قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

- وصححه أحمد شاكر في تحقيقه على المسند (١٠/ ١٣١)، والألباني في الصحيحة (١/ ١/ ٣٣)، رقم (٤).

٣- السلسلة الصحيحة (١/ ١/ ٣٤).

٤- انظر: الأيام الأخيرة في عمر الزمن (ص٣٣) لعدنان طه.



ترتيب وقائع الملحمة كما جاءت بها النصوص:

١- تقع هدنة بين المسلمين وبين الروم، وسبب سعي الروم في الهدنة القوة التي آل إليها المسلمون بقيادة المهدي رضي الله عنه.

٢- يقاتل المسلمون والروم عدوًا مشتركاً، ولم تأت الروايات بتعيينه أو الإشارة إليه.

٣- بعد الانتهاء من المعركة ينزل المسلمون والروم بمرج ذي تلول، وحينها يرفع نَصْرَانِيٌّ الصليب، ويقول: غلب الصليب؛ فتُستثار حفيظة المسلمين، ويقوم أحدهم، فيكسر الصليب، ويقتل رافعه.

٤- وحينها يجتمع الروم على هذا المسلم الأبي، فيقتلونه، فيثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون مع الروم، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة، ولا ينجو منهم أحد.

٥- ثم تجمع الروم بعد ذلك للملحمة الكبرى، ويأتون تحت ثمانين راية، تحت كل راية، اثنا عشر ألفاً.

٦- يعسكر الروم بالأعماق أو بدابق، ويعسكر المسلمون بالغوطة قرب دمشق.

٧- ثم تقع الملحمة، وتكون شديدة الوطء على المسلمين، فيهزم ثلث الجيش، وينكصون على أعقابهم، ويستشهد ثلثهم، ويبدي المسلمون فيها بسالة وشجاعة منقطعة النظير.

٨- تستمر الملحمة ثلاثة أيام دون أن يغلب أحد من الفريقين، وفي اليوم الرابع يهب المسلمون من كل مكان لنصرة إخوانهم في بلاد الشام، ويخرج جيش من مدينة النبي ﷺ، من خيار أهل الأرض يومئذٍ.

٩- يقول الروم لهؤلاء الذين أتوا لنجدة إخوانهم من أهل الشام: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، وكأنهم يقولون: إنما نقاتل أهل الشام لأنهم سبوا منا، فما شأنكم أنتم بهذا القتال؟

١٠- فيرفض المسلمون أن يتخلوا عن نصرة إخوانهم من أهل الشام، ويقولون

للروم: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا.

١١- يشتد القتال بين الفريقين، فيكرم الله المسلمين بالغلبة، وتكون الدائرة على الروم، فيُقتلون مقتلة لم يُر مثلها.

١٢- ينطلق المسلمون بعد هذا الانتصار العظيم إلى فتح القسطنطينية، فيفتحونها بالتكبير والتهليل كرامة من الله لهذه العصبة المباركة.

١٣- بينما يقتسم المسلمون الغنائم التي أحرزوها من القسطنطينية، إذ صرخ فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم.

١٤- يرجع المسلمون إلى الشام، حتى إذا جاؤوها خرج المسيح الدجال.

بين الملحمة الكبرى وهرمجدون:

درج الكثير من الكتَّاب[١] على استخدام مصطلح "هرمجدون" - كبديل عن "الملحمة الكبرى" أو مرادف له- "دون أن يفطنوا للأبعاد الخطيرة وراء تقبل - بل أسلمة- هذا المصطلح العبري الدخيل، ودون أن يلتفتوا إلى الفروق الجذرية بين الملحمة وبين هرمجدون"[٢].

أما هرمجدون، فهي كلمة عبرية مكونة من مقطعين:

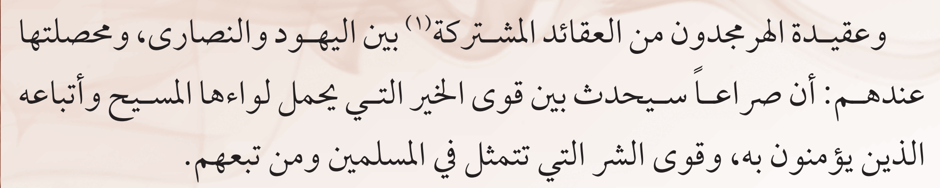
الأول: "هر"، وهو بمعنى الجبل.

الثاني: "مجدون"، وهي في الأصل: مجدو، وتعني: "موضع الجيوش ومخيمها في اللغة الكنعانية، وهو تل المُتَسلِّم، على بُعد ٣٠ كم شرقي ساحل البحر المتوسط، وهو عبارة عن ممر ضمن الممرات الطبيعية، التي تصل الساحل بمرج ابن عامر، وبذلك يكون ممر مجدو مفتاح الطريق إلى مصر والجنوب، وإلى سوريا والشمال، ولذلك مرت بها الغزوات السابقة كلها، وهي اليوم خراب"[٣].

١- ومن أكثر المروجين لهذا المصطلح: أمين جمال الدين، وقد ألف كتاباً يحمل اسم: هرمجدون، وسيأتي ذكر الكتاب، وذكر من رد عليه من أهل العلم (ص٢٤٦).

٢- خدعة هرمجدون (ص٥) لمحمد إسماعيل المقدم.

٣- معجم بلدان فلسطين (ص٦٤٩-٦٥٠) لمحمد حسن شراب.



وعقيدة الهرمجدون من العقائد المشتركة[1] بين اليهود والنصارى، ومحصلتها عندهم: أن صراعاً سيحدث بين قوى الخير التي يحمل لواءها المسيح وأتباعه الذين يؤمنون به، وقوى الشر التي تتمثل في المسلمين ومن تبعهم.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا: أن المسيح الذي يعتقد اليهود بعودته: هو المسيح الدجال، وإن كانوا لا يسمونه بذلك، بل يعتقدونه ملكاً من نسل داود ﷺ، يظهر في آخر الزمان، فيتبعه اليهود، ويقضي على المسلمين والنصارى، ويقيم دولة إسرائيل مخضعاً لها الناس أجمعين.

أما المسيح الذي يعتقد النصارى بعودته، فهو المسيح عيسى ﷺ، فهم يعتقدون بنزوله، ليقتل المسلمين واليهود، وكل من لا يدين بدينهم في معركة هرمجدون.

وهذا الاعتقاد كان ينبغي أن يقود اليهود والنصارى إلى الصراع والحرب، وذلك للتناقض الكبير، والحرب المتوقعة بين المَسيحَيْن (الدجال وابن مريم ﷺ)، ولكن اليهود بمكرهم، ودهائهم، أقنعوا النصارى بتأجيل الحديث عن هذه التفاصيل، والعمل سوياً من أجل التهيئة لنزول المسيح، وكلا الطائفتين تعتقدان بأن المسيح ينزل في بيت المقدس، وأنها ستكون قاعدة ملكه التي ينطلق منها.

وبذلك استطاع اليهود أن يجعلوا النصارى أكبر الساعين لتحقيق الوعد الإلهي لليهود -حسب زعمهم- بإقامة دولة لهم في الأرض المقدسة؛ وذلك أن المسيح لا ينزل إلا بإقامة هذه الدولة المسخ، وهنا يتجلى الحقد الصليبي، المتمثل في انسياق النصارى وراء اليهود في هذه القضية الكبرى، التي يقتضي الدين والعقل والمصلحة أن يعادوهم ويحاربوهم فيها، ولكنه الحقد الصليبي النصراني على الإسلام والمسلمين.

والأعجب من انسياق النصارى وراء اليهود: انسياق المسلمين وراء الطائفتين، كما هو حال الذين شاركوا ولا زالوا يشاركون في مؤتمرات الذل والاستسلام،

١- وأصل هذه العقيدة: عند اليهود في التوراة، والنصارى تبعوهم فيها. انظر: قبل الكارثة نذير ونفير (ص٢٠٨) لعبد العزيز مصطفى كامل.

والموافقين على مشروع السلام الذي يقضي بإقامة دولة يهودية في بلاد الله المقدسة"[1].

هـذه باختصار: عقيدة القوم في هرمجدون، والتي يروج لها كثير من المسـلمين، وأحب في النهاية أن أذكر أهم الفروق بين الملحمة الكبرى، وهرمجدون، وهاكها:

"الأول: أن خبر الملحمة ثابت عن رسـول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى كما تقـدم، أما هرمجدون فاصطلاح نـصراني إسرائيلي لا يُدرى مـدى مصداقيته، ولا ثبوته، وهو مجرد اسم للموضع الذي يُدَّعَى أن المعركة ستقع فيه، في حين ثبت عنه ﷺ تسمية موضع الملحمة بأنه: الأعماق أو دابق؛ موضعان قرب حلب.

الثـاني: سـتقع الملحمـة بين أهل الإسـلام أتبـاع خير الأنـام ﷺ، وبـين الروم النصارى الضالين، في حين يدعي أهل الكتاب أن معركة هرمجدون طرفاها: قوى الشر؛ ممثلة -في زعمهم- في المسـلمين ومن حالفهم، وقوى الخير وهم النصارى في زعمهم.

الثالـث: ثبـت أن الله -عـز وجل- ينصر المسـلمين عـلى أعدائهـم في الملحمة في حـين يدعـي أصحاب هرمجـدون أن الغلبة سـتكون لهم على قـوى الشر، وهم المسلمون في زعمهم.

الرابـع: يحدد أهل الكتـاب موعد هرمجدون وينتظرون فيه مسـيحهم على رأس الألف، سـواءً الأولى أو الثانية، فإن طال الزمان فسـينتظرونها في الألف الثالثة، أما الأحاديث النبوية الشريفة فلم تحدد موعداً للملحمة سوى أنها من أشراط الساعة.

الخامـس: أن الترويـج لمصطلح هرمجدون يعني بالتبـع الترويج لمفاهيم يهودية نصرانيـة لا أصل لها في دين الإسـلام، بـل التعامل معها على أنها حقائق مُسَـلَّمَة، أضف إلى ذلك: أن لهذه المفاهيم أبعاداً سياسـية خبيثة تظهر أن الاستسلام لليهود الغاصبـين أمر حتمي قـدري لا مناص منه، وكـما آمنت النصرانيـة اليهودية بهذه

١- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى (ص٢٦-٢٧) بتصرف كبير، ومن أراد التوسـع في معرفة تفاصيـل عقيـدة القوم في هرمجـدون؛ فلينظر: خدعة هرمجدون حمى سـنة ٢٠٠٠ نظـرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين (ص١٥٧-١٧٥)، وقبل الكارثة نذير ونفير (ص٢٠٦-٢١٦).

الجبرية الحتمية، فكذلك تدعو فكرة هرمجدون المسلمين إلى أن ينضموا إلى هذا القطيع الصائر إلى مصيره المحتوم، وأن ضياع فلسطين، واغتصاب القدس، بل هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم فوق أنقاضه أمور حتمية ينبغي الاستسلام لها، وقد وقع في هذا الفخ كثير من الكتّاب المعاصرين، حتى حدد بعضهم باليوم والساعة هدم المسجد الأقصى، صانه الله من كل سوء، وحفظه من شر المغضوب عليهم والضالين، وصدق الشاعر إذ يقول:

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسه

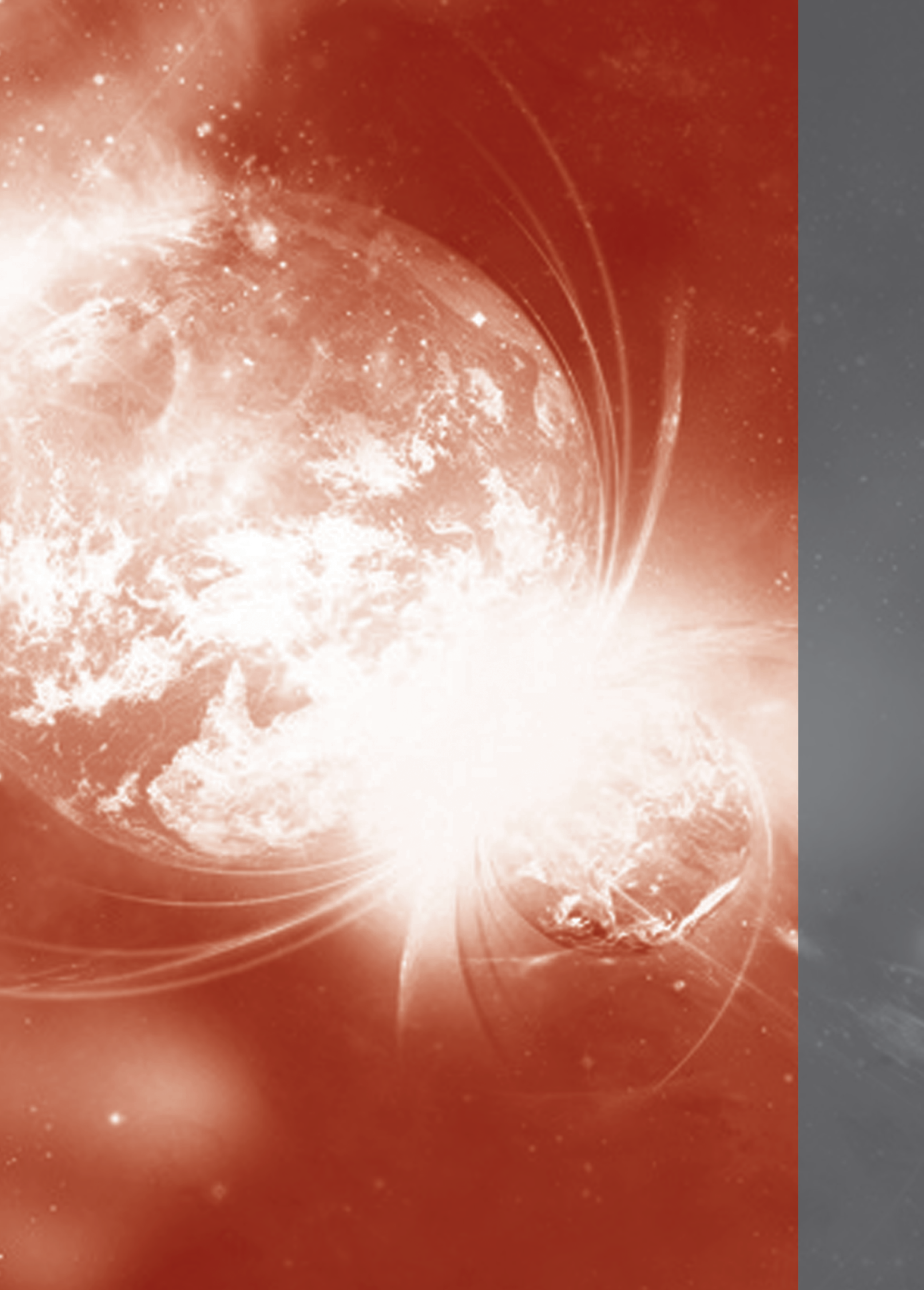
إن هرمجدون ضد السنن الكونية والشرعية، والملحمة متوافقة معها.

هرمجدون يأس وقنوط، والملحمة بشرى وأمل.

هرمجدون تحبط وتخذل، والملحمة تنعش الرجاء، وتبعث الأمل.

هرمجدون تدعو إلى استحضار هزيمتنا كأمر واقع، والملحمة تجعل انتصار المسلمين هو الأمر الواقع"[١].

١- خدعة هرمجدون (ص٤٣-٤٥).



الفَصْلُ الثَّالِث

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى الوَاقِعَةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ.

المبحث الثاني: طَاعُونُ عِمْوَاس.

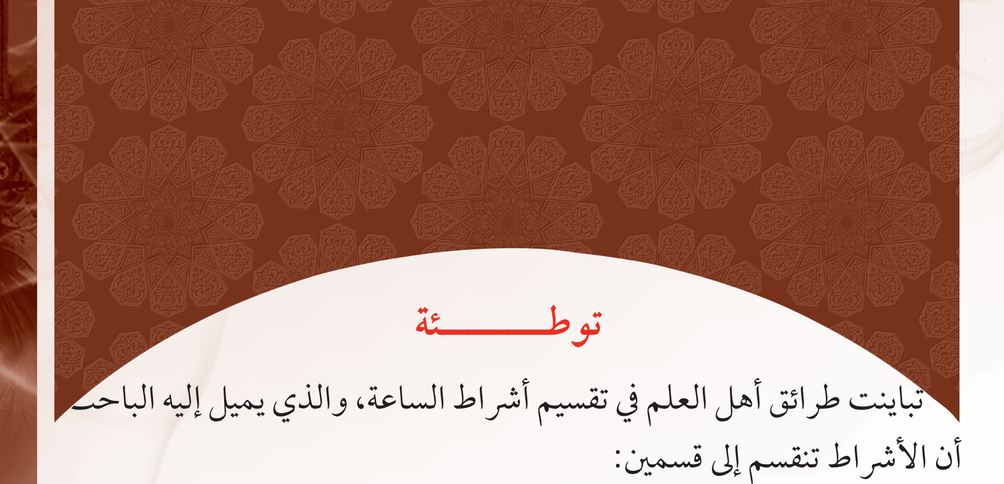
المبحث الثالث: التَّضْيِيقُ عَلَى أَهْلِ بَيتِ المَقْدِسِ.

المبحث الرابع: الحِصَارُ الاقْتِصَادِي عَلَى بِلَاد الشَّامِ.

المبحث الخامس: نُزُولُ الخِلَافَةِ فِي بِلَاد الشَّامِ.

المبحث السادس: اجْتِمَاعُ أَهْلِ الإِيْمَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالشَّامِ.





توطـــــــئة

تباينت طرائق أهل العلم في تقسيم أشراط الساعة، والذي يميل إليه الباحث أن الأشراط تنقسم إلى قسمين:

١- **الأشراط الصغرى**: وهذه ليست لها ضابط محدد تنضبط به، إلا أن أهل العلم لما ذكروا أن الأشراط الكبرى هي المتضمَّنة في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﵁ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟»، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﵇، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ[١].

لما ذكر أهل العلم[٢] ذلك، فُهِم من كلامهم أن الأشراط الصغرى هي كل ما لم يذكر في حديث حذيفة؛ أي كل ما سوى الأشراط العشرة.

٢- **الأشراط الكبرى**: وهي التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد المتقدم الذكر، ونص على ذلك جمع من أهل العلم كما تَقَدَّمَت الإشارة إليه.

١- مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (ص١١٦٣)، رقم (٢٩٠١) قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ (وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ)، عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ به.

٢- انظر: شعب الإيمان (١/ ٥٢٩)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١٢٦١)، وفتح الباري (١٣/ ١٠٧)، وأضواء البيان (٣/ ٣٤٤)، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص٩-المقدمة)، والذين صنفوا في أشراط الساعة مجمعون على أن هذه الأشراط العشرة من الكبرى، واختلفوا فيما عداها. انظر: موسوعة أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين (ص٣٧).

مسائل وتنبيهات:

الأولى: قَسَّمَ بعض أهل العلم[1] أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام[2]؛ وهي:

١- ما وقع وانقضى، ويُمثَّل له بموت النبي ﷺ، وفتح بيت المقدس، وغير ذلك.

٢- ما وقع ولا يزال وقوعه مستمراً، ويُمثل له بانتشار الفتن، وخروج الدجالين الكذابين أدعياء النبوة، وغير ذلك.

٣- وما لم يقع بعد، ويُمثل له بنزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وهبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وغير ذلك.

والقسمان الأولان: يتضمنان الأشراط الصغرى، وأما القسم الثالث: فيتضمن الأشراط الكبرى، وبعض الصغرى.

وهذا التقسيم هو الذي اعتمدته في ترتيبي للأشراط الصغرى، حيث بدأت بذكر ما وقع منها؛ متمثلاً بفتح بيت المقدس، وطاعون عمواس، والتضييق على أهل بيت المقدس.

ثم ثنيت بذكر ما وقع ولا يزال وقوعه مستمراً؛ وتمثل ذلك في الحصار الاقتصادي على بلاد الشام.

ثم ختمت بذكر ما لم يقع منها، وتمثل ذلك في نزول الخلافة ببلاد الشام، واجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان ببلاد الشام.

الثانية: ليس من شرط الأشراط الصغرى أن تقع قبل الكبرى، فبعضها يقع مصاحباً للكبرى؛ مثل ظهور المهدي، وبعضها يقع بعد الكبرى؛ مثل هبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ولذلك آثرت ذكرها ضمن الأشراط الكبرى رُغم أنها من الصغرى؛ وذلك لأنها تقع بعدها، وهو كذلك أوضح في تسلسل العلامات، وتصورها على الوجه الصحيح.

---

١ ▯١٣/ ١٠٧)، والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص٦٣- ٦٤مقدمة)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص٩)، وأشراط الساعة (ص٧٨).

٢- وهذا التقسيم لا ينافي التقسيم الذي ذكرناه، بل هو مبين له وموضح.



المبحث الأول
فتح بيت المقدس

لقد سبق بيان مكانة بلاد الشام في قلب النبي ﷺ، وحبه لها ولأهلها، ولذلك أولاها ﷺ العناية والرعاية التامتين، فما أن فتح الله له مكة، وتم القضاء فيها على شرك العرب الوثني، وتوطدت دعائم دولته في المدينة، حتى تشوفت نفسه، وتاقت روحه إلى فتح بلاد الشام، وتطهيرها من أدران الشرك النصراني الروماني، فبعث السرية تلو السرية ممهداً للفتح المبارك، وكاتب هرقل يدعوه إلى الإسلام، ثم عقد النبي ﷺ في السنة الثامنة لواء مؤتة، وسيَّر جيشاً من المسلمين قوامه ثلاثة آلاف، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فساروا إلى مؤتة من أرض البلقان بالشام، واشتبكوا مع الروم، وسطَّروا على ثرى الشام ملاحم العزة والبطولة والإباء.

ثم حشدت الروم في السنة التاسعة للإغارة على دولة الإسلام، والصِّيال على شمال الجزيرة، فاستنفر النبي ﷺ الصحابة، فخرج معه ثلاثون ألفاً، وسار بهم إلى تبوك، وأقام بضع عشرة ليلة، ثم رجع بعد أن لم يجد أثراً للرومان.

وبقي فتح الشام هاجساً لا يفارق قلب النبي ﷺ، فما أن رجع إلى المدينة بعد حجة الوداع حتى عقد اللواء لأسامة في السنة الحادية عشرة، وأمره أن يسير إلى حيث مصرع أبيه، واشتد المرض بالنبي ﷺ، وتوفاه الله قبل أن يمضي أسامة بالجيش إلى معاقل الروم.

ثم تولى الصديق رضي الله عنه، فكان خير بارٍّ بالنبي ﷺ، فأنفذ بعث أسامة رغم

المخاطر والمكايد التي تحيط بالمدينة، فسار أسامة حتى أغار على نواحي مؤتة، ثم رجع سالماً مظفَّراً، وفي السنة الثانية عشرة وجَّه الصديق جيوش الإسلام نحو الشام،

وولَّى عليها الأمين أبا عبيدة، ثم أسند القيادة إلى خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس بالعراق، وسار ليوث الإسلام يدكُّون معاقل بني الأصفر،

ويطهِّرون بلاد الشام من رجسهم، وفتح الله على أيديهم مدناً كثيرة، وتوفي الصدِّيق رضي الله عنه وجيوشه تصول وتجول في بلاد الشام.

ثم واصل عمر رضي الله عنه بعد أبي بكر قتال الروم في بلاد الشام، وأمَّر على الجيوش أبا عبيدة، ووجهه إلى قلب الشام (بيت المقدس)، فسار إليها بمن معه، وضرب الحصار حولها أربعة أشهر، حتى طلب أهلها الصلح شريطة أن يتولى عمر رضي الله عنه بنفسه تسلُّم المدينة، فاستجاب عمر رضي الله عنه وأتى بيت المقدس في شهر رجب من السنة السادسة عشرة للهجرة، ودخلها عن طريق جبل المكبِّر، وكبَّر فوقه وكبَّر المسلمون معه، ثم دخل من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، وصالح أهلها، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ليال، ثم عمد إلى الصخرة،

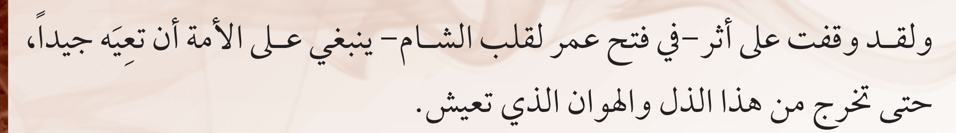
فأصلح ما بها من أذى، وتوجه إلى القبلة فصلى رضي الله عنه، وتفاصيل هذا الفتح مبثوثة في كتب التاريخ والسير[1].

وبفتح عمر رضي الله عنه لبيت المقدس تحقق ما أخبر به النبي ﷺ في حديث عوف بن مالك: (اعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس...)[2].

وهذا الحديث ظاهر الدلالة على أن فتح بيت المقدس من علامات الساعة وأماراتها،

١- انظر هذه الأحداث (فتح بيت المقدس وما سبقه) في: الكامل في التاريخ (١/ ٩٥-٣٥٠) لابن الأثير، وهي مبثوثة في كتب التاريخ والسير، ولقد ساقها على وجه حسن بديع: سيد العفاني في "واقدساه" (١/ ١٥١-٢٠١).

٢- سبق تخريجه (ص١٩٠).



ولقد وقفت على أثر –في فتح عمر لقلب الشام– ينبغي على الأمة أن تعِيَه جيداً، حتى تخرج من هذا الذل والهوان الذي تعيش.

– عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة[1]، وعمر على ناقة له، فنزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أنت تفعل هذا؟! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة، ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك[2]، فقال عمر: أوَّه، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة؛ لجعلته نكالاً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[3].

ولقد توالت بشائر النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم بفتح الشام، ففي حديث سفيان بن أبي زُهَير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تفتح اليمن، فيأتي قوم يَبُسُّون[4]، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

١– أصل الخوض: المشي في الماء، والمخاضة: موضع الماء الذي يجتازه الناس مشاة وركباناً. لسان العرب (٣/ ٢٥٠).

٢– الاستشراف: أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، كالذي يستظل من الشمس حتى يستبين الشيء، وأصله من الشرف: العلو، كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع، فيكون أكثر لإدراكه. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٧٤).

٣– الحاكم، كتاب الإيمان (١/ ٩٠)، رقم (٢٠٧) قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن المديني، حدثنا سفيان، حدثنا أيوب بن عائذ الطائي، عن قيس بن مسلم به. وسفيان: هو ابن عيينة.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهما جميعاً بأيوب بن عائذ الطائي، وسائر رواته، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: على شرطهما، وقال الألباني في الصحيحة (١/ ١١٨): وهو كما قالا.

٤– قال النووي في ضبطها: " قال أهل اللغة: يَبُسُّون: بفتح الياء المثناة من تحت، وبعدها باء موحدة تضم وتكسر، ويقال أيضاً: بضم المثناة مع كسر الموحدة، فتكون اللفظة ثلاثية ورباعية، فحصل في ضبطه ثلاثة أوجه". ومعنى يَبُسُّون: يسوقون دوابهم، من البَسْ؛ وهو السَّوق والطرد والزجر، والعرب يقولون عند السَّوق وإرادة السرعة: بَس بَس، أو: بِس بِس، والمراد: الإخبار عمن خرج

وتفتح الشـام، فيأتي قوم يَبُسُّـون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. وتفتح العراق، فيأتي قوم يَبُسُّـون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)[1].

«قـال العلـماء: في هـذا الحديث معجزة لرسـول الله ﷺ؛ لأنه أخـبر بفتح هذه الأقاليـم، وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها، ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تُفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله»[2].

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله استقبل بي الشام، وولى ظهـري اليمـن، ثم قال لي: يا محمد إني قد جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقاً، وما خلـف ظهـرك مدداً، ولا يـزال الله يزيد -أو قال: يعز- الإسـلام وأهله، وينقص الشرك وأهله، حتى يسير الراكب بين كذا -يعني البحرين- ولا يخشى إلا جَوراً، وليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل)[3].

مـن المدينة متحملاً بأهله، باسّـاً في سيره، مسرعاً إلى الرخاء في الأمصار التـي أخبر النبي ﷺ بفتحها. انظـر: غريـب الحديـث (٣/ ٨٩) لأبي عُبيـد، وتفسـير غريـب الموطـأ (٢/ ٩٦-١٠٠) لابـن حبيب الأندلـسي، وغريب الحديـث (١/ ٧٠) لابن الجوزي، وشرح النووي على مسـلم (٩/ ١٦١)، وفتح الباري (٤/ ١١٩).

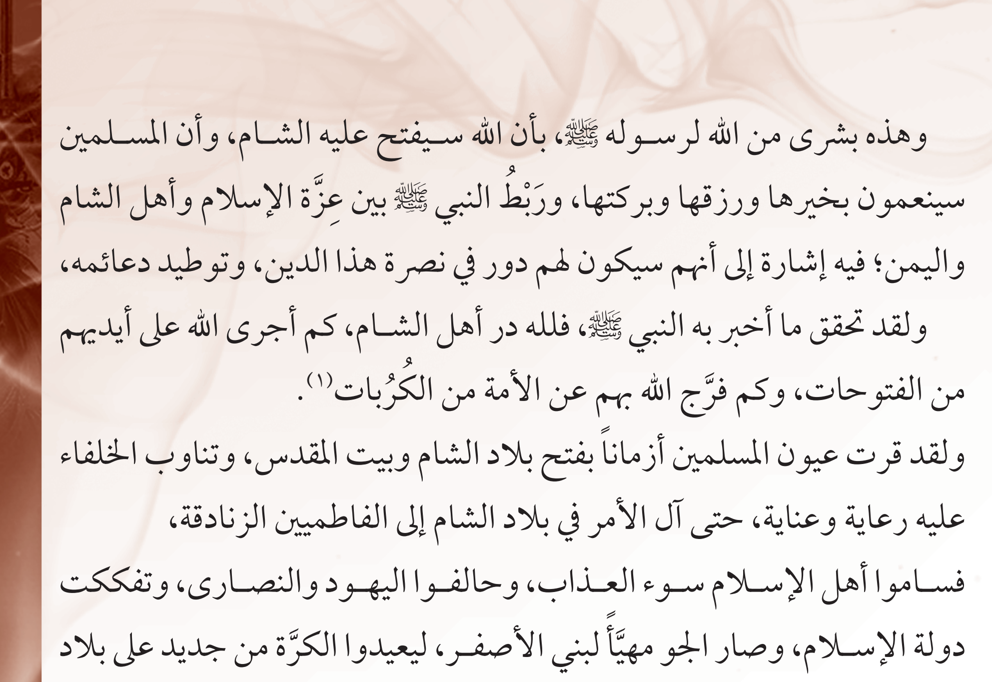
١- البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة (ص٣٥٧)، رقم (١٨٧٤) واللفظ له، ومسـلم، كتـاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصـار (ص٥٥٤)، رقم (١٣٨٨) بنحوه، وفيـه: "يُفتـح"؛ بدل: "تُفتح" في اليمن والشـام، كلاهما من طريق هشـام بن عـروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير به.

٢- شرح النـووي عـلى مسـلم (٩/ ١٦١)، وانظـر: المفهـم (٣/ ٥٠٠)، وفتـح البـاري (٤/ ١٤٩).

٣- إسناده: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو عمير النحاس، حدثنا ضمرة به.

أبـو نعيـم (٦/ ١٠٧) واللفظ لـه، والطبراني في "المعجـم الكبير" (٨/ ١٤٥)، رقـم (٧٦٤٢) بنحوه، ومسـند الشـاميين (٢/ ٦٢) بمثل السـابق، كلاهما من طريق ضمرة بن ربيعة، عن يحيى ابن أبي عمرو السيباني، عن عمرو بن عبد الله الحضرمي به.

- أبـو عمـر بن حمدان: هو محمد بن أحمد بن حمدان، قال ابن حجر: "محدث نيسـابور، زاهد ثقة.. قال



وهذه بشرى من الله لرسوله ﷺ، بأن الله سيفتح عليه الشام، وأن المسلمين سينعمون بخيرها ورزقها وبركتها، ورَبْطُ النبي ﷺ بين عِزَّة الإسلام وأهل الشام واليمن؛ فيه إشارة إلى أنهم سيكون لهم دور في نصرة هذا الدين، وتوطيد دعائمه،

ولقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ، فلله در أهل الشام، كم أجرى الله على أيديهم من الفتوحات، وكم فرَّج الله بهم عن الأمة من الكُرُبات[1].

ولقد قرت عيون المسلمين أزماناً بفتح بلاد الشام وبيت المقدس، وتناوب الخلفاء عليه رعاية وعناية، حتى آل الأمر في بلاد الشام إلى الفاطميين الزنادقة، فساموا أهل الإسلام سوء العذاب، وحالفوا اليهود والنصارى، وتفككت دولة الإسلام، وصار الجو مهيَّأً لبني الأصفر، ليعيدوا الكرَّة من جديد على بلاد الشام وبيت المقدس، وعلى شر خلف لخير سلف، فكان ما كان، واحتلوا بيت المقدس[2]،

وعظمت المحنة على أهل الإسلام، واشتد المصاب عليهم زمناً؛ فاستحر فيهم القتل، وأريقت الدماء، واصطبغت ساحات المسجد بدماء العُبَّاد والزهَّاد،

ابن طاهر: كان يتشيع، قلت (القائل ابن حجر): ما كان الرجل ولله الحمد غالياً في ذلك، وقد أثنى عليه غير واحد". لسان الميزان (٥/ ٣٨).

- والحسن بن سفيان: هو أبو العباس الشيباني الفسوي، ثقة مسنِد، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي بمذهبه. لسان الميزان (٢/ ٢١١).

- وأبو عمير النحاس: هو عيسى بن محمد بن إسحاق الرملي، ثقة. تقدم (ص١٢٩).

- وضمرة بن ربيعة: ثقة. تقدم (ص١٢١).

- والسيباني: ثقة. تقدم (ص١٢١).

- وعمرو بن عبد الله الحضرمي: وثقه الفسوي، والعجلي، وابن حبان، وقال ابن حجر: مقبول. تقدم (ص١٢١).

فهذا إسناد حسن؛ لحال عمرو بن عبد الله الحضرمي.

١- انظر: بلدة طيبة (ص٢٢) لفيصل الحاشدي.

٢- انظر تفاصيل ذلك في: الكامل في التاريخ (٩/ ١٩ وما بعدها).

والركع السجود، ثم أذن الله تعالى بصحوة في الأمة عارمة، هيأت للقائد المظفَّر يوسف بن أيوب (صلاح الدين)، الذي أصلح الله به الدنيا والدين، وفتح على يديه معقل أهل الإيمان، وعادت القدس ثانية إلى أهلها سنة ٥٨٣هـ[1]، ثم احتلها الصليبيون بعد ذلك مرتين، واستعادها المسلمون، حتى استدار الزمان فوقعت في يد إخوان القردة والخنازير، وإنَّا لعلى يقين بعودة بيت المقدس إلى أحفاد عمر وصلاح الدين، يوم أن يعتزوا بدينهم، ويعودوا حقاً إلى ربهم، عجل الله ذلك بمنه وكرمه.

١- انظر تفاصيل فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين في: الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٤-١٥٩)، وسيرة صلاح الدين الأيوبي (ص٥٢وما بعدها) لبهاء الدين بن شداد، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (٢/ ٤٧٢وما بعدها)، وبيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة (ص١٢٨-١٤٥) لمحمد حسن شراب.



المبحث الثاني
طاعون عمواس

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أَدَم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة، موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَان[1] يأخذ فيكم كقعاص الغنم[2]...»[3].

ذهب غير واحد من أهل العلم إلى أن هذه الآية (أي: الموتان) قد ظهرت في طاعون[4] عِمواس[5]، الذي وقع سنة سبع عشرة وثماني

١- المُوتان -بضم الميم، وسكون الواو-: هو الموت الكثير الوقوع، ومُوتان بضم الميم: لغة تميم، وغيرهم يفتحونها؛ وهو اسم للطاعون والموت. قال ابن الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول: موَتَان بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تُحْيَ بالزرع والإصلاح.

- والموتان في الأصل: موت يقع في الماشية، واستعماله في الإنسان إشارة إلى سرعة موته منه؛ كالماشية فإنها تُسلَبُ به سلباً سريعاً. انظر: التعليق على الموطأ (٢/ ٢٠٢) لهشام بن أحمد الأندلسي، وغريب الحديث (٢/ ٣٧٧) لابن الجوزي، والنهاية في غريب الحديث والأثر(ص٨٨٦)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١١٥٢)، وشرح الطيبي على المشكاة (١١/ ٣٤٢٥)، وفتح الباري (٦/ ٤٣٤).

٢- القُعاص -بالضم-: داء يأخذ الغنم لا يُلبثها أن تموت، وقيل: داءٌ يأخذ الدواب؛ فيسيل من أنوفها شيء، فلا يلبثها أن تموت، والمراد: سرعة موتها منه، ومنه: القعص والإقعاص، وهو أن يُضرب الرجل بالسلاح أو بغيره فيموت في مكانه؛ إشارةً إلى سرعة موته.

- انظر: غريب الحديث (٢/ ٦٩) لأبي عبيد، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٧٦٣).

٣- سبق تخريجه (ص١٩٠).

٤- وهو: "وباء معروف، وهو بثر وورم مؤلم جداً، يخرج مع لَهَب، ويَسْوَدُّ ما حوله، أو يخضر، أو يحمر حمرة بنفسجية، ويحصل معه خفقان القلب والقيء". شرح النووي على مسلم (١/ ٦٥).

٥- عِمواس -بكسر العين، وسكون الميم-: قرية تقع جنوب شرق الرملة، على مقربة من بيت المقدس، فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأصبحت مقر جند المسلمين، ومنها كان ابتداء الطاعون

عشـــــرة[1] في خلافـة عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه، فتفانـى الناس فيـه، وقُتل من المسـلمين عـدد كبير، حتـى طمع العـدو، وتخوَّف النـاس، وقُتل فيه من سـادات الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سـفيان، وشرحبيل بن حَسَنَة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وغيرهم كثير.

ونقل ابن كثير عن الواقدي: أنه مات في الطاعون خمسـة وعشرون ألفاً، وعن بعضهـم: أنـه قُتل فيه ثلاثون ألفاً، وذكر الطيبـي وغيره: أنه مات منه في ثلاثة أيام سبعون ألفاً، وأوَّل ما بدأ الطاعون بعمواس، ثم انتشر في الشام فنُسب إليها[2].

وممن ذهب إلى ذلك (أي: أن طاعون عمواس هو الآية المقصودة في الحديث): أبو الخطاب ابن دحية[3]، والقرطبـي[4]، والطيبي[5]، وابن كثير[6]، والكرماني[7]، والعيني[8]، والقاري[9]، والبرزنجي[10]، وغيرهم، وذكره ابن حجر احتمالاً، حيث

في أيام عمر بن الخطاب، ثم انتشر في بلاد الشام، واحتل الأعداء سنة ١٩٤٨ معظم أراضيها، وبقي السكان في القريـة، وألحقت بلـواء رام الله، وفي عام ١٩٦٧ طرد الأعداء سـكانها، ودمروا البيوت التي فيها.

- انظـر: معجـم البلدان (٤/ ١٧٧-١٧٨)، والـروض المعطار في خبر الأقطـار (١/ ٤١٥)، ومعجم بلدان فلسطين (ص٤٥٦-٤٥٧).

١- انظر: تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ص٩٦)، وتاريخ أبي زرعة الدمشـقي (ص٩٦)، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٩٠) عن جمهور أئمة التواريخ والسير أنه وقع سنة ثماني عشرة.

٢- لمعرفة تفاصيل طاعون عمواس؛ انظر: البداية والنهاية (٧/ ٩٠-٩٦)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص١٠٢-١١٢) وأطال البرزنجي النفس في بيانه، وذكر أخباره.

٣- التذكرة (٣/ ١١٥٢).

٤- المصدر السابق (٣/ ١١٥٢).

٥- شرح الطيبي على المشكاة (١١/ ٣٤٢٥).

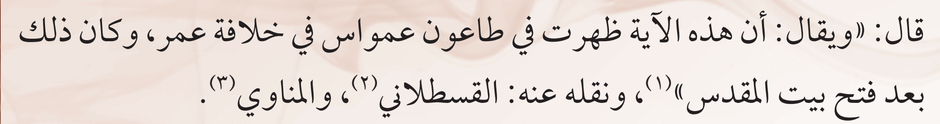
٦- البداية والنهاية (٦/ ٢٠٢).

٧- الكواكب الدراري (١٣/ ١٤٠).

٨- عمدة القاري (١٥/ ١٣٧).

٩- مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤١١).

١٠- الإشاعة لأشراط الساعة (ص١٠٢).



قال: «ويقال: أن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس»[١]، ونقله عنه: القسطلاني[٢]، والمناوي[٣].

وإن وقوع الطاعون في بلاد الشام رحمة من الله، واصطفاء لأهلها، كما بيناه في حديث أبي عَسِيب ﷺ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ، فَأَمْسَكْتُ الْحُمَّى بِالْمَدِينَةِ، وَأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إِلَى الشَّامِ، فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ»[٤].

وجاء خبر الطاعون مفصلاً في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بِسَرْغ[٥]، لقيه أمراء الأجناد[٦]؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء[٧] قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين،

فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا؛ فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه

١- فتح الباري (٦/ ٣٣٤).

٢- إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٤١).

٣- فيض القدير (٤/ ١٢٤).

٤- سبق تخريجه (ص٤٩).

٥- سرغ -بسين مهملة ثم راء ساكنة ثم غين معجمة-: قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز، وهي تقع في أول الحجاز وآخر الشام، وفيها لقي عمر بن الخطاب أمراء الأجناد، فأخبروه خبر الطاعون. معجم البلدان (٣/ ٢٣٩).

٦- المراد: أجناد الشام؛ وهي خمسة: جند الأردن، وجند فلسطين، وجند حِمص، وجند قِنَّسرِين، وجند دمشق. انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٥٤)، وفتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

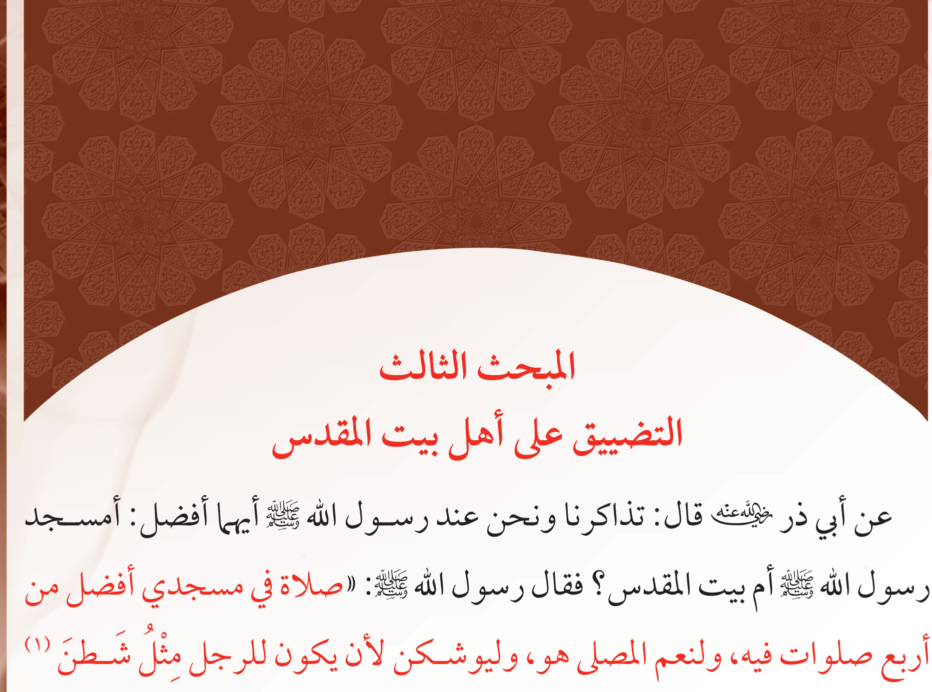
٧- الوباء: هو الطاعون.

رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، قال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؛ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، هبطت وادياً له عُدْوَتَان[1]: إحداهما خَصبة، والأخرى جَدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي في هذا علماً؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)، قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف[2] .

مسألة: وقوع الطاعون على عهد عمر رضي الله عنه لا يمنع أن يحدث مرة ثانية؛ وذلك أن قوله ﷺ: «يأخذ فيكم» يحتمل أنه موجه إلى عموم الأمة؛ التي صدرها ومقدمة امتدادها جيل الصحابة، وقد وقعت بعد طاعون عمواس طواعين كثيرة، ذكرها السيوطي في: «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون»، ونقلها عنه البرزنجي في: «الإشاعة».

١- مثنى عِدوة، والعدوة -بضم العين وكسرها-: جانب الوادي. النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٥٩٨).

٢- البخاري، كتاب الطب، باب ما يُذكر في الطاعون (ص١١٢٣)، رقم (٥٧٢٩٠) واللفظ له، عن عبد الله بن يوسف، ومسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (ص٩١٠)، رقم (٢٢١٧) عن يحيى بن يحيى التميمي بنحوه، كلاهما عن مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل به.



المبحث الثالث
التضييق على أهل بيت المقدس

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيها أفضل: أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مِثْلُ شَطَنَ[1] فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خيراً له من الدنيا جميعاً». قال: أو قال: «خير له من الدنيا وما فيها»[2].

١- الشطن: "هو الحبل، وقيل: هو الطويل منه". النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٨٠).

٢- ابن طهمان، مشيخته (ص١١٨)، رقم (٦٢) واللفظ له؛ ومن طريقه: الطبراني في "الأوسط" (٧/ ١٠٣)، رقم (٦٩٨٣)، والحاكم (٨/ ٣٠٤٦)، رقم (٨٥٥٣) قال: حدثنا الحجاج بن الحجاج، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الصامت به.

- الحجاج بن الحجاج: هو الباهلي، البصري، الأحول، من رجال الشيخين، ثقة ثبت. تقريب التهذيب (ص٢٢٣).

- وقتادة: ثقة مدلس من الثالثة، تقدم (ص٨١).

- وأبو الخليل: هو صالح بن أبي مريم، الضُّبَعي مولاهم، وثقه ابن سعد، وابن معين، وأبو داود، والنسائي. انظر: التعديل والتجريح (٣/ ٧٨٦) لأبي الوليد الباجي، وتهذيب التهذيب (٤/ ٢٦).

- وعبد الله بن الصامت: الغفاري، البصري، ثقة. تقريب التهذيب (ص٥١٥).

- وهذا الإسناد رجاله ثقات، إلا أن قتادة مدلس، فيُخشى أن يكون دلَّسه عن أبي الخليل.

- والظاهر أن قتادة سمعه من أبي الخليل؛ قال الدارقطني في العلل (٦/ ٢٤٤) وقد سئل عن هذا الحديث: "يرويه قتادة، واختلف عنه؛ فرواه حجاج بن الحجاج، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر، واختُلِف عن سعيد بن بشير، فرواه محمد بن عقبة السدوسي، عن الوليد بن مسلم، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سعيد بن أبي الحسن، عن عبد الله بن الصامت،

هـذا الحديث مـن دلائل وأعلام نبوتـه ﷺ، والذي قـدر الله أن يعيش في الأرض المباركة المقدسة لا يرتاب في أن ذلك قد وقع، وأن ما تنبأ به رسول الله ﷺ قد حصل.

قـال الدكتـور محمـد طاهـر مالـك في تحقيقه عـلى مشـيخة ابن طهـمان: «ومن المؤسـف أن وقائـع الأحـداث تشـير إلى أننـا في طريـق تحقيق هـذا الحديث الذي هـو من دلائـل النبوة، وأن مؤامرات الأعداء على المسـجد الأقصى وبيت المقدس ستستمر وتتصاعد وتشتد لدرجة أن يتمنى المسلم أن يكون له موضع صغير يطل منـه على بيت المقدس أو يـراه منه، ويكون ذلك عنده أحب إليـه من الدنيا جميعاً، ولا شـك أن يكون بعد ذلك الفرج والنصر إن شـاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[1].

وكذلـك روى سـعيد بن أبي عروبة، عـن قتادة، وقال علي بن حجر وهشـام بن خالد وغيرهما: عن الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن عبد الله بن الصامت، لم يذكر بينهما أحداً، وقتادة لم يسمعه من عبد الله بن الصامت، وقول حجاج بن حجاج: عن قتادة عن أبي الخليل أشبه بالصواب".

- وقـال الحاكـم: هذا حديث صحيح الإسـناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبـي: صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٧٦): رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله رجال الصحيح.
- ورواه الطحاوي في "شرح مشـكل الاثار" (٢/ ٦٨)، رقم (٦٠٨)، والبيهقي في "شـعب الإيمان" (٦/ ٤٢)، رقم (٣٨٤٩) كلاهما من طريق سـعيد بن بشـير، عن قتادة، عن عبد الله بن الصامت به، بنحوه، وفيه: " ولنعم المصلى هو، أرض المحشر وأرض المنشر ".
- وهذا الإسناد فيه علتان:
- الأولى: سعيد بن بشير: هو الأزدي، أبو عبد الرحمن الشامي، ضعيف. تقريب التهذيب (ص٣٧٤).
- الثانيـة: أن قتادة لم يسـمعه من عبد الله بن الصامت، كما مـر معنا من كلام الدارقطني. وصحح هذا الإسناد: الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار.
- وقـال المنـذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٩٥)، رقم (١٨٠٧): رواه البيهقي بإسـناد لا بأس به، وفي متنه غرابة.
- وضعفه الأرنؤوط في تحقيقه على " شرح مشكل الآثار" (٢/ ٦٨) بسعيد بن بشير.
- واعترض الألباني في الصحيحة على هذا التضعيف، وسـوى بين إسـناد الحاكم، وإسناد الطحاوي.

وقد تبين مما سبق أن الإسناد الأول صحيح دون الثاني، والله تعالى أعلم.

١- مشيخة ابن طهمان (ص١١٨ حاشية).



نقل هذا الكلام الشيخ هشام العارف في كتابه «إتحاف الأنام بفضائل المسجد الأقصى والشام»، ثم علق عليه قائلاً: «وهذا الذي قاله محمد طاهر مالك كان سنة ١٤٠٣هـ الموافق سنة ١٩٨٣م، وأن هذه الوقائع التي تخمّنها أصبحت جاثمة، وتشير حقاً إلى مطابقة الحديث لهذا الزمان... وحين بيضت تخريج الحديث بتاريخ ٥/ محرم/ ١٤١٨هـ الموافق ١٢/ آيار/ ١٩٩٧م: تنامى إلى علمنا أن اليهود يخططون لضم مستوطناتهم المحيطة بالقدس إلى القدس في بلدية مركزية موحدة، وذلك عقب شروعهم بناء مستوطنة جديدة في جبل أبو غنيم، وتعتبر هذه المستوطنة هي بمثابة إغلاق سلسلة المستوطنات المقامة حول القدس. فتصبح القدس بعد ذلك محاطة بالمستوطنات، كالسوار في المعصم، بعد أن حاصروا المدينة أيضاً ومنذ ست سنوات بنقاط التفتيش العسكرية لمنع سكان الضفة الغربية من فلسطين من الدخول إلى القدس أو الصلاة في المسجد الأقصى. مع العلم أن جماعات كثيرة من اليهود بمسميات مختلفة تحاول باستمرار التحرش بالمسلمين داخل المسجد الأقصى بزعم إقامة صلوات لهم فيه، وحدثت مواجهات عديدة في المسجد بين المصلين المسلمين، وجنود إسرائيليين وقع نتيجتها قتلى ومصابون، وكان آخر هذه المواجهات حين فتح اليهود نفقاً تحت المسجد الأقصى.

ويستمر اليهود منذ احتلالهم الجزء الشرقي من القدس في ٥/ حزيران/ ١٩٦٧م بعد احتلال الجزء الغربي لها في ١٥/ آيار/ ١٩٤٨م منع المسلمين التوسع بالبناء، والاستيطان، وهدم بيوت تبنى من غير ترخيص منهم، ومحاولة التضييق عليهم لهجر المدينة والسكن خارجها، واعتبار المقيم خارجها من المهاجرين منها، والله تعالى المستعان»[1].

قال الباحث: وأنا أكتب هذه الكلمات في شهر ربيع الأول لعام ألف وأربعمائة وتسعة وعشرين، ولا يكاد القلم يستقر في يدي من هول الفواجع والمآسي التي

١- (ص٩٨-٩٩).

تحل كل يوم بمسرى النبي ﷺ، لقد زادت الإجراءات عما ذكره الأخوان الفاضلان أضعافاً مضاعفة؛ بل لا أبالغ إن قلت: إن المسلم اليوم في كثير من أنحاء فلسطين، وفي غيرها من بلاد الإسلام يتمنى أن يبصر بعينيه المسجد الأقصى، ولا زال إخوة القردة جادين في تهويد المدينة المقدسة، وطرد المسلمين منها بكل حيلة ووسيلة، حتى لا يبقى فيها مسلم موحد.

ولا يخفى أن الحديث فيه حثٌّ على القرب من بيت المقدس، واتخاذه موطناً وسكناً[1].

تنبيه: ذهب الشيخ إبراهيم العلي في كتابه «الأرض المقدسة» إلى أن هذا الحديث يدل على غلاء الأسعار وارتفاعها في الأرض المقدسة إلى حد كبير، وأن هذا الارتفاع سيزداد خاصة للأراضي التي تطل على بيت المقدس، وقال:

«والذي يتتبع الأحداث في أيامنا يلحظ هذا الأمر في بدايته، حيث ارتفعت أسعار الأرض بشكل مذهل في مناطق فلسطين المحتلة، وما يطل على أرض بيت المقدس في مناطق أردن الحشد والرباط»[2].

قال الباحث: إن دلالة الحديث على ما ذهب إليه الشيخ ليست بذاك الوضوح، بل إن دلالته على احتلال اليهود لبيت المقدس، والتضييق على عباد الله فيه، والسعي في ترحيلهم وتهجيرهم أظهر منها في الدلالة على ما ذهب إليه الشيخ؛ وذلك أنه من الطبيعي أن ترتفع أسعار الأراضي التي تطل على بيت المقدس سواء قبل الاحتلال أم بعده.

١- بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف (ص١٣١) لسعيد القزقي.

٢- (ص١٥٠)، وانظر: نبوءات الرسول أشراط الساعة وما حصل منها للآن وما لم يحصل (ص٥٦) لحسام الأسعد.



المبحث الرابع
الحصار الاقتصادي على بلاد الشام

أشـارت النصـوص إلى أن حصاراً سيُضرب في آخر الزمان على بلاد الشـام، فتمنع الشام خيراتها، ويمنع أهلها كذلك من خيراتها، وسأشير إلى هذه النصوص ابتداءً، ثم أتبعها بتفسيرات أهل العلم وتعليقاتهم، ثم ببعض المسائل والفوائد المتعلقة بذلك.

- عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﵁ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «مَنَعَتِ[1] الْعِـرَاقُ دِرْهَمَهَا

---

١ ١٨/ ٢٢٨-

طبعة دار المعرفة)، وبعض المصادر الأخرى، وأكثر روايات مسلم: منعت. قال القرطبي: "منعت": كذا الرواية المشهورة بغير "إذا"، كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ سورة النحل، آية (١)؛ أي: يأتي، وكقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ سورة المائدة، آية (١١٦)؛ يعني: إذ يقول، ومثله كثير. وقد رواه ابن ماهان: "إذا منعت"، وهو أصل الكلام، غير أنه يحتاج إلى: جواب إذا، ويحتمل ذلك وجهين:

- أحدهما: أن يكون الجواب: عدتم من حيث بدأتم، وتكون الواو زائدة،....
- والثاني: يحتمل أن يكون جواب إذا محذوفاً؛ تقديره: إذا كانت هذه الأمور جاءت الساعة، أو ذهب الدين، ونحو ذلك، والله أعلم". المفهم (٧/ ٢٢٩)، وانظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٧٢) لمحمد بن أبي نصر الحميدي، وكشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٦٦) لابن الجوزي، وبذل المجهود في حل أبي داود (١٣/ ٣٧٤).

وَقَفِيزَهَا[1]، وَمَنَعَت الشَّأْمُ مُدْيَهَا[2] وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا[3] وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ». شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ[4].

– وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لاَ يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلاَ دِرْهَمٌ. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لاَ يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلاَ مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لاَ يَعُدُّهُ عَدَدًا». قَالَ[5]: قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلاَءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالاَ: لاَ[6].

١- القفيز: مكيال معروف لأهل العراق، يجمع على قفزان، وهو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، وهو (أي القفيز): خمس كيلجات، وقدَّره غير واحد من المعاصرين -بمكاييل اليوم- بحوالي (٤٥) كغم قمح، ويقدر بـ(٦٠) لتراً. انظر: شرح السنة (١١/ ١٧٨)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩)، وبذل المجهود (١٣/ ٣٧٤)، والعراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ١٩٧-٢٠٢).

- تنبيه: "ليس المراد بالقفيز هنا: مقدار الكيل المذكور؛ إذ هو قليل لا يلتفت إليه بالنسبة إلى خيرات العراق؛ وإنما المراد: الجمع". العراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ١٩٨).

٢- المُدْي -بضم الميم، على وزن قُفْل-: مكيال معروف لأهل الشام، يسع خمسة عشر مكوكاً، والمكوك: صاع ونصف، فهو (٢٢,٥) صاعاً، فهو أكبر من القفيز، وقدره بعض المعاصرين بـ (نيف وثمانين رطلاً). انظر بالإضافة للمراجع السابقة: معالم السنن (٣/ ٣٥)، والعراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

٣- الإردب: مكيال معروف لأهل مصر، يسع أربعة وعشرين صاعاً، ولا يزال مستخدماً إلى اليوم في مصر، ويقدر بـ(١٩٨) لتراً، ويوافق هذا (١٥٠) كغم من القمح. انظر بالإضافة للمراجع السابقة: العراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ٢٠٧-٢٠٨).

٤- مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يَحسرَ الفرات عن جبل من ذهب (ص١١٦٠)، رقم (٢٨٩٦) قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ يَعِيشَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ (وَاللَّفْظُ لِعُبَيْدٍ) قَالاَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ بْنِ سُلَيْمَانَ مَوْلَى خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، به.

٥- القائل هو: سعيد بن إياس الجريري. تقدم (ص١١٨).

٦- مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (ص١١٦٨)،



- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إي والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق[1]، قالوا: عم ذاك؟ قال: تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ[2]، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم[3].

هذه الأحاديث الثلاثة يفسر بعضها بعضاً؛ ولذلك سقتها مساقاً واحداً، وأوردتها متتالية، وسيظهر هذا جلياً عند استعراضنا لبيانها، وكلام أهل العلم في تأويلها.

ما هو المنع الوارد في الحديث؟

اختلف أهل العلم في ذلك اختلافاً كبيراً، وتباينت أقوالهم في تحديد المراد بالمنع الوارد في كلام النبي ﷺ، وإليك أشهر أقوالهم في ذلك:

١- أن هذا المنع سببه إسلام أهل هذه البلاد، فبإسلامهم تسقط عنهم الجزية.

رقم (٢٩١٣) قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ (وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ)، قَالاَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ به.

١- المصدوق: "الذي لم يقل إلا الصدق، يعني: أن جبريل -مثلاً- لم يخبره إلا بالصدق، أو: المصدق بلفظ المفعول". الكواكب الدراري (١٣/ ١٤٣)، وعنه: العيني في: عمدة القاري (١٥/ ١٤٠)، ونقل المعنى الأول: القسطلاني في: إرشاد الساري (٥/ ٢٤٤).

٢- بضم أوله؛ من الانتهاك، وانتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل من الجور والظلم. عمدة القاري (١٥/ ١٤٠)، وانظر: فتح الباري (٦/ ٣٣٧)، والتوشيح شرح الجامع الصحيح (٦/ ٢٠٨١).

٣- البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر (ص ٦١٠)، رقم (٣١٨٠) واللفظ له، وأحمد (١٤/ ١١٧-١١٨)، رقم (٨٣٨٦) وزاد أبو هريرة في آخره: "والذي نفسي بيده ليكونن، مرتين" كلاهما من طريق هاشم بن القاسم، حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه به.

- والحديث رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، قال البخاري: قال أبو موسى (المثنى بن عُبيد): حدثنا هاشم بن القاسم به.

- "وهذا الحديث وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق موسى بن عباس، عن أبي موسى بمثله، ووقع في بعض نسخ البخاري: حدثنا أبو موسى، والأول هو الصحيح، وبه جزم الإسماعيلي، وأبو نعيم، وغيرهما". فتح الباري (٦/ ٣٣٦-٣٣٧)، وانظر: تغليق التعليق (٣/ ٤٨٥) لابن حجر، وعمدة القاري (١٥/ ١٤٠)، وإرشاد الساري (٥/ ٢٤٢).

قال البيهقي في دلائل النبوة - في سياق بيانه لمعنى المنع - : «وفي تفسير المنع وجهان: أحدهما: أن النبي ﷺ علم أنهم سيسلمون، وسيسقط عنهم ما وُظِّفَ عليهم، والدليل على ذلك: قوله في الحديث: (وعدتم من حيث بدأتم)؛ لأنه بدأهم في علم الله، وفيما قدر، وفيما قضى أنهم سيسلمون، فعادوا من حيث بدؤوا،

وقيل في قوله: **(منعت العراق درهمها...): إنهم يرجعون عن الطاعة، وهذا وجه، والأول أحسن**»[1].

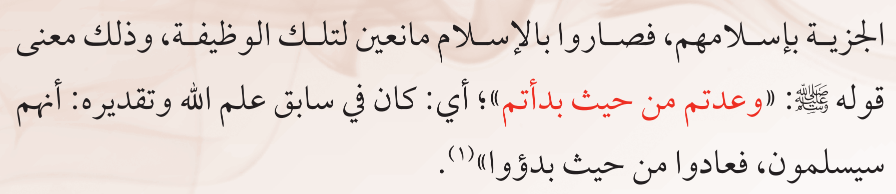
وتعقبه الحميدي بقوله: «وفي تفسير المنع وجهان: أحدهما: أن النبي ﷺ علم أنهم سيسلمون، وسيسقط ما وظف عليهم بإسلامهم، فصاروا مانعين بإسلامهم ما وظف عليهم، واستُدِل على ذلك بقوله: (وعدتم من حيث بدأتم)؛ لأن بَدْأهم في علم الله، وفي ما قضى وقدر أنهم سيسلمون، فعادوا من حيث بدؤوا، وقيل:

في قوله: (منعت العراق درهمها...الحديث) أنهم يرجعون عن الطاعة، وهذا وجه، وقد استَحسن الأول بعض العلماء، وكان يكون هذا لولا الحديث الوارد الذي أفصح فيه برجوعهم عن الطاعة، أخرجه البخاري من حديث سعيد بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذاك؟ قال: (تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم)»[2].

وهذا الوجه هو أحد وجهي التأويل اللذين ذكرهما البغوي في شرح السنة، حيث قال: «وللحديث تأويلان: أحدهما: سقوط ما وظف عليهم باسم

١- (٦/ ٣٣٠).

٢- تفسير غريب ما في الصحيحين (ص١٧٢).



الجزيـة بإسـلامهم، فصـاروا بالإسـلام مانعين لتلـك الوظيفـة، وذلك معنى قوله ﷺ: «وعدتم من حيث بدأتم»؛ أي: كان في سابق علم الله وتقديره: أنهم سيسلمون، فعادوا من حيث بدؤوا»[1].

وذكـره النـووي ضمن قولـين مشـهورين، مقدماً إيـاه، ومرجحاً الثـاني عليه -وسيأتي-، وعلق عليه: «وهذا قد وجد»[2].

وبنحوه صنع السخاوي [3]، وشمس الحق آبادي[4]، وصديق حسن خان[5].

وهـذا المعنـى ردَّه ابـن الجـوزي - في سـياق بيانـه لمعنـى قولـه ﷺ: (منعـت العراق...)- بقوله: «المعنى: ستمنع، فلما كان إخباراً عن متحتم الوقوع حسن الإخبار عنه بلفظ الماضي؛ تحقيقاً لكونه يدل عليه أنه في بعض الألفاظ: (كيف أنتـم إذا لم تجتبـوا دينـاراً ولا درهماً)، وقـد كان بعض العلماء يقـول: إنما منعوا هذا؛ لأنهم أسلموا، قال: وهذا إخبار عن إجماع الكل على الإسلام، وهذا ليس بشيء؛ لأنه قد سبق صريحاً في هذا المسند في الحديث السابع والثمانين من أفراد البخاري: قال أبو هريرة: كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً؟ قيل: وكيف؟ قال: تنهتك ذمة الله وذمة رسـوله، فيشـد الله قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم»[6].

وضعفه الإمام الشوكاني في نيل الأوطار، فقال -في سياق شرحه على الحديث-: «وهـذا الحديـث من أعلام النبوة؛ لإخباره ﷺ بما سـيكون من ملك المسـلمين هـذه الأقاليـم، ووضعهم الجزية والخراج، ثم بطلان ذلـك؛ إما بتغلبهم، وهو

١- (١١/ ١٧٨).

٢- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩).

٣- القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص١٠٦).

٤- عون المعبود (٥/ ٤٢١).

٥- السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج (١١/ ٣٦٨).

٦-كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٦٦).

أصح التأويلين، وفي البخاري[1] ما يدل عليه؛ ولفظ المنع في الحديث: يرشد إلى ذلك، وإما بإسلامهم»[2].

فأخبر- رحمه الله - أن سبب المنع: هو تغلب الكفار، وصححه، واستدل له بالحديث، ثم ذكر الإسلام ثانياً؛ إشارة إلى أنه لا يرتضيه.

٢- أن أهل هذه البلاد «يرتدون في آخر الزمان؛ فيمنعون ما لزمهم من الزكاة»[3].

ذكر هذا الإمام النووي مصدراً إياه بـ: قيل؛ كأنه يشير إلى ضعفه.

قال الباحث: الذي يظهر -والله أعلم- أن الإمام النووي يقصد بذلك: أن أهل هذه البلاد الذين كانوا على الإسلام يرتدون، فيمنعون زكاة أموالهم، ولا يقصد بذلك الكفار الذين تجب عليهم الجزية، والذين كانوا يسكنون في تلك البلاد؛ لأنه ذكرهم بعد ذلك مباشرة في قول منفصل عن سابقه، وأشار في سياق حديثه إلى أنهم يمتنعون عما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، بينما الأولون يمتنعون عن أداء الزكاة لردتهم.

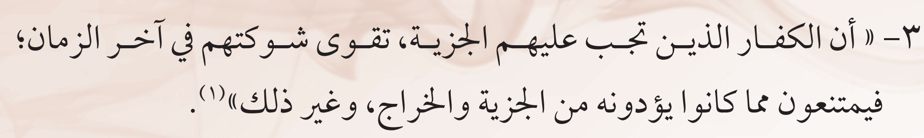
وللشيخ أحمد شاكر كلام يرشد إلى ما ذكرت، قال- في سياق تأويله للحديث-: «وهذا الحديث آية كبرى، ففي خلافة عمر ضُمَّت الأقطار الثلاثة (أي: الشام، والعراق، ومصر) إلى أمها الحجاز، وكانت دولة ملأت الخافقين، ثم توالت الفتن والأرزاء على المسلمين، وتقطعت أوصالهم، وضمرت دولتهم، وتوزعت هذه الأمم ممالك، لا صلة لواحدة منها بالحجاز، وفي كلٍ منها حركة لنزع ربقة الإسلام، يقوم بها أفراد يسمون أنفسهم «المجددين»، وإنما هو «المجردون»، وها نحن نرى آثارها، ونسأل الله الوقاية من فتنتها»[4].

١- يقصد: حديث أبي هريرة الذي مر معنا.

٢- نيل الأوطار (٨/ ٣٦٤)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٧/ ١٩٩).

٣- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩).

٤- الخراج (ص٧٢حاشية) ليحيى بن آدم، وانظر: منة المنعم (٤/ ٣٥١)، ورد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام (ص٥٩-٦٠).



٣- «أن الكفار الذين تجب عليهم الجزية، تقوى شوكتهم في آخر الزمان؛ فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك»[١].

ذكر هذا الإمام النووي مصدِّراً إياه بـ: قيل؛ كأنه يشير إلى ضعفه.

وهذا ظاهر كلام الحميدي فيما نقلناه عنه سابقاً[٢]، وهو التأويل الثاني الذي ذكره الإمام البغوي في شرح السنة، حيث قال: «والتأويل الثاني: هو أنهم يرجعون عن الطاعة، فيمنعون ما وظِّف عليهم، وكان هذا القول من النبي ﷺ دليلاً على نبوته، حيث أخبر عن أمر أنه واقع قبل وقوعه، فخرج الأمر في ذلك على ما قاله»[٣].

وأشار إلى وقوعه -بعد ذكر تأويلات أهل العلم للحديث- صديق حسن خان[٤].

وممن ذهب إليه من المعاصرين: الشيخ محمد خليل هرَّاس، حيث قال -في سياق بيانه للحديث-: «المقصود من الحديث: أن كل قطر من هذه الأقطار المفتوحة، ستمنع ما كان يؤديه من الخراج إلى بيت مال الخلافة. وهذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد أخبر النبي ﷺ بذلك قبل أن تفتح هذه الأقطار، ويُضرب عليها الخراج»[٥].

وقال الدكتور نزار ريان: «هذا الحديث يتحدث عن تمرد رعايا الدولة المسلمة، في مستقبل الزمان، وعدم دفعها الجزية للدولة المسلمة»[٦].

وللخطابي كلام قريب من هذا في معالم السنن؛ قال: «ومعنى الحديث: أن

١- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩).

٢- سبق (ص٢٢٨).

٣- (١١/ ١٧٨).

٤- (١١/ ٣٦٧).

٥- الأموال (ص٩١ حاشية) لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٦- مستقبل الإسلام (ص١٨٧)، وانظر: الأيام الأخيرة في عمر الزمن (ص٢٤).

ذلك كائن، وأن هذه البلاد تفتح للمسلمين، ويوضع عليها الخراج شيئاً مقدراً بالمكاييل والأوزان، وأنه سيُمنع في آخر الزمان، وخرج الأمر في ذلك على ما قاله النبي ﷺ»[1].

٤- «أن هذا إخبار بأن أمور الدين وقواعده يترك العمل بها،؛ لضعف القائم عليها، أو لكثرة الفتن واشتغال الناس بها، وتفاقم أمر المسلمين، فلا يكون من يأخذ الزكاة أو الجزية ممن وجبت عليه، فيمتنع من وجب عليه حق من أدائه»[2].

وهذا كلام عام مجمل، لا يساعد عليه لفظ الحديث، وتَرِد عليه عدة إشكالات؛ منها:

- أن ظاهر الحديث يرشد إلى «أن البلاد المذكورة هي التي تمنع خيراتها، والمنع فيه معنى الكف، والحرمان مع جبر وقسر وغلبة، والمذكور (أي من كلام القرطبي) فيه غفلة، وقلة الوازع للقيام بها، وشتان ما بين المعنيين!»[3].

٥- « أن العجم، والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم بعد هذا بورقات عن جابر[4]، قال: يوشك أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود»[5].

وهذا القول هو الذي رجحه الإمام النووي، وارتضاه وشهَّره من بين الأقوال التي ذكرها، وهو ظاهر كلام ابن الجوزي الذي ذكرناه آنفاً[6].

١- (٣/ ٣٥).

٢- المفهم (٧/ ٢٣٠).

٣- العراق في أحاديث الفتن (١/ ٢٢٧-٢٢٨)، وفيه زيادات مهمة؛ فلتراجع هناك.

٤- سبق تخريجه (ص٢٢٧).

٥- شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٢٩).

٦- انظر: (ص٢٢٩).

ونقله عن النووي بحروفه: الأُبي[1]، والسنوسي[2]، والسخاوي[3]، والسيوطي[4]، وشمس الحق آبادي[5]، وصديق حسن خان[6]، وموسى لاشين[7].

وإليه ذهب الشيخ التويجري في: إتحاف الجماعة، حيث قال: «والذي يظهر لي في معنى قوله: (منعت العراق درهمها... الحديث): أن ذلك إشارة إلى ما صار إليه الأمر في زماننا وقبله بأزمان، من استيلاء الأعاجم من الإفرنج وغيرهم على هذه الأمصار المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانعكاس الأمور بسبب ذلك، حتى صار أهل الذمة أقوى من المسلمين وأعظم شوكة، فامتنعوا من أحكام الإسلام التي كانت تجري عليهم من قبل، وانتقض حكم الخراج وغيره، ثم زاد الأمر شدة، فوضعت قوانين أعداء الله ونظمهم مكان الأحكام الشرعية، وألزموا بها من تحت أيديهم من المسلمين، والذين انفلتوا من أيدي المتغلبين عليهم ما زالوا على ما عهدوه من تحكيم القوانين وسنن أعداء الله تعالى، والتخلق بأخلاقهم الرذيلة، بل على شر مما عهدوه؛ كما لا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة»[8].

وهذا الذي ذكره الشيخ قبل عقودٍ زاد أضعافاً عما كان عليه في عهده، فنسأل

١- إكمال إكمال المعلم (٧/ ٢٤٤).

٢- مكمل إكمال الإكمال (٧/ ٢٤٤).

٣- القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص١٠٦).

٤- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ٢٢٢-٢٣٢).

٥- عون المعبود (٥/ ٤٢٠-٤٢١).

٦- السراج الوهاج (١١/ ٣٦٨)، وعقب عليه بقوله: "قلت: وقد وُجد ذلك كله في هذا الزمان الحاضر، في العراق والشام ومصر، واستولى الروم على أكثر البلاد في هذه المائة الثالثة عشرة، ولهم الاستيلاء على سائرها كل يوم، ولله الأمر من قبل ومن بعد".

٧- فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٥١٢).

٨- (٢/ ٢٣٤).

الله أن يعجل بالفرج لأمة الإسلام، وأن يضرب الذلة على الكفار والمشركين في كل مكان.

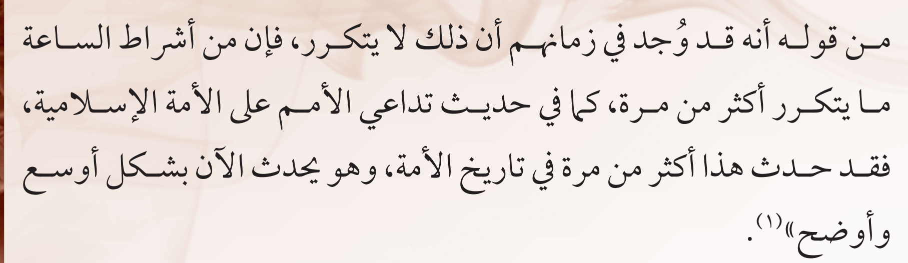
قال الشيخ عمر الأشقر –ناقلاً كلام النووي، موضحاً إياه وزائداً عليه–:

«كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية، والخراج الذي يدفعه من يستغل الأراضي التي فتحت في الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول ﷺ بأن ذلك سيتوقف، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك مورداً إسلامياً مهماً، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة...» وذكر الحديث، ثم قال: «ومنع تلك البلاد للمذكورات في الحديث بسبب استيلاء الكفار على تلك البلاد الإسلامية، فقد استولى الروم، ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية،

وفي عصرنا احتل الكفار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم»، ثم ذكر كلام الإمام النووي، وعقب قائلاً: «وكل هذه التعليلات لسبب منع الإيرادات لخزينة الدولة الإسلامية التي ذكرها النووي وجدت، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التي كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية، فإلى الله المشتكى»[1].

وقال الشيخ مصطفى الشلبي: «ومن علامات الساعة في آخر الزمان وأشراطها: استيلاء العجم والروم على البلاد، أو يحاصرونها سياسياً واقتصادياً، فيمنعون عنها المال والغذاء؛ لإجبارها على الخضوع لإرادتها، وسيطرتها على العباد والبلاد، والتحكم في أرزاقهم ومعاشهم، وسلب ما عندهم من الخيرات؛ كالبترول وغيره مما أنعم الله به على أهل هذه البلاد. فعن أبي نضرة....»، ثم ذكر أثر جابر، وأتبعه بكلام النووي، ذاكراً القولين المشهورين عنه، ثم عقب على الثاني (وهو: استيلاء العجم والروم على البلاد...) بقوله: «قلت: لا يعني

١– القيامة الصغرى (ص١٦٠–١٦١)، تحت عنوان " توقف الجزية والخراج ".



من قوله أنه قد وُجد في زمانهم أن ذلك لا يتكرر، فإن من أشراط الساعة ما يتكرر أكثر من مرة، كما في حديث تداعي الأمم على الأمة الإسلامية، فقد حدث هذا أكثر من مرة في تاريخ الأمة، وهو يحدث الآن بشكل أوسع وأوضح»[1].

ولا يكاد أحدٌ -بعد الإمام النووي- يتعرض للحديث بشرح وبيان، إلا ويذكر كلام الإمام النووي فيه، كما سبق نقله عن جماعة من أهل العلم، ولا شك أنه أرجح الأقوال؛ وذلك أن «المنع فيه معنى الغلبة»[2].

ويشهد لذلك أثر أبي هريرة، وأثر جابر، وهو اعتماد النووي وغيره في الترجيح كما بيناه، وترجيح هذا القول لا يعني تضعيف ما سواه، فإن القول الثالث قريب منه، وبينهما ترابط؛ إذ إن قوة شوكة الكفار، سبيل إلى استيلائهم على ديار الإسلام، وكذلك القول الثاني؛ فإنه تحقق ووقع كما نطق به غير واحد من أهل العلم، ويبقى القولان: الأول والخامس؛ فإنهما ضعيفان كما بيناه في موضعه، والله تعالى أعلم.

إشارات وتنبيهات:

١- إن المنع المذكور في الحديث ربما وقع وتكرر في أزمان متعددة؛ ولذلك بوب ابن كثير على هذا الحديث وغيره بقوله: «ذكر أنواع من الفتن وقعت، وستكثر وتتفاقم في آخر الزمان» وقد ظهر معنا بوضوح في النقولات المتقدمة عن جمع من أهل العلم: أن كل واحد منهم يخبر أن هذا قد وقع في زمنه وعصره، ويمكن أن يقال هنا: إن علة المنع تختلف من زمن لآخر، فأي علة تتسبب في هذا المنع تفضي إلى تحقق وقوع ما أخبر به النبي ﷺ، ونؤكد ما ذكرناه سابقاً: أن

١- صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة (ص١٧٦-١٧٧) تحت عنوان "قطع المال والغذاء عن العراق وغيرها من بلاد الإسلام".

٢- العراق في أحاديث الفتن (١/ ٢٥٠).

المنع بسبب استيلاء الكفار على ديار الإسلام هو الأكثر تحققاً ووقوعاً.

٢- «إنْ حَمَلَ بعض العلماء هذا الحديث على حوادث مضت، فإن وقوعه في هذه الأيام على وجه أظهر وأشد؛ لقرائن وأمارات كثيرة؛ منها:

- تبويبات بعض العلماء؛ مثل: ما صنعه ابن عساكر، بوب عليه «باب ذكر ما ورد من الملاحم والفتن مما له تعلق بدمشق في غابر الزمان»، وما صنعه أبو عمرو الداني، بوب عليه «باب ما جاء في خروج الروم»[1].

- وكذلك فإن جابراً ﷺ بعد أن ذكر منع العجم والروم الخيرات عن أهل العراق والشام؛ رفع إلى النبي ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لاَ يَعُدُّهُ عَدَدًا)، وظاهر هذا أن ثمة ارتباط بين المنع وخروج المهدي؛ وذلك أن هذا الخليفة الذي يحثي المال هو المهدي»[2].

ومما يزيد هذا بياناً: أن الإمام القرطبي جعل المنع علامة خروج المهدي؛ فبوَّب على الحديث «باب في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه»[3].

٣- ذكر النبي ﷺ أن الذين يمنعون خيرات العراق هم العجم، وأن الذين يمنعون خيرات أهل الشام هم الروم، ولعل هذا قد وقع في السابق حين غزا التتار بلاد الإسلام، وكان في العراق ما كان، وحين غزا الصليبيون بلاد الشام، وأحدثوا فيها ما أحدثوا.

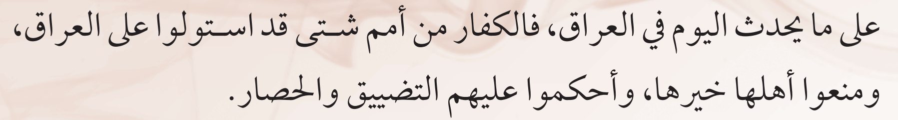
وهل من الممكن أن يقال: إن ما يحدث اليوم في العراق، وما يخطط لبلاد الشام يمضي بالأمة إلى تحقق ما أخبر به النبي ﷺ؟

الذي يظهر: أن معنى المنع الذي رجحه النووي وجماعة من أهل العلم ينطبق

١- المصدر السابق (١/ ٤٣٤).

٢- سيأتي بيانه وإيضاحه (ص٢٥١)، وانظر: القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين (ص١٠٦).

٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١١٨٩)



على ما يحدث اليوم في العراق، فالكفار من أمم شتى قد استولوا على العراق، ومنعوا أهلها خيرها، وأحكموا عليهم التضييق والحصار.

أما بلاد الشام، فإن الأحداث من حولنا تشير إلى أن الكفار يمكرون لها بالليل والنهار، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرد كيدهم عنا وعن أمة الإسلام.

٤- لعله يستفاد مما سبق أيضاً: «أن القوة المتحكمة في المنع تختلف موازينها، وتنتقل القيادة العامة من الأمشاج والخليط الذي تجمعهم العُجمة وعدم العربية إلى نسب ودين، وهم الروم»[١].

٥- المتأمل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ يرى أن النبي ﷺ ذكر العراق والشام ومصر، في سياق حديثه عن منعها خيراتها، بينما اقتصر جابر رضي الله عنه على الإشارة إلى منع العجم والروم خيرات العراق والشام، ولم يأت على مصر بذكر، وهذا كأن فيه إشارةً إلى أن حصار مصر، وتضييق الكافرين عليها يكون متأخراً عن العراق والشام.

٦- إن في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٢] عظة بليغة، وعبرة بالغة لمن كان له قلب أو ألقى السمع؛ وذلك أنه رضي الله عنه لما حدث أصحابه: كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إي والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذاك؟ قال: تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم. فأخبرهم - بما رفعه إلى النبي ﷺ - أن هذا إنما يصيبهم بمعصية ربهم تبارك وتعالى، واستحلال ما حرم عليهم، فإن أصل كل ذلة ومهانة معصية الله تبارك وتعالى، وأصل كل رفعة وعزة ونصرة وتمكين بطاعة الرب جل جلاله.

١- العراق في أحاديث وآثار الفتن (٢/ ٥٩٨).

٢- سبق تخريجه (ص٢٢٧)، وننبه هنا: إلى أن أوله موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، وآخره مرفوع إلى النبي ﷺ.

٧- في الحديث إشارة إلى أن النبي ﷺ كان يخاطب كل قوم بلغتهم[1]، وبما يفهمون، فلكل قوم مكيال ونقد يتعاملون به، فخاطبهم النبي ﷺ بذلك؛ وذلك أدعى لفهمهم وإدراكهم.

٨- قوله ﷺ: «وعدتم من حيث بدأتم» فيه إشارة إلى أن الحصار والمنع يقع عند استحكام الغربة في أهل الإسلام، ولعمر الله إننا لفي غربة ما بعدها غربة، فقد عُطِّلت أكثر شرائع الإسلام، وحُكِّمت قوانين وشرائع بني الأصفر في رقاب المسلمين ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، واتُّخِذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، وحُورِب الإسلام أشد المحاربة، وصار القابض على دينه -في زمن الغربة هذا- أشد من القابض على الجمر، فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

١- انظر: المفهم (٧/ ٢٢٩).

- تنبيه: من أهم الكتب التي تعرضت لحديث أبي هريرة - في حصار العراق والشام ومصر - دراسة وتخريجاً، وبحثاً وتحقيقاً: كتاب " العراق في أحاديث وآثار الفتن " للشيخ: مشهور ابن حسن آل سلمان، وقد أفدت منه في هذا المبحث، لا سيما في الدلالة على بعض المصادر والمراجع، فاقتضى التنبيه.



المبحث الخامس
نزول الخلافة الراشدة في بلاد الشام

إن حياة الناس لا تستقيم ولا تصلح إلا بخلافة إسلامية راشدة؛ تقودهم إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، وتحكم بينهم بشريعته، ولقد عاشت الأمة أزماناً وهي تتفيأ ظلال تلك النعمة السابغة، ثم رجعت الأمة القهقرى، ونبذت شريعة ربها، وسنة نبيها؛ فسُلبت منها كرامتها وعزتها، وضاعت الخلافة يوم أن ضيعت الأمة دينها، فما برحت منذ ذلك الزمان وهي تتقلب في الذلة والمهانة والضياع، ولقد بشرنا رسول الله ﷺ بعودة الخلافة يوم أن نعود لديننا، وأخبرنا ﷺ أن مستقرها في آخر الزمان سيكون في بلاد الشام، وهذا ما سنتعرض له في هذا المبحث إن شاء الله.

- عن حُذَيْفَةُ بن اليمان رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا[1] فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً[2] فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»[3].

١- أي: يصيب الرعية فيه ظلم وعسف، كأنهم يُعضون فيه عضاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٦٢٢).

٢- أي: خلافة جبرية فيها عتو وقهر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٣٧).

٣- الطيالسي (١/ ٣٤٩)، رقم (٤٣٩)؛ وعنه: أحمد (٣٠/ ٣٥٥)، رقم (١٨٤٠٦) واللفظ له، حدثنا

هذه بشارة عظيمة يبشر فيها النبي ﷺ بأن فصول الظلم والبغي والجبر والقهر إلى زوال وانتهاء، وأن الأمة ستتفيأ ظلال الخلافة الراشدة التي تشوفت لها قلوب الموحدين بعد هذا الظلم الذي يعيشون، وبعد هذا التغييب لشريعة الرب تبارك وتعالى.

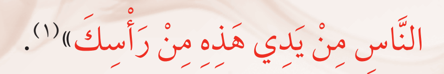
وهذه الخلافة التي بشرنا بها النبي ﷺ ستكون في بيت المقدس بإذن الله، وإليك ما يدل على ذلك:

عن ابن زُغْب الإيادي قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الأَزْدِيُّ فَقَالَ لِي: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَغْنَمَ عَلَى أَقْدَامِنَا، فَرَجَعْنَا فَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجُهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: «اللهُمَّ لاَ تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلاَ تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ». ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي - أَوْ قَالَ: عَلَى هَامَتِي - ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ: إِذَا رَأَيْتَ الْخِلاَفَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلاَزِلُ وَالْبَلاَبِلُ[1] وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ

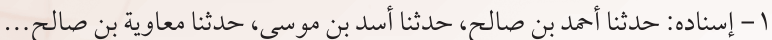
سليمان بن داود الطيالسي، حدثني داود بن إبراهيم الواسطي، حدثني حبيب بن سالم، عن النعمان بن بشير قال: كنا قعوداً في المسجد مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ... وذكر الحديث.

- داود بن إبراهيم الواسطي: وثقه الطيالسي، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: مسند الطيالسي (١/ ٣٤٩)، والثقات (٦/ ٢٨٠)، وميزان الاعتدال (٢/ ١٩٤).
- وحبيب بن سالم الأنصاري: مولى النعمان بن بشير، وثقه أبو حاتم، وأبو داود، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر في التقريب: لا بأس به، وقال البخاري: فيه نظر.
- انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣١٨)، والجرح والتعديل (٣/ ١٠٢)، والثقات (٤/ ١٣٨)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٥٩)، وتقريب التهذيب (ص٢١٩).
- قال الباحث: وهو كما قال ابن حجر.
- وهذا إسناد حسن لحال حبيب بن سالم الأنصاري.
- وحسنه الألباني في الصحيحة (١/ ٣٤)، رقم (٥)، وشعيب الأرنؤوط في المسند (٣٠/ ٣٥٦).

١- البلابل: الهموم والأحزان، وبلبلة الصدر: وسواس الهموم واضطرابها فيه. معالم السنن (٢/ ٢٤٦).



النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[1].



١- إسناده: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا معاوية بن صالح...

- أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة (ص٣٨٥)، رقم (٢٥٣٥)، وأحمد (٣٧/ ١٥١)، رقم (٢٢٤٨٧) من طريق معاوية بن صالح، حدثني ضمرة بن حبيب، أن ابن زغب الإيادي حدثه، قال... وذكر الحديث.

- أحمد بن صالح: هو المصري، ثقة حافظ. تقريب التهذيب (ص٩١).

- وأسد بن موسى: هو الأموي، أسد السنة، وثقه العجلي، والبزار، والنسائي، وابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال البخاري: مشهور الحديث. وقال ابن حجر: صدوق يُغْرِب، فيه نصب. ولا أحسب قول الحافظ ابن حجر فيه إلا لأجل كلام ابن يونس، حيث قال بعد توثيقه:

- "حدَّث بأحاديث منكرة، وأحسب الآفة من غيره.."، وقول النسائي: "ثقة، ولو لم يصنف لكان خيراً له".

- ولعل البخاري عدل عن توثيقه إلى قوله: مشهور الحديث؛ لأجل ذلك، فالذي يظهر أنه ثقة.

- ومعاوية بن صالح: بن حُدير، وثقه عبد الرحمن بن مهدي، وابن سعد، وأحمد، والعجلي، وأبو زرعة، والترمذي، والبزار، والنسائي، وذكره ابن حبان في الثقات.

- وقال ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام، وقول ابن حجر متعقَّب بما ذُكر من توثيق كبار النقاد له.

- وقال ابن عدي، والذهبي: صدوق.

- واختلف القول فيه عن يحيى بن معين؛ فمرة وثقه، ومرة ضعفه.

- وضعفه يحيى بن سعيد القطان، وتعقبه الترمذي فقال: "معاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان".

- انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٣)، ومعرفة الثقات (٢/ ٢٨٤)، وسنن الترمذي (ص٥٩٨)، والثقات (٧/ ٤٧٠)، والكامل (٦/ ٤٠٦)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٤)، وتقريب التهذيب (ص٩٥٥).

- قال الباحث: والأظهر أن معاوية بن صالح بن حُدير ثقة، ولعل قول ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام؛ إنما هو لكلام يحيى بن سعيد، وقد سبق تعقب الترمذي له.

- ضمرة بن حبيب: بن صهيب الحمصي، وثقه ابن سعد وابن معين، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات.

- انظر: الجرح والتعديل (٤/ ٤٦٧)، والثقات (٤/ ٣٨٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٨٨).

- ابن زغب الإيادي: هو عبد الله، مختلف في صحبته؛ أثبتها أبو زرعة، وابن ماكولا، قال أبو نعيم: مختلف في صحبته.

وهذا الحديث فيه إشارة إلى أن الخلافة ستنزل في الأرض المقدسة من بلاد الشام، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المقصود هنا: خلافة بني أمية.

قال الخطابي: «وإنما أنذر به ﷺ أيام بني أمية، وما حدث من الفتن في زمانهم، والله أعلم»[1].

وقال السهارنفوري في قوله ﷺ (إذا رأيت الخلافة نزلت..): «المراد بذلك الشام، وقد وقع ذلك في إمارة بني أمية»[2].

قال الباحث: ولعل هذا الذي ذهب إليه شراح الحديث بعيد؛ وذلك أن لفظ الحديث لا يساعد على هذا الفهم، حيث أشار النبي ﷺ إلى دنو الزلازل والبلابل والأمور العظام بعد نزول الخلافة في الأرض المقدسة، فالأقرب هنا والله أعلم أن تكون الخلافة المقصودة في الحديث: التي تكون في آخر الزمان، أما الأمور العظام فلعل النبي ﷺ يقصد بها: نزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال، وما يواكب ذلك من الأشراط.

ونزول الخلافة في بيت المقدس سيكون سبباً في إعمارها، وهجرة الناس إليها، وهذا بيان ذلك:

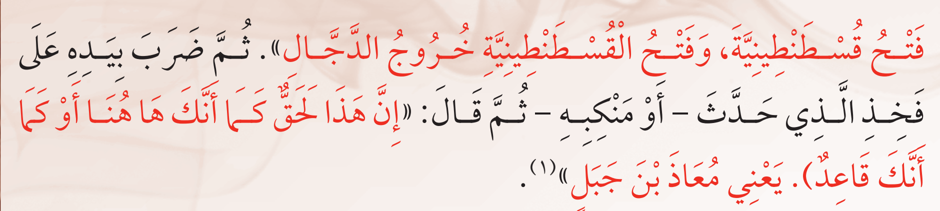
- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ

- والأظهر أنه صحابي، قال ابن حجر: "ساق أبو نعيم عن الطبراني حديث: "من كذب علي متعمداً..."، وصرح فيه (أي ابن زغب) بسماعه من النبي ﷺ، والإسناد لا بأس به". انظر: الإصابة (٤/ ٣٨)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٣٠١).

- فهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ولقد تابع عبد الرحمن بن مهدي أسدَ بن موسى في الرواية عن معاوية بن صالح عند أحمد (٣٧/ ١٥١).

١- معالم السنن (٢/ ٢٤٧).

٢- بذل المجهود في حل أبي داود (١٢/ ٢٦)، وانظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٣٥)، وعون المعبود (٥/ ٤٢).



فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ». ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَ - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَا هُنَا أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ». يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»[١].

اختلف أهل العلم في هذا العمران، ما هو؟ وهل يكون على يد الكفار أم على يد المسلمين؟ وهل وقع أم لم يقع بعد؟

أسئلة لعل الإجابة عنها تحدد بعض المعالم التي يتوصل بها إلى فهم الحديث.

ذهب بعض أهل العلم إلى أن العمران المقصود بالحديث هو: عمارته بالبنيان والرجال والأموال والعقار؛ وهذه هي العمارة الحسية، وذهبوا إلى أن هذا العمران يكون باستيلاء الكفار عليه، وإليه ذهب السهارنفوري في بذل المجهود[٢]، وذكره القاري في مرقاة المفاتيح[٣]، وأبو الطيب شمس الحق آبادي في عون المعبود[٤].

قال السهارنفوري في معنى قوله ﷺ (عمران بيت المقدس خراب يثرب): «أي: عمارة بيت المقدس سبب خراب يثرب؛ لأن عمرانه باستيلاء الكفار».

وذهب إليه الغماري، ومال إلى أن اليهود هم الذين وقع الإعمار على أيديهم، فقال: «فعمران بيت المقدس قد ابتدأ وظهر، إن لم يكن بإنشاء دولة اليهود، فإنهم عمروه ولا زالوا جادين في عمارته»[٥].

وقال الشيخ عبد العزيز السيروان مبيناً المراد بالعمران: «وهذا ما نجده اليوم قائماً على قدم وساق ضمن الأعمال الصهيونية للكيد من المسلمين، والاستيلاء

١- سبق تخريجه (ص١٨٠).

٢- (١٧/ ٢٠٨).

٣- (٨/ ٣٤١٧).

٤- (٧/ ٣٦٤).

٥- مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص٥٠).

على أراضيهم، وتوطيد العدد الأكبر منهم في العمران الجديد»[1].

وفي ظني أن هذه الأقوال بعيدة عن الصواب؛ لسببين:

١- أن الناظر إلى فعل اليهود في بيت المقدس يجد أنهم قد أفسدوا فيه إفساداً عظيماً؛ بشركهم وكفرهم وتمردهم على الله، ثم هم أيضاً ما برحوا يخططون لهدمه والإطاحة به؛ لبناء هيكلهم المزعوم، فكيف يقال بعد ذلك بأن الإعمار وقع على أيديهم، فضلا عن أن يقال بأنهم جادون في عمارته!!

٢- أن النبي ﷺ جعل خراب المدينة مقروناً بعمران بيت المقدس، فإن قلنا بأن عمران بيت المقدس وقع منذ زمن، فها هي المدينة لا تزال عامرة بحمد الله وفضله، فدل ذلك على أن العمران المقصود في الحديث لم يقع بعد[2].

وبقي أن يقال: ما هو هذا العمران؟ ومتى يتحقق وقوعه؟

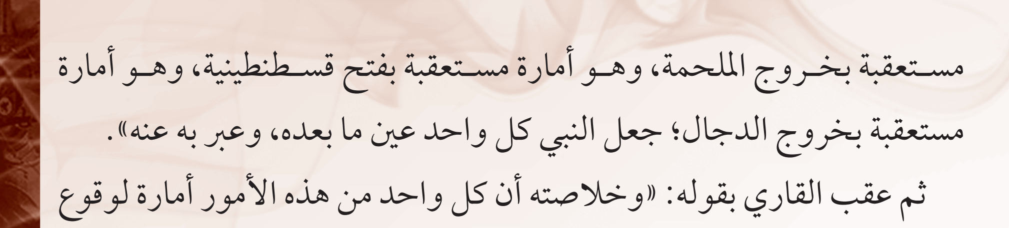
الظاهر أن المراد بعمران بيت المقدس: إقامة حكم الله تعالى فيه، وإصلاح ما أفسده إخوان القردة والخنازير من مظاهر الشرك والوثنية، والفساد والانحلال، وذلك بقيام خلافة راشدة على منهاج النبوة تولي هذا البيت مكانة عظيمة، وتنصرف إلى العناية به والقيام عليه، كما يدخل في هذا العمران انتقال الناس من المدينة إلى بيت المقدس فيعمر بساكنيه من المسلمين، وهذا إنما يقع في آخر الزمان، ولا أُراه إلا قريباً، نسأل الله أن يعجله بمنه وكرمه.

وهذه الحوادث التي أخبر عنها النبي ﷺ في الحديث تكون متتابعة؛ وذلك أن النبي ﷺ علق وقوع كل حادثة على وقوع الحادثة التي تليها.

نقل القاري في المرقاة عن الأشرف أنه قال: «لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه، وكثرة عمارتهم فيها، أمارة مستعقبة بخراب يثرب، وهو أمارة

١-أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين (ص٥٦).

٢- انظر: تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن (ص٥٣) لأحمد أبو العينين، والعراق في أحاديث الفتن (ص٣٥).



مستعقبة بخروج الملحمة، وهو أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية، وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال؛ جعل النبي كل واحد عين ما بعده، وعبر به عنه».

ثم عقب القاري بقوله: «وخلاصته أن كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده، وإن وقع هناك مهلة»[1].

هل ستنزل الخلافة في بلاد الشام قبل ظهور المهدي؟

ومن المسائل المهمة المتعلقة بقيام الخلافة، والتي لا بد من توضيحها وبيانها: هل ستقوم خلافة إسلامية راشدة في بلاد الشام قبل ظهور المهدي؟

أهل العلم لهم في الإجابة عن هذا السؤال اتجاهان:

الأول: من ذهب إلى أنه لن تقوم الخلافة الإسلامية إلا بظهور المهدي، وقد نقل صاحب كتاب «فقه أشراط الساعة» هذا عن السَّهسواني الهندي، وعبد الله بن الصديق الغُمَاري.

قال الشيخ الغماري وقد سئل: إذا كانت القيامة تقوم على المهدي وعيسى عليه السلام، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا فما معنى قوله ﷺ «الإسلام غريب وكما بدأ يعود»؟

فأجاب: « تواتر عن النبي ﷺ أنه قال (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)[2]، وهو يشير إلى وقتنا هذا، فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلى أن يأتي المهدي فيُظهر الإسلام، ويُحيى العدل، وتزول الفتن والإحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدي، ومدة عيسى عليه السلام، ثم بعد ذلك تأتي ريح طيبة تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في صحيح مسلم وغيره، والله أعلم»[3].

١- مرقاة المفاتيح (٨/ ٣١٤٨).

٢- سيأتي تخريجه في الصفحة التالية.

٣- المهدي المنتظر (ص٥١-٥٢).

ومن انتصر لذلك بقوة: أمين جمال الدين[1] حيث يقول متسائلاً: «هل ستقوم خلافة قبل المهدي؟ والجواب: لا!! نقلاً وعقلاً، شرعاً وواقعاً، بكل المقاييس، والاعتبارات...»[2].

ومن أمثل ما يستدل به من سلك هذا المسلك:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[3].

٢- عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه حتى

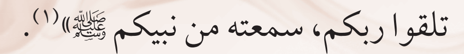
١- لم أذكره هنا على اعتبار أنه في مصافّ العلماء؛ وذلك أن هذا الكاتب معروف بين أهل العلم بالخلط والخبط، لا سيما في كتابه (هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام) وقد ردَّ عليه غير واحد من أهل العلم؛ منهم على سبيل المثال: محمد بن إسماعيل المقدَّم في كتابيه (المهدي)، و(فقه أشراط الساعة)، ومحمد بيومي في كتابه (نبوءات النبي ﷺ في آخر الزمان)، وأحمد أبو العينين في كتابه (تحذير ذوي الفطن من العابثين في أشراط الساعة والملاحم والفتن)، ومشهور سلمان=

- في كتابه (العراق في أحاديث الفتن)، وعادل زكي في كتابه (فتح العليم العلام بالرد على كتاب هرمجدون..)، ومحمد المبيض في كتابه (كتب في ميزان الشرع)، وغيرهم كثير.

- وأما الأدلة التي ساقها في تقرير ما ذهب إليه؛ فإنها لا تدل عليه من قريب ولا من بعيد، وهي عند النظر والتأمل حجة عليه لا له.

٢- القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين (ص١٢٨)، ذكر هذا أيضاً في "عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام" (ص١٤-١٥).

٣- مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين (ص٨٣)، رقم (١٤٤)، قال: حدثنا محمد بن عباد، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، جَمِيعًا عَنْ مَرْوَانَ الْفَزَارِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ (يَعْنِي ابْنَ كَيْسَانَ)، عَنْ أَبِي حَازِمٍ به، ورواه أيضاً من طريق ابن عمر في الكتاب والباب السابقين (ص٨٢)، رقم (١٤٦) وزاد فيه: "وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها"، والحديث متواتر مخرج في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، رواه عن النبي ﷺ ثلاثة وعشرون صحابياً، ولابن رجب جزء مفرد في هذا الحديث، موسوم بـ(كشف الكربة في وصف أهل الغربة).



تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ»[1].

٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»[2].

كما استدلوا بعمومات النصوص التي تخبر بظهور الفتن، وغلبة الفساد، ورفع العلم، وفُشُوِّ الجهل بين يدي الساعة، وفي هذا يقول الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي: «وأما بعد قرن أتباع التابعين، فقد تغيرت الأحوال تغيراً فاحشاً، وغلبت البدع، وسارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة، والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة، إلا ما استثني في زمان المهدي رضي الله عنه، وعيسى عليه السلام إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس»[3].

وقد أجاب أهل العلم عن هذه الأحاديث، وبينوا مراد رسول الله ﷺ منها، ومن أحسن ما وقفت عليه في بيان ذلك -جمعاً وترتيباً- ما ذكره الشيخ القرضاوي في خاتمة كتابه (المبشرات بانتصار الإسلام) تحت عنوان (أضواء على أحاديث أسيئ فهمها)، فذكر هذه النصوص، ونقل أقوال أهل العلم فيها، وأنقل هنا باختصار -إذ المقام لا يستدعي التطويل- بعض ما أورده وغيره:

- أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فأجاب عنه بقوله: «والذي أراه: أن الحديث يتحدث عن دورات أو (موجات) تأتي وتذهب، وأن الإسلام يعرض له ما يعرض لكل الدعوات والرسالات من القوة والضعف، والامتداد والانكماش،

١- البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (ص١٣٥١)، رقم (٧٠٦٨) قال: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان (الثوري) به.

٢- البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة زور إذا أُشهد (ص٥٠٢)، رقم (٢٦٥٢) قال: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عَبِيْدَة (السَّلْمَانِي) به، والحديث مخرج في مواضع أخرى من الصحيح بنحو هذا اللفظ.

٣- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٣٢٩).

والازدهار والذبول، وفق سنن الله التي لا تتبدل، فهو كغيره خاضع لهذه السنن الإلهية، التي لا تعامل الناس بوجهين، ولا تكيل لهم بكيلين، فما يجري على الأديان يجري على الإسلام، وما يجري على سائر الأمم يجري على أمة الإسلام.

فالحديث ينبئ عن ضعف الإسلام في فترة من الفترات، ودورة من الدورات، ولكنه سرعان ما ينهض من عثرته، ويقوم من كبوته، ويخرج عن غربته، كما فعل حين بدأ.

فقد بدأ غريباً، ولكنه لم يستمر غريباً، لقد كان ضعيفاً ثم قوي، مستخفياً ثم ظهر، محدوداً ثم انتشر، مضطهداً ثم انتصر.

وسيعود غريباً كما بدأ، ضعيفاً ليقوى، ثم يقوى، مطارداً ليظهر، ثم يظهر على الدين كله، ملاحقاً مضطهداً؛ لينتشر وينتشر، ثم ينتصر وينتصر[1].

- وأما حديث أنس رضي الله عنه، فإن ابن حجر ذكر في الفتح تأويلات أهل العلم له[2]، فلتراجع هناك، والذي رجحه الشيخ القرضاوي من مجموع الأقوال التي أوردها ابن حجر: «ويُحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك، فيختص بهم، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهم -أو جلهم- من التابعين»[3].

ويرى الباحث أن أولى الأقوال بالصواب ما ذهب إليه الحسن؛ وهو أن هذا يحمل على الأغلب، «وقد سُئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج فقال: لا بد للناس من تنفيس»[4].

ومما يُبين أن هذا الحديث ليس على عمومه ترجمة ابن حبان له، حيث قال: «ذكر

١- المبشرات بانتصار الإسلام (ص١٠٩-١١٠).

٢- (١٣/ ٢٧-٢٨).

٣-فتح الباري (١٣/ ٢٨).

٤- المصدر السابق (١٣/ ٢٨).



خبر أوهم من لم يحكم صناعة الحديث أن آخر الزمان على العموم يكون شراً من أوله»[1].

ثم ترجم للأحاديث التي تليه -رفعاً للإيهام، وتبياناً للصواب- بقوله: «ذكر الخبر المصرح بأن خبر أنس بن مالك لم يُرَد بعموم خطابه على الأحوال كلها»[2].

- وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنهما؛ فإن الأمر فيه سهل؛ وذلك أن غاية ما فيه إثبات خيرية جيل الصحابة، الجيل القرآني الفريد، «الذي تلقى عن رسول الله ﷺ، وتربى في حضانة النبوة، وشاهد ما لم يشاهده غيره من آيات الله، ومن هدي رسول الله ﷺ... ولا يشك دارس منصف أن الإشعاع الروحي لهذه الأجيال القريبة من عهد النبوة الخاتمة، كان من القوة والعمق والسعة، بحيث لا يلحقه جيل آخر، وهذا في الجملة لا في التفصيل...»[3].

وهذا لا يعني مطلقاً نفي الخيرية عمن بعد الصحابة رضي الله عنهم، كيف ذلك والأحاديث طافحة ببيان بقاء الخير في هذه الأمة، وثبات الطائفة المنصورة على الحق حتى يأتي أمر الله، «كما صحت أحاديث كثيرة تبشر بغدٍ مشرق، ومستقبل زاهر لدعوة الإسلام، وملك واسع لدولته، وصح الحديث كذلك أن الله يبعث في كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها، وبذلك يتجدد أملها، ويقوى رجاؤها في صلاح الحال إذا فسد، وقوة الدين إذا ضعف، واستقامة الأمر إذا اعوج»[4].

ومما ينبغي أن يشار إليه هنا: أن هذا القول (أي عدم قيام الخلافة إلا بظهور المهدي) هو لازم قول من قال بأن قتال اليهود، والانتصار عليهم انتصاراً تاماً لا

١- ابن حبان (١٣/ ٢٨٢).

٢- المصدر السابق (١٣/ ٢٨٢).

٣- المبشرات بانتصار الإسلام (ص١٣٣).

٤- المصدر السابق (ص١٣٦).

يكون إلا بعد خروج الدجال، فمعنى هذا أن اليهود سيبقون في فلسطين، يسومون أهلها سوء العذاب، ويذل لغطرستهم سائر أهل الإسلام، حتى يأذن الله بظهور المهدي، ونزول عيسى عليه السلام فيقاتلَ المسلمون معهما الدجال، وشيعته من اليهود، ثم تقوم دولة الإسلام.

الآثار السلبية التي ترتبت على هذا القول:

قبل بيان هذه الآثار، أحب أن أشير -تأدباً مع أهل العلم- أن كثيراً من أهل العلم الذين انتصروا لهذا القول، وذهبوا إليه؛ إنما ساقهم إليه اجتهادهم ونظرهم في النصوص -التي أوردنا بعضها آنفاً-، وما كانوا يقصدون إيقاع الناس فيما وقعوا فيه مما سنبينه، وهذا لا ينفي أن يكون بعض الكُتَّاب الذين قالوا بذلك إنما صدروا في قولهم عن هوىً، وتكلموا بغير علم وفقه في النصوص.

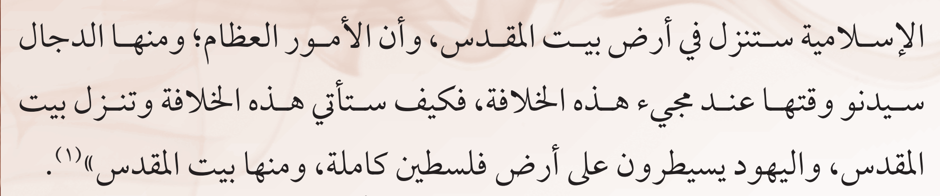
إن هذا القول قد ورَّث كثيراً من الناس جبرية قاتلة في النظر إلى واقعهم، وسبيل الفكاك والخلاص منه؛ وذلك لاعتقادهم أن الإسلام لن ينتصر، ودولته لن تقوم إلا بظهور المهدي، فدبَّ في قلوبهم الوهَن، وراحوا يثبطون الناس عن العمل لدين الله، والجهاد في سبيله؛ بدعوى أن المهدي قادم، وسيكفينا مؤنة ذلك، وفي استعراض بعض أقوال أهل العلم الآتية مزيد بيان وإيضاح لذلك.

الثاني: ويرى بعض أهل العلم أن ثمة خلافة إسلامية ستقوم في بلاد الشام، ويسعد بها أهل الإسلام قبل ظهور المهدي عليه السلام، ومما استدلوا به ما يلي:

- حديث عبد الله بن حوالة، وفيه: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ: إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[1].

قال إبراهيم العلي: «فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن دولة الخلافة

١- سبق تخريجه (ص٢٤٠-٢٤١).



الإسلامية ستنزل في أرض بيت المقدس، وأن الأمور العظام؛ ومنها الدجال سيدنو وقتها عند مجيء هذه الخلافة، فكيف ستأتي هذه الخلافة وتنزل بيت المقدس، واليهود يسيطرون على أرض فلسطين كاملة، ومنها بيت المقدس»[1].

- حديث معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»[2].

والحديث فيه إشارة إلى أن عمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه[3]، وهذا يستلزم تحريره من أيدي اليهود، ويكون ذلك في مرحلة القتال الأولى التي أشرنا إليها في المبحث السابق، وهي بالطبع قبل ظهور المهدي.

وهذان الحديثان ذكرهما الشيخ حمود التويجري في إتحاف الجماعة، تحت «باب ما جاء في عمارة بيت المقدس ورجوع الخلافة إليه»[4]، ثم ذكر أحاديث المهدي؛ إشارة منه إلى أن الخلافة تكون قبل ظهور المهدي.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا لاَ يَعُدُّهُ عَدَدًا»[5].

وهذا الحديث ليس صريحاً في ذكر المهدي، ولكن أشار بعض أهل العلم إلى أن الخليفة المراد بالحديث: المهدي.

١- الأرض المقدسة (ص١٦٩).

٢- سبق تخريجه (ص١٨٠).

٣- انظر: فقه أشراط الساعة (ص٢٢٨)، والأرض المقدسة (ص١٦٩).

٤- (٢/ ١٧٨).

٥- مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ص١١٦٨)، رقم (٢٩١٤) قال: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ (يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ) (ح)، وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ (يَعْنِي ابْنَ عُلَيَّةَ)، كِلاَهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ بِهِ.

قال المناوي في فيض القدير بعد ذكر الحديث: «قالوا: هو المهدي»[1].

وقال الشيخ الألباني معلقاً على الحديث في صحيح الجامع الصغير: «وهو المهدي المبشر بخروجه بين يدي عيسى عليه السلام»[2].

وذكر الهيثمي الحديث –من رواية جابر– في مجمع الزوائد[3]، ضمن الأحاديث التي ذكرها في: باب ما جاء في المهدي.

وهذا هو الظاهر من الحديث، فإذا كان ذلك كذلك؛ فإن الحديث يبين أن هذا الخليفة المهدي هو واحد ضمن سلسلة خلفاء من هذه الأمة يسبقونه، يحكمون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[4].

وفي تقرير عودة الخلافة قبل ظهور المهدي يقول الشيخ الألباني: «واعلم يا أخي المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم،

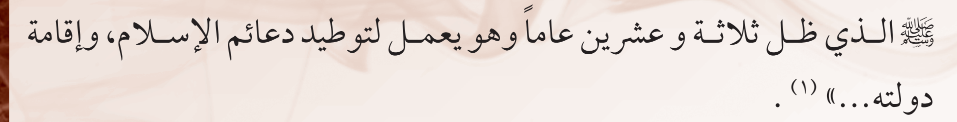
وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل على العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد

١- (٦/ ٢٢).

٢- (٢/ ١٠٢٧).

٣- (٧/ ٦١٥).

٤- انظر: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة (ص٩٤).



ﷺ الـذي ظـل ثلاثـة و عشرين عاماً وهو يعمـل لتوطيد دعائم الإسـلام، وإقامة دولته...»[1].

ويقول أيضاً: «لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض انتظاراً منهم لخروج المهدي، ونزول عيسـى عليه السلام؛ يأساً منهم، أو توهمـاً أن ذلـك غير ممكـن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويـأس عاطل، فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهـما، فمـن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما، إذا أخذ المسـلمون بالأسـباب الموجبـة لذلـك؛ لقولـه تعـالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]»[4].

وقـد ذكر كل من: الدكتور سـعد عاشـور، والدكتور نسـيم ياسـين في بحثهما المعنـون له بـ (الخلافة الإسـلامية وإمكانية عودتها قبل ظهـور المهدي عليه السلام): «أن كثيراً من المسـلمين قد أخطـؤوا وضلوا الطريق الشرعي الصحيـح، فظنوا جهلاً أو خطأً أن الخلافة غابت ولن تقوم مرة أخرى إلا بظهور المهدي عليه السلام، فجاء هذا البحـث ليثبـت أن الخلافـة كائنة بظهور المهـدي عليه السلام، ويمكن قيامهـا قبل ظهور المهدي إن وُجد المسلمون، وعملوا بأسباب النصر والتمكين»[5].

وأنبه في خاتمة هذا المبحث إلى أن القول بقيام خلافة إسلامية راشدة قبل ظهور المهـدي عليه السلام قـد هدت وأرشـدت إليه النصـوص، وليس ردَّةَ فعلٍ تجـاه قول من قال بعدم قيامها إلا بعد ظهوره؛ فنتج عن هذا من الآثار ما ذكرناه آنفاً، وللشـيخ

١- السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٢)، رقم (١٥٢٩).

٢- سورة محمد، آية (٧).

٣- سورة الحج، آية (٤٠).

٤- قصـة المسـيح الدجـال (ص٣٦)، وانظـر: مقـالات في المنهج (مقالـة: الانتظار عقـدة أم عقيدة (ص١٢٢-١٢٥، وص١٤٣-١٥١) لسلمان العودة ففيه كلام نافع.

٥- (ص٤).

رفاعـي سرور كلمة في غايـة الأهمية، يقول فيها مبيناً ذلـك، وموضحاً إياه: «ومما يجـب الانتباه إليه هو ثبوت قيام خلافة إسـلامية قبـل ظهور المهدي، وثبوت هذه الخلافة في ذاته هو أساس التنبيه، بصرف النظر عن الآثار النفسية المترتبة على قيام الخلافة قبل ظهور المهدي، أو قيامها بظهوره.

وعـلى الرغم مـن الفارق الهائـل في الأثر بـين الأمرين، فإن الثبـوت هو الأمر الذي يهم، ومما لا شـك فيه أن إحسـاس أصحاب الدعوة بسبق الخلافة للمهدي سيعمق من الإحساس بالمسئولية عنها، والإعداد لها، وتهيئة الواقع لإقامتها، وأن الإحساس بقيام الخلافة بالمهدي قد يحدث نوعاً من ضعف المسئولية عنها، ولكن الأصـل والصواب ألا يكـون هناك هذا الفرق؛ لأن إقامـة الخلافة في الحالتين لن تكون إلا بقدر الله، وإن إقامتها في الحالتين أيضاً سيتطلب الالتزام بتحقيق أسباب قدرية هي واحدة في كلا الاحتمالين.

ومـا يجـب الانتباه إليه أيضـاً أن الخلافة قبل المهدي بـإذن الله لن تكون ظاهرة عابرة، بل إن الأدلة تثبت استقرارها في الواقع بصورة مكررة، تحقق استقرار صفة الدوام والبقاء»[1].

١- علامات الساعة دراسة تحليلية (ص٤٧-٤٨).



المبحث السادس
اجتماع المؤمنين في آخر الزمان بالشام

سبق الحديث عن الوصية بسكنى الشام والهجرة إليها في المبحث الثالث من الفصل الأول، وذكرنا هناك أحاديث عبد الله بن حوالة، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وقرة بن إياس، وزائدة بن حوالة، وأبي الدرداء.

وفي هذا المبحث سنتعرض لأمارة من أمارات الساعة؛ وهي اجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان في بلاد الشام، ومما جاء في ذلك:

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَحَوَّلَ خِيَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَيَتَحَوَّلَ شِرَارُ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»[1].

١- أحمد (٣٦/ ٤٦١)، رقم(٢٢١٤٥) قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن الجريري، عن أبي المشاء به.

- عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث، وثقه ابن سعد، والحاكم. وقال علي بن المديني: ثبت في شعبة، وقال ابن قانع: ثقة يخطئ، وذكره ابن حبان في الثقات.
- وقال أبو حاتم، وأبو أحمد الحاكم: صدوق، صالح الحديث.
- وقال ابن حجر: صدوق، ثبت في شعبة، وهو كما قال، ولم يُصِب صاحبا التحرير في إطلاق القول بتوثيقه، والله تعالى أعلم. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٠٠)، والتعديل والتجريح (٢/ ٩٢٠)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٢٩)، وتقريب التهذيب (ص٦١٠)، وتحرير التقريب (٢/ ٣٦٤).
- وحماد: هو ابن سلمة البصري، ثقة. تقدم (ص١١٧).
- والجريري: هو سعيد بن إياس، ثقة، اختلط قبل موته بثلاث سنين، وحماد روى عنه قبل الاختلاط. انظر: تقريب التهذيب (ص٣٧٤)، والكواكب النيرات (ص٣٥).
- ولقيط بن المشاء: هو أبو المشاء الباهلي، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: يخطئ ويخالف، روى عنه:

- وعن شرحبيل بن مسلم[1] عن أبيه قال: «بلغنا أن لن تقوم الساعة حتى يخرج خيار أهل العراق إلى الشام، وشرار أهل الشام من الشام إلى العراق، فأكره أن يدركني أجلي وأنا بالعراق»[2].

وهذا التحول «إلى الشام يكون على وجه ظاهر في أتون الفتنة، وشدتها، وانتشارها في أقطار الأرض»[3]، فحينها يُهرع أهل العراق إلى بلاد الشام فارين إلى معقل الإيمان؛ ليتحقق ما أخبر به النبي ﷺ من أن الأمن والإيمان عند وقوع الفتن ببلاد الشام.

وهذا الأمر ليس مقتصراً على أهل العراق، بل إن أهل الإيمان كلهم ينفرون في آخر الزمان إلى الشام.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام»[4].

الجريري، وقرة بن خالد. انظر: الجرح والتعديل (٧/ ١٧٧)، والثقات (٥/ ٣٤٤)، وتعجيل المنفعة (ص٥٩٤).

- تنبيه: حُرِّف اسم لُقيط بن المشاء في الثقات إلى: لُقيط بن المثنى الباهلي أبو المثنى، وذكره كذلك: ابن عبد الهادي في فضائل الشام (ص٢٣)، ووقع عند ابن رجب في فضائل الشام (ص١٧٩): أبو المثناء.

- فهذا إسناد جيد، سوى ما فيه من خطأ ومخالفة أبي المشاء، والحديث صحيح له شواهد تدل على صحته، ستأتي إن شاء الله.

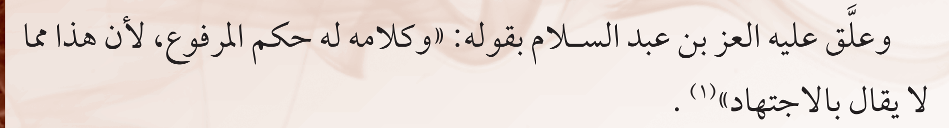
- وقال التويجري: إسناده حسن. إتحاف الجماعة (٢/ ١٧٩).

١- هو: ابن مسلم بن حامد، الخولاني الشامي، أصله من اليمن، وعداده في أهل الشام، أدرك خمسة من أصحاب النبي ﷺ، روى عن أبيه، وعن أبي أمامة، وأبي عنبة الخولاني، وغيرهم، وروى عنه أهل الشام. الثقات (٤/ ٣٦٣)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٦١٥).

٢- تاريخ دمشق (١/ ٣١٦) وجوَّد إسناده مشهور حسن في: العراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ٤٦٠).

٣- العراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ٤٦١).

٤- عبد الرزاق في "المصنف" (١١/ ٣٧٣)، رقم (٢٠٧٧٨) واللفظ له، عن معمر، وابن المبارك،



وعلَّق عليه العز بن عبد السلام بقوله: «وكلامه له حكم المرفوع، لأن هذا مما لا يقال بالاجتهاد»[1].

ومما ينبغي أن يُلتفت إليه أن ابن المبارك أخرج هذا الأثر في كتاب الجهاد، وكذلك ابن أبي شيبة أخرجه في "باب ما ورد في فضل الجهاد"، كأنهما يريان أن هذا التحول إنما يكون عند الملاحم التي يخوضها أهل الشام في آخر الزمان فينحاز إليهم عند خوضها أهل الإسلام، وهذا لا ينافي ما ذكرناه سابقاً من وقوع هذا التحول عند اشتداد الفتنة وضراوتها، فإن الفتن عندما تشتد لا تُدفع إلا بمصاولة الكفار ومدافعتهم.

ويؤيده أثرٌ عن حذيفة رضي الله عنه، قال: «ليأتين على الناس زمان، يكون للرجل أحمرة يحمل عليها إلى الشام، أحب إليه من عرض الدنيا»[2].

كتاب الجهاد (ص١٥٢)، رقم (١٩٣)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤/ ٢١٧)، رقم (١٩٤٤٥)، و تاريخ دمشق (١/ ٣١٥) كلهم من طريق سفيان؛ كلاهما عن الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمن به، ومعمر: هو ابن راشد، تكلم ابن معين في روايته عن العراقيين والكوفيين والبصريين، وقال: لم يعمل في حديث الأعمش شيئاً. انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٢٨٤). فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.

١- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام (ص٣٧).

٢- ابن أبي شيبة (٧/ ٤٩٩)، رقم (٣٧٢٧٢) قال: حدثنا إسحاق بن منصور، عن عبد الله بن عمرو ابن مرة، عن أبيه، عن أبي عبيدة به. ووقع عند ابن أبي شيبة (نسخة عوامة): "أحب إليه من عَرَضٍ من عَرَضِ الدنيا".

- إسحاق بن منصور: هو السَّلولي، قال ابن معين: لا بأس به، وهذا في الأغلب توثيق من ابن معين كما هو معلوم عند أهل الحديث.
- وقال العجلي: ثقة، كان فيه تشيع، وقد كتبت عنه.
- وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن حجر: صدوق، تكلم فيه للتشيع.
- قال الباحث: الظاهر خلافه، فهو ثقة، ولم يتكلم فيه غير العجلي، وكلامه ليس بجرح إذ إن ظاهره يدل على أنه رجع عن تشيعه.
- انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٢٣٤)، ومعرفة الثقات (١/ ٢٢٠)، والثقات (٨/ ١١٢)، وتقريب التهذيب (ص١٣٢).

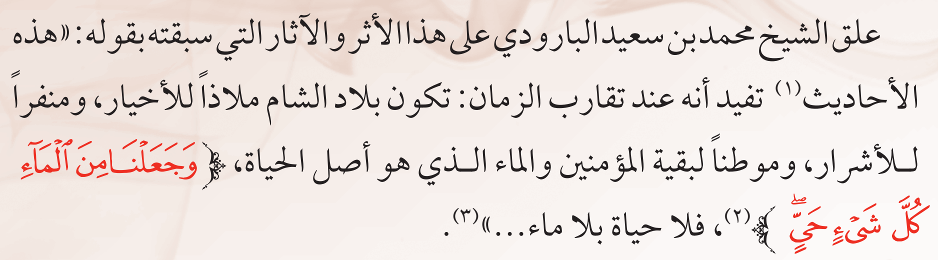
- وعن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال عبد الله: «يوشك أن تطلبوا في قراكم[1] هذه طستاً من ماء، فلا تجدونه، ينزوي كل ماء إلى عنصره، فيكون في الشام بقية المؤمنين والماء»[2].

- وعبد الله بن عمرو بن مرة: هو المرادي، قال ابن معين وأبو حاتم: لا بأس به.
- ووثقه أبو أحمد الحاكم، وذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه النسائي والعقيلي.
- وقال ابن حجر: صدوق يخطئ.
- قال صاحبا التحرير: بل صدوق، حسن الحديث... وإنما قال ابن حجر: يخطئ -والله أعلم-؛ لقول العقيلي عن عبد الرحمن بن مهدي: إنه أخطأ في حديث واحد؛ هو حديث: الإيلاء في الغضب والرضا.
- انظر: الجرح والتعديل (٥/ ١١٩)، والثقات (٧/ ٤٩)، وضعفاء العقيلي (٢/ ٢٨٣)، وتهذيب التهذيب (٤/ ٤١٨)، وتقريب التهذيب (ص٧٤٥)، وتحرير التقريب (٢/ ٢٤٥).
- والذي يراه الباحث أنه صدوق.
- وعمرو بن مرة: ثقة. تقريب التهذيب (ص٧٤٥).
- أبو عبيدة: هو ابن حذيفة بن اليمان، يعرف بكنيته، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه جمع من الثقات، ولا يعلم فيه جرح، فمثله يحتمل تحسين حديثه. تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٢).
- فهذا إسناد حسن إن شاء الله، وتشهد له الآثار التي ذكرناها.

١- هكذا وقعت عند الحاكم، والصواب: قراكم، ويؤكده سياق رواية عبد الرزاق، وروايات= ابن عساكر، وغيرها، ونبه على هذا: مشهور حسن في: العراق في أحاديث وآثار الفتن (١/ ٤٦٤).

٢- إسناده: حدثنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن بالويه، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان (ابن عيينة)، حدثني المسعودي، عن القاسم...

- عبد الرزاق (١١/ ٣٧٣)، رقم (٢٠٧٧٩)، والحاكم (٨/ ٣٠٤١)، رقم (٨٥٣٨) واللفظ له، وابن عساكر (١/ ٣١٥-٣١٦)، من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه به، وجاء عند عبد الرزاق منقطعاً؛ من طريق القاسم بن عبد الرحمن، قال: " شكي إلى ابن مسعود الفرات،
- فقالوا: نخاف أن ينفتق علينا، فلو أرسلت من يُسكِّرُه، فقال عبد الله: " لا نسكرُه، فوالله ليأتين على الناس زمان لو التمستم فيه ملء طست من ماء ما وجدتموه، وليرجعن كل ماء إلى عنصره، ويكون بقية الماء والمسلمين بالشام ".
- المسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، ثقة، اختلط قبل موته بسنة أو سنتين، ورواية سفيان عنه قبل الاختلاط. انظر: الاغتباط بمن رمي بالاختلاط (ص٢٠٥) لسبط ابن العجمي، وتهذيب التهذيب (٥/ ١٢١)، والكواكب النيرات (ص٥٤).



علق الشيخ محمد بن سعيد البارودي على هذا الأثر والآثار التي سبقته بقوله: «هذه الأحاديث[١] تفيد أنه عند تقارب الزمان: تكون بلاد الشام ملاذاً للأخيار، ومنفراً للأشرار، وموطناً لبقية المؤمنين والماء الذي هو أصل الحياة، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٢]، فلا حياة بلا ماء...»[٣].

وهذا الحديث فيه إشارة إلى انحسار الفرات، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»[٤].

قال الشيخ مشهور حسن سلمان: «وهذا الانحسار يكون قبل المهدي؛ بدلالة ما ثبت عن علي قال: "الفتن أربعة: فتنة السرَّاء، وفتنة الضرَّاء، وفتنة كذا، فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجل من عِترة النبي ﷺ يصلح الله على يديه أمرهم"[٥]؛ فهذا الانحسار -أيضاً- يكون قبل المهدي، ويؤكد هذا ما ثبت عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه...» ثم ذكر حديث ابن مسعود، وعقَّب عليه بقوله:

- والقاسم بن عبد الرحمن: بن عبد الله بن مسعود، ثقة عابد. تقريب التهذيب (ص٧٩٢).
- وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: ثقة. تقريب التهذيب (ص٥٨٧).
- فهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.
- قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، وقال الألباني في الصحيحة (٧/ ١/ ٢١٠): وهو كما قالا.

١- وهي في الحقيقة آثار، وبعض أهل العلم يسميها -تجوزاً-: أحاديث.

٢- سورة الأنبياء، آية (٣٠).

٣- بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة (ص٢١).

٤- البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار (ص١٣٥٩)، رقم (٧١١٩) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب (ص١١٦٠)، رقم (٢٨٩٤) بمثله، كلاهما من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم في الكتاب والباب السابقين، رقم (٢٨٩٤)، وفيه: "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات..."، وطوَّل النفس في تخريج هذا الحديث، وبيان معانيه: الشيخ مشهور حسن في: العراق في أحاديث وآثار الفتن (٢/ ٥٢٠-٥٧٤).

٥- سبق تخريجه (ص١٧٠).

«والشاهد قوله: ويكون بقية المؤمنين بالشام؛ فعند الانحسار يكون بقية المؤمنين في الشام، وتبدأ الملاحم من هنا، فهذه كلها: إرهاصات ومقدمات»[1].

وقد سبق ذكر حديث ثوبان رضي الله عنه في الرايات السود، قال صلى الله عليه وسلم:(يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقتلْهُ قوم) ثم ذكر شيئاً لا أحفظه. فقال: (فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي)[2]، وبيَّنَّا هناك أن هذا الكنز: هو كنز الفرات، ومما يحسن إيراده هنا -زيادة في البيان- ما قاله ابن حجر عند شرحه حديث أبي هريرة في انحسار الفرات، حيث أورد حديث ثوبان، وقال معقباً: «فهذا إن كان المراد بالكنز فيه: الكنز الذي في حديث الباب، دل على أن ذلك إنما يقع عند ظهور المهدي»[3].

وهذا الانحسار كأن بوادره قد بدت؛ "فإن الدولة التركية تبني اليوم على نهر الفرات سداً عظيماً باسم أتاتورك الهالك، وهو من أضخم السدود في العالم، ولعلها تهدد بعض الدول بقطع المياه عنها به، وفي هذا إرهاص لانحسار مياه هذا النهر. والله أعلم"[4].

وللشيخ مشهور حسن سلمان كلام مهم في ذلك، حيث أورد الكلام الذي ذكرناه آنفاً، وقال معقباً عليه: "ومما ينبغي أن يذكر هنا:

أولاً: أن نهر الفرات يبلغ طوله (٢٩٩٠) كم، يمتد منها (١٢٢٠) كم عبر الأراضي التركية؛ أي: حوالي (٤٠,٨) في المائة من طول النهر، و(٧١٠) كم عبر الأراضي السورية؛ أي: حوالي (٢٣,٧) في المائة، و(١٠٦٠) كم عبر الأراضي

١- مستقبل الإسلام في بلاد الشام (ص٥١).

٢- سبق تخريجه (ص١٦٩).

٣- فتح الباري (١٣/ ١٠٢).

٤- موسوعة أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين (ص١٧٧ حاشية).

العراقية؛ أي: حوالي (٤, ٣٠) في المائة....

خامساً: هنالك صراعات مستمرة تظهر وتختفي بين دول المصّب ودول المنبع (تركيا) بشأن المياه وكمياتها التي سوف تستخدم، مما له تعلق بالمصالح المادية، ولما له من آثار إيجابية على النظام الاقتصادي في الدول المعنية، ولا سيما أن هناك عجزاً مائياً مستمراً يصل إلى (٥,٨٠) بليون متر مكعب سنوياً من نهر الفرات، وهذا يهدد النهر بالجفاف والنشاف، وأخبرني غير واحد من إخواننا العراقيين أنهم باستطاعتهم قطع نهر الفرات في بعض المناطق مشياً على أرجلهم من قلة مائه، مما يؤذن بانحساره، ولله في خلقه شؤون"[1].

١- العراق في أحاديث وآثار الفتن (٢/ ٥٥٠-٥٥١)، وانظر: كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن (ص١٦٢-١٦٤) لمحمود رجب الوليد حيث ذكر بعض الحقائق الواقعية والسياسية المهمة في هذا الصدد.



الفَصْلُ الرَّابِعُ

أَشْرَاطُ السَّاعَةِ الكُبْرَى الوَاقِعَةِ فِيْ بِلَادِ الشَّام

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: خُـرُوجُ الـدَّجَّال وَنُـزُولُ عِيْسَى عليه السلام وَقَتلُهُ إِيَّـاهُ فِي بِـلاد الشَّامِ.

المبحث الثاني: خُــرُوجُ يَــأْجُـوج وَمَـأْجُـوج وَهَـلَاكُـهُـم فِيْ بِــلاد الـشَّـامِ.

المبحث الثالث: هُبُوبُ رِيْـحِ مِنَ الشَّام تَقْبِضُ أَرْوَاحَ المؤمنِينَ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

المبحث الرابع: حَشْرُ النَّاسِ إِلَـى بِـلادِ الشَّامِ.





المبحث الأول

خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه في بلاد الشام

كانت النية متجهة إلى فصل ما يتعلق بخروج الدجال عن نزول عيسى عليه السلام، ودراسة كل موضوع منهما على حدة، ولكن بعد الدراسة والنظر في النصوص؛ بان لي أن الأفضل دمج المبحثين في مبحث واحد؛ لقوة التداخل بينهما، وتشابك الأحداث المتعلقة بهما، وعدم انفكاك أي منهما عن الآخر.

والمتأمل في النصوص الواردة في ذلك؛ يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفصح في جملة وافرة منها عن هذا الترابط؛ فهو يذكر الدجال وفتنته، ثم يتبعه بذكر عيسى عليه السلام، فما أن يُذكر مسيح الضلالة إلا ويُذكر مسيح الهداية عليه السلام؛ قاتلاً إياه، ومخلصاً الأمة من شره.

والمعروف عند أهل العلم أن الدجال يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام[1]، فعيسى عليه السلام -كما قدمنا- ينزل للقضاء على الدجال؛ ولذلك سأبدأ في الحديث عن الدجال، وذكرُ عيسى عليه السلام يأتي في سياق الحديث عن هلكة الدجال، والقضاء على فتنته، وفي غير ذلك من المواضع التي تتعلق به عليه السلام، ولن أتوسع هنا في ذكر صفات الدجال، وأحواله، وأتباعه، وألوان فتنته، وصنوف خبثه ومكره، ولا كذلك في أخبار عيسى عليه السلام، وأحواله؛ فهذا معروف مشهور في كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، والعقائد، وغيرها، وأفرده غير واحد من أهل العلم بالتصنيف[2].

١- انظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (ص٧٨).

٢- الكتب التي أفردت للحديث عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كثيرة؛ منها -على سبيل

ولكن سأقتصر على ذكر ما له تعلق وارتباط ببلاد الشام؛ معقل أهل الإيمان في آخر الزمان، وموطن عيسى ﷺ، ومقبرة الدجال وشيعته من اليهود وغيرهم، كما سيأتي بيانه في ثنايا هذا المبحث إن شاء الله.

علامات ودلائل خروج الدجال:

علامات خروجه كثيرة[1]، أقتصر منها على علامتين لهما ارتباط بهذا المبحث؛ وهما:

١- الملحمة الكبرى وغزو بلاد الروم[2]: ودليل هذه العلامة حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»[3].

وقد ربط النبي ﷺ بين غزو الروم، وخروج الدجال؛ فعن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: حفظت من النبي ﷺ أربع كلمات، قال: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ،

المثال لا الحصر-: نزول عيسى في آخر الزمان للسيوطي، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي، وإقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان لحمود التويجري، وعقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام لعبد الله الغماري، وقصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه للألباني (وهو كتاب نافع غايةً؛ حشد فيه الشيخ جمهرة من الأحاديث الصحيحة، وعلق على بعضها تعليقات نافعة،

- وردَّ في مقدمته على بعض أهل العلم، وأهل الأهواء؛ الذين طعنوا في أحاديث الدجال والمسيح عليه السلام؛ فردُّوها، أو أولوها تأويلات تشابه تأويلات الباطنية الغُلاة)؛ تركي العبدلي،

- نهاية التاريخ لتركي العبدلي (وهو كتاب نافع جداً، ومن أهم الدراسات الجادة فيما يتعلق بالدجال؛ دراسة، وتحليلاً، وردًّا للطعون والشُّبَه التي أثيرت حول أحاديث الدجال، سيما حديث فاطمة بنت قيس، وهو حديث الجسَّاسَة، حيث خصص الباب الثاني في الرد على الشُّبه التي أثيرت حوله).

١- انظرها مفصلة في: نهاية التاريخ (ص٢١-٤٩).

٢- انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٢٧٧)، والنهاية في الفتن والملاحم (ص١١٥)، وفتح الباري (١٣/ ١١٤).

٣- سبق تخريجه (ص١٨٠).



ثُـمَّ فَـارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُـمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ»[1].

٢- العلامـات التي تضمنها حديث الجسَّاسـة: وهي أكثر مـن علامة متضمَّنة في حديث فاطمـة بنت قيس الطويـل في خبر الدجـال، والذي يرويـه النبي ﷺ عن تميم الداري، والشـاهد من الحديث: «... أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَـانَ[2]، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَـأْنِهَا تَسْـتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْـأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَـلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَـمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّـهُ يُوشِـكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَـنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ[3]، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَـأْنِهَا تَسْـتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِـكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[4]، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَـلْ فِي الْعَـيْنِ مَاءٌ؟ وَهَـلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِـمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَـا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِـيرَةُ الْمَاءِ،

١- سبق تخريجه (ص١٨١).

٢- بَيسـان -بالفتح، ثم السـكون، ثم سـين مهملة-: من أقدم مدن فلسـطين، توصف بكثرة النخل، وتقـع في الغور الشـمالي، عـلى نهر جالوت الـذي يجري في مرج ابـن عامر، ويصـب في نهر الأردن، تبعـد عـن القدس ١٢٧كم، وعـن نابلس ٣٦كم، وعن جنين ٣٣كم، من أوائل المدن التي فتحها الصحابة رضي الله عنهم سنة ١٣هـ، احتلها اليهود في ١٢/ ٥/ ١٩٤٨م، وطردوا سكانها العرب ودمروها، ثم أعادوا بنائها واسـتوطنوها، وأسـموها: بيت شـان. انظر: معجم البلدان (١/ ٦٢٥)، ومعجم بلدان فلسطين (ص٢١٧)، وأطلس الحديث النبوي (ص٨٧).

٣- طبرية: بحيرة ومدينة في شـمال شرق فلسـطين، فتحها شُرَحبيل بن حَسَـنَة سنة ١٣هـ، وهي جزء من مجرى نهر الأردن، تقع على مسـيرة ٤٣كم من البحر المتوسـط، وطولها ٢١كم، وأوسـع عرض لهـا ١٢كم، وأعمق نقطة في شـمالها ٤٥كم، تنخفض عن مسـتوى البحـر ٢١٢م، وقد يطلق عليها: بحـر الجليـل؛ لوقوعها في الطرف الشرقي لإقليـم الجليل، وتُعد بحيرة طبرية من أجمل المشـاهد في فلسطين.

- انظـر: معجم البلـدان (٤/ ٢٠)، ومعجـم بلـدان فلسـطين (ص٤٩٨-٤٩٩)، وأطلس الحديث النبوي (ص٢٤٦).

٤- زُغَر: بلدة أثرية، تقع على شـاطئ البحر الميت الجنوبي الشرقي، وهي الآن: موقع الشـيخ عيسـى. انظـر: معجم البلـدان (٣/ ١٦١)، ومعجم بلدان فلسـطين (ص٤٣١)، وأطلس الحديث النبوي (ص٢٨٢).

وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ...»[1].

وهذا الحديث فيه إشارة إلى القحط والجوع الذي يصحب خروج الدجال، ويشير إلى أن أهل الشام يصيبهم الحظ الأوفى من ذلك، ولعل هذا ابتلاءٌ من الله تعالى، وتهيئةٌ لأهل الشام للمرحلة القادمة التي يقاتلون فيها الدجال وشيعته.

ومما يشار إليه هنا: أن بحيرة طبرية « تواجه الآن نقصاً كبيراً في منسوب المياه، حيث صرح إسحاق جال – من الهيئة المشرفة على البحيرة– قائلاً: إن منسوب المياه في بحيرة طبرية قد تناقص بشكل حاد، وقد وصل مستوى المياه في البحيرة في الصيف إلى حد خطير، قد يجعل المياه المالحة تلحق أضراراً بالبحيرة، وبيئتها، وروافدها في الوقت الذي يزداد فيه الطلب على المياه»[2].

أما نخل بيسان؛ فإن ياقوت الحموي يقول: «وقد رأيتها مراراً، فلم أر فيها إلا نخلتين حائلتين، وهو من علامات خروج الدجال»[3].

ولعل هذا من إرهاصات خروج الدجال، والله تعالى أعلم.

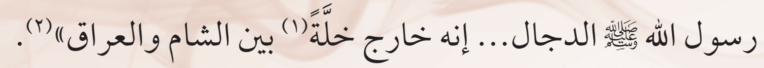
مخرج الدجال ومسيره في الأرض:

جاء في حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال أنه قال: «ذكر

١- مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجسّاسة (ص١١٨١)، رقم (٢٩٤٢) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ (وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ)، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ به.

٢- انظر: نهاية التاريخ (ص٤٨).

٣- معجم البلدان (١/ ٦٢٥).



رسول الله ﷺ الدجال... إنه خارج خلَّةً[1] بين الشام والعراق»[2].

- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ، قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق؛ يُقال لها: خراسان[3]، يتبعه قوم كأنهم وجوههم المَجَان المُطْرَقة[4]»[5].

١- خَلَّة -بفتح الخاء-: الطريق بين البلدين، ووقعت في بعض الروايات: حَلَّة -بفتح الحاء، وتشديد اللام، ونصب التاء من غير تنوين- (وهي كذلك في: إكمال المعلم، والمفهم)، والمراد: سمت ذلك وقُبَالته. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٦٩)، وإكمال المعلم (٨/ ٤٨٣)، والمفهم (٧/ ٢٧٨).

٢- مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ص١١٧٧)، رقم (٢٩٣٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْب، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْن جابر، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِر الطائِيُّ قَاضِي حِمْصَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْر، عَنْ أَبِيه جُبَيْرِ بْن نُفَيْر الْحَضْرَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلابِيَّ (ح)، وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ به.

- الوليد بن مسلم: ثقة، يدلس ويسوي، وصرح هنا بالسماع، وكذلك شيخه وشيخ شيخه.

٣- خَراسان: بلاد واسعة، تشتمل على أمهات من البلاد؛ منها: نيسابور، وهراة، ومرو (وهي حاضرتها القديمة)، وبلخ، ونسا، وسَرَخْس، وما يتخلل ذلك من المدن التي هي دون نهر جيحون، وهي اليوم: قسم منها في شمال شرق إيران، وقسم منها في أفغانستان الشمالية الغربية، وتركمانستان. انظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠١)، وأطلس الحديث النبوي (ص١٦٠).

٤- أما المَجان -بفتح الميم، وتشديد النون-: فجمع مِجَن؛ وهو التِّرْس، والمُطْرقة -بسكون الطاء، وفتح الراء-: التي أُلبِسَت العَقَب شيئاً فوق شيء، فصار المعنى: التِّراس التي أُلْبِسَت العَقَب، وأُطرقت به طاقة فوق طاقة، والمراد من ذلك: تشبيه وجوه الترك في عرضها، وتنور وجناتها بالتراس المطرقة. انظر: المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٣٧١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٥٦٢)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٤٤).

٥- الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء من أين يخرج الدجال (ص٥٠٥)، رقم (٢٢٣٧) واللفظ له، عن محمد بن بشار، وأحمد بن منيع، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (ص٦٧٣)، رقم (٤٠٧٢) بنحوه، عن نصر بن علي الجهضمي، ومحمد بن بشار، ومحمد بن المثنى، وأحمد (١/ ١٩٠)، رقم (١٢) بنحوه، خمستهم من طريق روح بن عبادة، قال: حدثنا سعيد بن أبي

- وجـاء في حديـث فاطمـة بنت قيـس -الذي مرَّ معنـا قريباً- أنه يخـرج من قِبَل المشرق، وفيه: «... أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّام، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لاَ؛ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ[1]». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ»[2].

الجمع بين الروايات:

الـذي يظهر أن الدجال يخرج من خراسـان من قِبَـل المشرق، كما هو مصرح به مـن حديث أبي بكـر، وفاطمة بنت قيـس، وغير ذلك من الأحاديث التي سـتأتي معنا في ثنايا هذا المبحث، وأما ما جاء في حديث النوَّاس بن سمعان أنه يخرج خلَّة بين العراق والشـام، فلعل المـراد بذلك: أن أمره يظهر، وخـبره ينتشر بين العراق والشام.

قـال القرطبي: «ووجه الجمع بـين هذا (أي حديث أبي بكر)، والذي قبله (أي حديث النواس بن سـمعان): أن مبتدأ خروج الدجال من خراسـان، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام، والله تعالى أعلم»[3].

وأمـا ما ورد عن أنس رضي الله عنه، أن الرسـول صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ الدَّجَّـالُ مِنْ يَهُودِيَّة

عَرُوبة، عن أبي التَّيَّاح، عن المغيرة بن سُبَيع، عن عمرو بن حُرَيث به.

- أبو التيَّاح: هو يزيد بن حُميد الضُّبَعِي.

- وهذا إسـناد رجاله ثقات، وسـعيد بن أبي عَروبـة: ثقة، متهم بالتدليـس والاختلاط. انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٥٤)، وطبقات المدلسين (ص٥٠)، والكواكب النيرات (ص٣٧).

- أمـا التدليـس: فمدفـوع بأن تدليسـه محتمـل، ولذلك ذكـره ابن حجـر في المرتبـة الثانيـة من مراتب المدلسين. وأما الاختلاط: فإن رواية روح بن عبادة عنه قبل الاختلاط، وحديثه عنه صالح،

- كما بينه غير واحد من أهل العلم. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٤٩٨)، والكواكـب النيرات (ص٣٧)، وأثر اختلاط سعيد بن أبي عروبة على مروياته في الكتب الستة (ص١١-١٢).

١- لفظـة "مـا هـو": زائدة، وليسـت نافية، والمـراد: إثبات أنه في جهـات المشرق. انظـر: إكمال المُعلم (٨/ ٥٠٣)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٨٤).

٢- سبق تخريجه (ص٢٦٧).

٣- المفهم (٧/ ٢٧٩)، وانظر: فتح الباري (١١/ ١١٤).



أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ السيجان [1]»[2].

فهـذا الحديـث لم يثبـت، وهو معتمد من قال مـن أهل العلم: إن خـروج الدجال يكـون مـن أصبهـان، والذي صحَّ عن أنس ﵁: أن رسـول الله ﷺ قـال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة»[3].

وبضم حديث أنس مع ما سبق من الأحاديث التي صحت في مخرج الدجال؛ يظهر لنا أن الدجال حين يخرج من خراسان يتجه إلى أصبهان؛ حيث شيعته وجنده من اليهود ينتظرونه هناك؛ فيتبعونه، ثم يسـير حتى يشتهر أمره وخبره بين العراق والشـام، ثم يولي وجهه شـطر المدينة، فيرده الله خاسئاً، وتحمى الملائكة المدينة من فتنتـه وشره، ويخزيـه الله، ويفضح أمـره، ويظهر كذبَه، وجَدَله على يد شـاب من المدينة؛ من أولياء الله تبارك وتعالى.

- جاء في حديث فاطمة بنت قيس ﵂: «... إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً،

١- السِّـيجان: جمع سـاج، وهو الطيلسان؛ ضرب من الأوشـحة؛ يُلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٥٨).

٢- أحمـد (٢١/ ٥٦)، رقـم (٣٣٤٤)، ومن طريقه: أبو يعـلى (٦/ ٣١٧)، رقم (٣٦٣٩)، والطبراني (٥/ ١٥٦)، رقـم (٤٩٣٠) قـال: حَدَّثَنَـا مُحَمَّـدُ بْنُ مُصْعَـبٍ، حَدَّثَنَـا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ رَبِيعَـةَ بْنِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ به.

- محمد بن مصعب: هو القَرقَسائي؛ ضعفه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والنسائي، وابن حبان،
- والخطيـب البغـدادي، وغيرهم، وضعفه في الرواية عن الأوزاعي خاصة: صالح بن محمد (جزرة)، وأبـو أحمـد الحاكـم. انظـر: الجـرح والتعديـل (٨/ ١٠٢)، والمجروحـين (٢/ ٢٩٣)، والكامـل (٦/ ٢٦٥)، وتاريخ بغداد (٣/ ٣٧٦)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٣٠).
- فهذا إسناد ضعيف؛ لضعف محمد بن مصعب القرقسائي.
- قال الطبراني في الأوسط: لم يروِ هذا الحديث عن الأوزاعي عن ربيعة إلا محمد بن مصعب.
- وقـال البوصيري في إتحاف المهرة بزوائد المسـانيد العشرة (٨/ ١٢٣)، رقم (٧٦٣٢): رواه أبو يعلى الموصلي، وأحمد بن حنبل، ومدار إسناديهما على محمد بن مصعب، وهو ضعيف.

٣- سبق تخريجه (ص٢٧١).

غَـيْرَ مَكَّـةَ وَطَيْبَةَ؛ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُـمَا اسْـتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّـيْفُ صَلْتًا، يَصُـدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَـلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَـذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ». يَعْنِي الْمَدِينَةَ، (أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟). فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ [1]».

– وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَـهُ رَجُـلٌ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَـالِحُ [2]؛ مَسَـالِحُ الدَّجَّـالِ، فَيَقُولُونَ لَـهُ: أَيْنَ تَعْمِـدُ؟ فَيَقُـولُ: أَعْمِـدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَـالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَـا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُـولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَـاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْـضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُـمْ أَنْ تَقْتُلُـوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ [3]، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُـجُّوهُ، فَيُوسَـعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَـالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِـيحُ الْكَذَّابُ، قَـالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَـارِ [4] مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّـى يُفَرَّقَ بَـيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّـالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُـمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِـمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَـهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَـا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَـالَ: ثُـمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْـدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَـالَ: فَيَأْخُذُهُ

١- سبق تخريجه (ص٢٦٨).

٢- هم القوم الذين يحملون السلاح، ويحمون الثغور. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٩٠)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٥).

٣- يُشَبَّح -بالباء المشددة- أي: يُمد على بطنه للضرب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٦٤)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٦).

٤- هكذا بالهمز، ويجوز أن يقال بالتخفيف: فيوشر بالميشار، ويجوز أن يقال بالنون: فينشر بالمِنشار، وأفصحها ما ذُكر في الحديث. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٩١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (ص٣٩)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٦)، ولسان العرب (٨/ ٥٥٤).



الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ[1] نُحَاسًا فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[2].

افتراق الناس عند خروج الدجال، ولحوق طائفة منهم بالشام:

بعد اشتهار خبر الدجال، وعموم البلوى بفتنته؛ يتفرق الناس أوزاعاً، كما جاء في أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه ذُكر عنده الدجال، فقال: «تفترقون أيها الناس لخروجه ثلاث فرق؛ فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح[3]، وفرقة تأخذ شط هذا الفرات، فيقاتلهم ويقاتلونه، حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام[4]، فيبعثون إليه طليعة فيهم فارس على فرس أشقر، أو فرس أبلق[5]، فيقتلون لا يرجع منهم بشر...»[6].

١- التَّرْقُوَة: هي العظم الذي بين ثغرة النحر، والعاتق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٠٧)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٦)، ولسان العرب (١/ ٦٠٥).

٢- البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة (ص١٣٦١)، رقم (٧١٢٣)، ومسلم، كتاب الفتن، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه (ص١١٧٨)، رقم (٢٩٣٨) واللفظ له، كلاهما من طريق أبي اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة به.

٣- الشيح: نبات سهلي، له رائحة طيبة، وطعم مر، ويستخدم لعلاج بعض الأمراض، وهو مرعى للخيل والنعَم، يكثر في جزيرة العرب، وأراد النبي ﷺ بذلك: أنهم يلتحقون بالأماكن النائية البعيدة خوفاً من فتنة الدجال. انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٣٠)، ولسان العرب (٥/ ٢٤٥)، وفيض القدير (٤/ ١٢٨).

٤- وقعت في مصنف ابن أبي شيبة (٢١/ ٢٨٢-نسخة عوامة): بغربي الشام.

٥- يقال: فرس أبلق، وبلقاء، والبَلَق، والبُلْقَة: اجتماع السواد والبياض في الفرس. انظر: لسان العرب (١/ ٤٩٩)، والمعجم الوسيط (ص٧٠).

٦- ابن أبي شيبة (٧/ ٥١١)، رقم (٣٧٦٣٧) قال: حدثنا عبد الله بن نمير، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا سلمة بن كُهيل، عن أبي الزعراء به.

- وسفيان: هو الثوري، وأبو الزعراء: هو عبد الله بن هانئ، وثقه ابن سعد، والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، واكتفى ابن حجر في التقريب: وثقه العجلي. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٧١)،

متى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام دلَّت عليه عشرات النصوص، والأحاديث، ونصَّ على تواتره جمعٌ من أهل العلم؛ منهم: ابن جرير الطبري، وابن كثير[1]، والسفَّاريني[2]، والكشميري[3]، وأحمد شاكر[4]، والألباني[5]، وغيرهم كثير.

وأما وقت نزوله عليه السلام؛ فيكون بعد وصول الدجال إلى المدينة، وقتل الشاب الصالح الذي مر ذكره قريباً في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ويشهد لذلك حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، وفيه: «... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[6]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ...»[7].

نزول عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق:

يدل على ذلك حديث النواس بن سمعان الذي أوردناه آنفاً، وحديث أوس

ومعرفة الثقات (٢/ ٦٤)، والثقات (٥/ ١٤)، وتقريب التهذيب (ص٥٥٤).

- وباقي رجال الحديث ثقات؛ فهذا إسناد صحيح، وممن صححه: محمد عوامة في تحقيقه على مصنف أبي شيبة (١٩/ ٥٩٢).

١- النهاية في الفتن والملاحم (ص١٢٢).

٢- لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٤-٩٥).

٣- حيث جمع أكثر من سبعين حديثاً في نزول عيسى عليه السلام. انظرها في: التصريح لما تواتر في نزول المسيح (ص٩١-٢٧١).

٤- مسند الإمام أحمد (١٢/ ٢٥٧ حاشية).

٥- قصة المسيح الدجال (ص١٠٤).

٦- مهرودتين: "روى بالدال المهملة، والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب، وغيرهم... ومعناه: لابِس مهرودتين؛ أي: ثوبين مصبوغين بوَرْس (من أنواع الطيب) ثم بزعفران". شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧١).

٧- سبق تخريجه (ص٢٦٨-٢٦٩).



ابن أوس الثقفي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[1]»[2].

وهذا هو الذي رجحه ابن القيم[3]، وقال ابن كثير: «وهذا هو الأشهر في موضع نزوله، أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق... وقد جُدِّد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، كان بناؤها من أموال النصارى، الذين حرَّقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث قيَّض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى، حتى ينزل عيسى بن مريم عليها، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب... وقد ورد في بعض الأحاديث كما تقدم أنه ينزل ببيت المقدس[4]، وفي رواية: بالأردن[5]، وفي رواية:

١- وهي منارة الجامع الأموي الآن.

٢- الطبراني في "المعجم الكبير" (١/ ٢١٧)، رقم (٥٩٠) قال: حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي القاضي، حدثنا هشام بن عمار، (ح) وحدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا هشام بن خالد، قالا: حدثنا محمد بن شعيب، حدثنا يزيد بن عبيدة، عن أبي الأشعث الصنعاني به.

- وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٨/ ٣٧٧): رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني في "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق" (ص٥٨): وهذا إسناد صحيح.

٣- المنار المنيف (ص١٤٨).

٤- لعله يقصد: حديث أبي أمامة المطوَّل عن الدجال، وفيه: (وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم ليصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح...) فأوهم هذا الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل في بيت المقدس، وذلك أنه ذكر نزوله بعد ذكر كون المسلمين ببيت المقدس، وليس فيه دلالة على ذلك؛ لضعف فقرة: (وجلهم ببيت المقدس)، فإن هذا الحديث قد تقدم تخريجه (ص١٢٠)، وبيَّنَّا أن الشيخ الألباني خرَّج شواهد أكثر فقراته، وقال عن هذه الفقرة: لم أجد لها شاهداً، ولو فرضنا القول بصحة ذلك؛ فإن سياق الحديث لا يدل عليه؛ بل فيه حذف تدل عليه مجموع الروايات، وهو أن عيسى عليه السلام ينزل في دمشق، ثم ينطلق ومن معه إلى بيت المقدس حين يحاصر أهلَه الدجال، ويقتل عيسى الدجالَ هناك، كما سيأتي بيانه وتفصيله.

٥- لعله يقصد: حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وفيه: (إنه يطلع (أي الدجال) من آخر أمره على ثنية أَفَيق، وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن...) ثم ذكر نزول عيسى عليه السلام، فأوهم الحديث أنه ينزل ببطن الأردن، وليس كذلك؛ بل الأمر ما بيناه في التعليق السابق.

بعسكر المسلمين[١]، وهذا في بعض روايات مسلم كما تقدم»[٢].

ونقل القاري كلام ابن كثير في المرقاة، وعقَّب عليه بقوله: «قلت: حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه، وهو عندي أرجح، ولا ينافي سائر الروايات؛ لأن بيت المقدس شرقي دمشق، وهو معسكر المسلمين إذ ذاك... وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة فلا بد أن تحدث قبل نزوله، والله تعالى أعلم»[٣].

قال الباحث: الذي دلت عليه النصوص: أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وهذا كالصريح في أن دمشق هي موضع نزوله عليه السلام، وليس بيت المقدس، وهو ترجيح غير واحد من أهل العلم، كما نقلناه عن ابن القيم، وابن كثير، ورجحه البرزنجي[٤]، والسفَّاريني[٥].

عيسى عليه السلام يصلي مأموماً بالمهدي في دمشق:

دلت النصوص على أن عيسى عليه السلام حين ينزل في دمشق؛ يصلي مأموماً بالمهدي، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا[٦]، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»[٧].

١- لم أقف على هذا عند مسلم، حيث أشار ابن كثير.

٢- النهاية في الفتن والملاحم (ص١٢٨-١٢٩).

٣- (٨/ ٣٤٦١).

٤- الإشاعة لأشراط الساعة (ص٢٣٥).

٥- لوامع الأنوار البهية (١/ ١٠٢).

٦- اللام هنا بمعنى الباء، فيكون المراد: صل بنا، كما في الحديث الذي يليه.

٧- مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ص٨٦)، رقم (١٥٥) قال: حدثنا الوليد بن شجاع، وهارون بن عبد الله، وحجاج بن الشاعر، قالوا: حدثنا حجاج (وهو ابن محمد)، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: وذكر الحديث.



وهـذا الإطلاق الذي في الحديث ورد مقيداً في حديث جابر نفسـه -من رواية الحارث بن أبي أسـامة- أن النبي ﷺ قال: «ينزل عيسـى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرِمة الله هذه الأمة»[8].

٨- عزاه ابن القيم في المنار المنيف (ص١٤٧-١٤٨) إلى الحارث بن أبي أسـامة، وبحثتُ عنه في: بغية الباحـث عن زوائد الحـارث للهيثمي، والمطالـب العالية لابن حجر فلم أجده فيهما. وهذا إسـناده -كـما ذكـره ابن القيم-: حدثنا إسـماعيل بـن عبد الكريم، حدثنا إبراهيم بـن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبِّه به.

- إسـماعيل بـن عبـد الكريم: هو ابن معقل بن منبِّـه، قال ابن معين: ثقة، رجل صدق، قال النسـائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الثقات (٨/ ٩٦)، والكاشـف (١/ ٢٤٧)، وتهذيب التهذيب (١/ ٣٢٦).

- وإبراهيـم بـن عقيل: هو ابن معقل بن منبِّه الصنعاني، قال ابن معـين: إبراهيم ثقة، وأبوه ثقة، وقال مـرَّةً: لا بـأس به، ووثقه العجـلي، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الجـرح والتعديل (٢/ ١٢١)، ومعرفة الثقات (١/ ٢٠٢)، والثقات (٦/ ٦)، وتهذيب التهذيب (١/ ١٦٦).

- وعقيل بن معقل: هو ابن منبِّه اليماني، وثقه يحيى بن معين، وأحمد، وقال ابن حبَّان: كان متقناً، وذكره مـع الثقـات. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢١٩)، ومشـاهير علماء الأمصـار (ص١٩٢)، والثقات (٧/ ٢٩٤)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٦٢٢).

- ووهـب بـن منبِّـه: هو ابـن كامل اليماني، وثقه العجـلي، وأبو زُرعة، والنسـائي، والذهبـي، وذكره ابـن حبـان في الثقات. انظـر: معرفة الثقـات (٢/ ٣٤٥)، والجـرح والتعديـل (٩/ ٢٤)، والثقات (٥/ ٤٨٧)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٨٣).

- غـير أن ابـن معين ذكـر عن وهب: أنه لم يسـمع من جابر شـيئاً. تهذيب التهذيـب (١/ ٣٢٦). قال المزي: "روى أبو بكر بن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى، عن إسـماعيل بن عبد الكريم، عن إبراهيـم بـن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبه، قال: هذا ما سـألت عنه جابر بن عبد الله، وأخبرني أن النبـي ﷺ كان يقـول... "، وذكـر الحديث، ثم عقَّب المزي بقوله: "فهذا إسـناد صحيح، وفيه ردٌّ على من قال: إنه لم يسمع من جابر شيئاً". تهذيب الكمال (٣/ ١٤٠).

- والإسناد الذي ذكره المزي هو عند ابن خزيمة (١/ ٦٨)، رقم (١٣٣). فهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

- قال ابن القيم في المنار المنيف: إسـناده جيد، وجوَّد إسـناده كذلك: الألباني في السلسـلة الصحيحة (٥/ ٢٧٦)، رقم (٢٢٣٦)؛ والعبَّاد في: عقيدة أهل الأثر في المهدي المنتظر (ص٣٣)، وقال البستوي في المهدي المنتظر (ص١٨٢): إسناده صحيح.

الدجال يتجه نحو الشام:

ينطلق الدجال بعد طرد الملائكة له عن المدينة إلى الشام، حيث اجتماع أهل الإيمان، والطائفة المنصورة المقاتلة التي تستعد لقتاله، وتنظم صفوفها للقضاء عليه، ومعلوم أن الدجال حين يتجه من المدينة إلى الشام؛ فإنه يأتيها من جهة الجنوب، فيتجه نحو بيت المقدس، ويحاصر المسلمين هناك، وإليك ما يدل على ذلك:

- عن ثَعْلَبَةَ بْنِ عِبادٍ الْعَبْدِيِّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: شَهِدْتُ يَوْمًا خُطْبَةً لِسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «... وَإِنَّهُ يَحْصُرُ (أي الدجال) الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجُنُودَهُ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ - أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ -، وَقَالَ حَسَنٌ الْأَشْيَبُ: وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ - لَيُنَادِي - أَوْ قَالَ: يَقُولُ -: يَا مُؤْمِنُ - أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ -، هَذَا يَهُودِيٌّ - أَوْ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ تَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[1].

- وعن أبي الطفيل قال: كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال، قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال: «اجلس، فجلست... ولكن الدجال يخرج في نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيَغلِبَ على خارجهَا، ويُمْنَعَ داخِلَها، ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يُفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم، فيَقتل الدجال، ويَهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن، هذا يهودي عندي فاقتله...»[2].

١- سبق تخريجه (ص١٤٩-١٥٠).

٢- سبق تخريجه (ص١٥١).

- وعن بعض أصحاب النبي ﷺ قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال:

«يأتي سِبَاخ[1] المدينة، وهو محرَّم عليه أن يدخل نقابها، فتنتفض المدينة بأهلها نفضة أو نفضتين (وهي الزلزلة)، فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة، ثم يولِّي الدجال قبل الشام، حتى يأتي بعض جبال الشام، فيحاصرهم، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل من جبال الشام[2]، فيحاصرهم الدجال نازلاً بأصله، حتى إذا طال عليهم البلاء؛ قال رجل من المسلمين: يا معشر المسلمين حتى متى أنتم هكذا وعدو الله نازل بأرضكم هكذا؟! هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين؛ بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم؟ فيبايعون على الموت بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرؤ فيها كفه، قال: فينزل ابن مريم، فيحسر عن أبصارهم، وبين أظهرهم رجل عليه لأْمَتَه[3]، يقولون: من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أنا عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته عيسى بن مريم، اختاروا بين إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً من السماء، أو يخسف بهم الأرض، أو يسلط عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون: هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا، فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تُقِلُّ يده سيفه من الرِّعْدَة، فيقومون إليهم، يدركه فيسلطون عليهم، ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم كما يذوب الرصاص، حتى يأتيه أو عيسى فيقتله»[4].

١- السِّباخ: "جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر". النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤١٣)، وانظر: لسان العرب (٤/ ٤٦٩).

٢- وهو جبل بيت المقدس، كما هو مصرَّح به في باقي الروايات.

٣- أي: لباس الحرب.

٤- عبد الرزاق (١١/ ٣٩٧)، رقم (٢٠٨٣٤) عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني عمرو بن أبي سفيان الثقفي، أنه أخبره رجلٌ من الأنصار، عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وذكر الحديث.

- هذا إسناد رجاله ثقات، سوى ما فيه من إبهام الرجل الأنصاري.

- قال الشيخ الألباني في "قصة المسيح الدجال" (ص٩٢): "قلت: وإسناده ثقات رجال الشيخين؛

ويشتد الحصار على المسلمين في بيت المقدس، فيتحرك عيسى والمهدي عليهما السلام ومن معهما من المسلمين جهة بيت المقدس، فيوافون المحاصَرين عند صلاة الصبح، ويتقدم عيسى عليه السلام بهم إماماً، بخلاف ما حدث في دمشق؛ فإنه صلى مأموماً بالمهدي، ويُرشد إلى ذلك حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلم بما مع الدجال منه... إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن... وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وأنه يقتل من المسلمين ثلثاً، ويهزم ثلثاً، ويُبقي ثلثاً، ويَجِنُّ عليهم الليل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم، من كان عنده فضل طعام فليَعُد[1] به على أخيه، صلُّوا حين ينفجر الفجر، وعجلوا الصلاة ثم أقبلوا على عدوكم، فلما قاموا يصلون: نزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه أمامهم فصلى بهم...»[2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق: «إن الأعور الدجال مسيح الضلالة، يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله من الأرض في أربعين يوماً، الله أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها (مرتين)، وينزل الله عيسى بن مريم فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله الدجال، وأظهر المؤمنين»[3].

غير الرجل الأنصاري؛ فإنه لم يسَّم، ويحتمل أن يكون صحابياً؛ لأن الثقفي هذا تابعي، روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وغيره، فإن كان كذلك فالسند صحيح؛ لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة".

1- أي: فليقدمه إلى أخيه. ووقع في المستدرك: "فليغْدُ به"، وهو تحريف. التصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص٢٠٢ حاشية).

2- سبق تخريجه (ص١٥٠).

3- ابن حبان، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمتي من الحوادث، ذكر قدر مكث الدجال عند خروجه من وثاقه (١٥/ ٢٢٣)، رقم (٦٨١٢) أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا صالح بن عمر، قال: حدثنا عاصم بن كليب، عن أبيه (كليب



حماية المسجد الأقصى من الدجال:

بينت النصوص أن الدجال يرد بيت المقدس، ولكن الله تبارك وتعالى حرَّم عليه دخول مسجدها (المسجد الأقصى)، فعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدَّجَّالِ وَلَا تُحَدِّثْنِي عَنْ غَيْرِكَ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مُصَدَّقًا. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَنَهْرٌ مَاءٍ وَجَبَلُ خُبْزٍ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَالطُّورَ وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَإِنْ شَكُلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[1].

بن شهاب) به.

- أبو يعلى: هو الموصلي، صاحب المسند.
- وأبو خيثمة: هو زهير بن حرب.
- ويونس بن محمد: هو ابن مسلم البغدادي، فهذا إسناد رجاله ثقات، سوى كليب بن شهاب، فهو صدوق. تقريب التهذيب (ص٨١٣).

وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه العدوي في الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٤٧٣).

١- أحمد (٣٩/ ٨٨)، رقم (٣٦٨٤) قال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن مجاهد به.

- ومحمد بن جعفر: هو الهُذلي، المعروف بغُندَر، وثقه ابن معين، والعجلي، ووثقه في شعبة خاصة: ابن المبارك، وابن مهدي، وابن المديني، وأبو حاتم، وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله، ومن أحكمهم كتاباً، مع غفلة فيه، وقال ابن حجر: ثقة صحيح الكتاب، إلا أن فيه غفلة.
- انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٢١)، والثقات (٩/ ٥٠)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٨٧)، وتقريب التهذيب (ص٨٣٣).
- قال الباحث: وهذه الغفلة التي ذكرها ابن حبان وابن حجر مدفوعة هنا بتوثيق الأئمة الكبار له في حديث شعبة، وهو الذي روى عنه في هذا الحديث.
- وسليمان: هو ابن مِهرَان، الأعمش، ثقة يدلس، واحتمل الأئمة تدليسه، وذكره ابن حجر في المرتبة

عيسى والمهدي عليهما السلام ومن معهما من أهل الشام والإيمان يقاتلون الدجال وشيعته:

إن من إكرام الله تعالى لأهل الشام أن أقامهم لحراسة هذا الدين، في أول الأمر ومنتهاه، فهم جند المسيح والمهدي عليهما السلام حين يُقتل الدجال، ويُقضى على إخوان القردة والخنازير لعنهم الله.

- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»[1].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»[2].

عيسى عليه السلام يقتل الدجال عند باب لُد:

- جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ

الثانية من مراتب المدلسين. انظر: طبقات المدلسين (ص٥٣)، وتابعه منصور بن المعتمر في الرواية عن مجاهد عند أحمد (٣٩/ ٨٩)، رقم (٢٣٦٨٥).

- فهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات.

- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥٩): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

- وقال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص٧١): إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

١- سبق تخريجه (ص١١٧).

٢- مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها (ص٥٤٢)، رقم (١٣٧٩) قال: حدثنا يحيى بن أيوب، وقتيبة، وابن حُجْر، جميعاً، عن إسماعيل بن جعفر، أخبرني العلاء، عن أبيه به.



حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ[١]، فَيَقْتُلَهُ...»[٢].

- وعن عائشة ﵂ قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: مَا يُبْكِيكِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتُ الدَّجَّالَ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ بَعْدِي فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى يأتي الشَّامَ؛ مَدِينَةً بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ[٣]». وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: «حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى ﵇ فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى ﵇ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا»[٤].

- وعن ابن عمر ﵄ أن عمر سأل رجلًا من اليهود عن شيء، فحدثه، فصدقه عمر؛ فقال له عمر: قد بَلَوْتُ صدقك؛ فأخبرني عن الدجال؟ قال: وإلهِ اليهود

١- لُد: بلدة قرب بيت المقدس، تقع على مسافة ١٦كم جنوبي شرق حيفا، وحوالي خمسة كيلومترات شرق الرملة، ترتفع ٥٠م عن سطح البحر، فتحت بعد فتح بيت المقدس، ويعتقد أن الذين بنوها الفلسطينيون، وكانت عاصمة جند فلسطين إلى أن بنيت الرملة. بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٦ (١٨٢٥٠) نسمة، ولم يبق من العرب بعد سنة ١٩٤٨ سوى (١٠٥٢) نسمة. انظر: معجم البلدان (٥/ ١٧-١٨)، ومعجم بلدان فلسطين (ص٦٣٨)، وأطلس الحديث النبوي (ص٣٢٤).

٢- سبق تخريجه (ص٢٦٩).

٣- قوله: "مَدِينَةً بِفِلَسْطِينَ بِبَابِ لُدٍّ" هو بدل من قوله: "الشام".

٤- أحمد (٤١/ ١٥)، رقم (٢٤٤٦٧) قال: حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا حرب بن شداد، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني الحضرمي بن لاحق، عن ذكوان أبي صالح به.

- وسليمان بن داود: هو الطيالسي، ويحيى بن أبي كثير: مدلس من الثانية (طبقات المدلسين ص٥٧)، وصرح هنا بالسماع.

- وحضرمي بن لاحق: هو اليمامي، التميمي، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه غير واحد، وقال ابن حجر: لا بأس به. انظر: الثقات (٦/ ٢٤٩)، وتقريب التهذيب (ص٢٥٦).

- فهذا إسناد حسن، ويحتمل التصحيح.

- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٥١): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح؛ غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة.

ليقتلنه ابن مريم بفناء لُد[1].

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...فيدركه عند باب اللد الشرقي، فيقتله..»[2].

وبقتل الدجال يستريح المؤمنون من أعظم فتنة مذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة.

١- عبد الرزاق (١١/ ٣٩٨)، رقم (٢٠٨٣٦) عن معمر، عن الزهري، عن سالم بن عبد الله به.

- ومعمر: هو ابن راشد. فهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

- قال الألباني في قصة المسيح الدجال (ص١٠٨): إسناده صحيح.

٢- سبق تخريجه.



المبحث الثاني
خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم في بلاد الشام

بَيَّنَّا في المبحث الماضي كيف أنعم الله -تبارك وتعالى- على عيسى والمهدي عليهما السلام، ومن معهما من المؤمنين بقتل الدجال، والقضاء على شيعته من اليهود وغيرهم، فهل انتهت حلقات الصراع بذلك، وهل استراح المسلمون من مواجهة شيع الكفر وأحزابه؟ لا، لم ينته الصراع بعد فلقد بقيت المرحلة الأخيرة منه، والتي لا قِبَل للمسلمين بها، ألا وهي خروج يأجوج ويأجوج.

وسنبين في هذا المبحث كيف يُكرم الله المسلمين بالقضاء على يأجوج ومأجوج في الأرض المقدسة من بلاد الشام، ولن نستطرد في الحديث حول ما يتعلق بنسبهم، وأوصافهم، وسيرتهم، وإفسادهم، فهذا ليس موضع بحثنا، وهو مذكور باستفاضة في كتب السنة، والعقائد، والفتن، والملاحم، وأشراط الساعة[1].

تحذير النبي ﷺ أمته باقتراب خروجهم إذا كثر الخبث:

- عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا». وحلق بإصبَعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب: فقلت يا رسول الله: أنهلِكُ

١- انظر -لمعرفة ذلك-: السنن الواردة في الفتن (٦/ ١٢٠٥-١٢٣٠)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٢٨٨-١٣٠١)، والنهاية في الفتن والملاحم (ص١٣٠-١٣٥)، وفتح الباري (٣/ ١٣٢-١٣٧)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص٢٦٤-٢٧٣)، وإتحاف الجماعة (٣/ ١٤٩-١٧٤)، وموسوعة الفتن وأشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين (ص٥٦٧-٦٠٧)، وأشراط الساعة (ص٣٦٥-٣٨٠) ليوسف الوابل.

وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث[1]»[2].

يحذر النبي ﷺ أمته في هذا الحديث الذي تنخلع له القلوب، أنه قد فتح قدر يسير من هذا السد المنيع الذي بناه ذو القرنين، وحال به بين أولئك القوم وبين خروجهم، وإفسادهم، وطغيانهم، وفي الحديث إشارة إلى أن الأمة إن تمادت في الفساد والطغيان؛ فإن السد لا يلبث أن يفتح، ويخرج منه أولئك القوم.

وما أجمل ما نقله ابن حجر عن ابن العربي في ذلك، حيث قال: «فيه البيان بأن الخَيِّر يهلك بهلاك الشرِّير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه، لكن حيث لا يجدي ذلك، ويصر الشرير على عمله السيئ، ويفشو ذلك ويكثر، حتى يعم الفساد؛ فيهلك حينئذٍ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته، وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون...»[3].

خروجهم ومسيرهم إلى بلاد الشام:

لقد بيَّن النبي ﷺ عظيم الفساد الذي يحصل بخروج هؤلاء الأشرار، وعظيم المحنة والابتلاء الذي يقع على عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين، ففي حديث

١- الخبث: هو الفسوق والفجور، وقيل: الزنا، وقيل: أولاد الزنا، ورجح الحافظ ابن حجر المعنى الأول؛ لأنه مقابَل في الحديث بالصلاح. انظر: المعلم (٣/ ٣٦٧)، والمفهم (٧/ ٢٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ١٣٦).

٢- البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (ص٦٤٠)، رقم (٣٣٤٦) واللفظ له، وكتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ "ويل للعرب من شر قد اقترب" (ص١٣٥٠)، رقم (٧٠٥٦) بنحوه، وكتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج (ص١٣٦١)، رقم (٧١٣٥) بنحوه، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (ص١١٥٤)، رقم (٢٨٨٠) بنحوه، كلاهما من طريق الزهري، عن عروة بن الزبير، عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة به.

٣- فتح الباري (١٣/ ١٣٦)، وأصل الكلام في عارضة الأحوذي (٩/ ٣٦)، وتصرف ابن حجر في الكلام زيادة وتوضيحاً؛ لذا آثرت نقل كلامه.



النواس بـن سـمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال -بعد ذكـر قتل عيسـى للدجال عند بـاب اللـد-: «... ثُمَّ يَأْتِي عِيسَـى ابْنَ مَرْيَـمَ قَـوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْـهُ، فَيَمْسَـحُ عَـنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِـهِمْ فِـي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَـا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَـى: إِنِّـي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَـادًا لِي، لاَ يَـدَانِ [1] لأَحَـدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَـرِّزْ عِبَـادِ إِلَـى الطُّـورِ [2]، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُـوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ [3] يَنْسِـلُونَ،

١- يـدان -بكسر النون، تثنية يد-؛ أي: لا قدرة ولا طاقة، يقال: مـا لي بهذا الأمر يد، ومالي به يدان، لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان؛ لعجزه عن دفعه.

- شرح النـووي عـلى مسـلم (١٨/ ٢٧٢)، وانظر: المفهم (٧/ ٢٨٥)، والديباج على شرح مسـلم بن الحجاج (٦/ ٢٥٣).

٢- أي: احفظهم، وضمهم إلى الطور، وأكثر الشراح لم يبينوا المراد بالطور، والذين بينوه ذهبوا إلى أنه طور سـيناء؛ قال القرطبي في "المفهم" (٧/ ٢٨٥): "ويحتمل أن يكون ذلك هو طور سـيناء"، وقال المباركفوري في منة المنعم (٤/ ٣٧٦): "والطور: جبل معروف في سيناء"،

- وهـو الـذي ذهب إليه الحمـيري في الروض المعطار (١/ ٣٩٧)، واكتفـى ابن عثيمين في شرحه على رياض الصالحين (٤/ ٤٨١) بقوله: "والطور: جبل معروف".

- وقـال الشـيخ عبـد الفتاح أبو غـدة في تحقيقه على: التصريح بـما تواتر في نزول المسـيح (ص١١٨): "والطـور: الجبـل الذي ناجى عليه سـيدنا موسـى ربه، وهو بالقرب من مصر عند موضع يسـمى مدين".

- فـكل الذيـن نقلنا عنهم يرون أن المراد بالطور هنا: طور سـيناء، ومما ينبغـي أن يُعلم هنا: أن في بيت المقدس جبلاً يسـمى: جبل الطور، وعليه تقوم قرية الطور، وهو يقع إلى الشرق من مدينة القدس، ويرتفع (٨٢٦) م، يكشـف المدينة المقدسـة قديمها وحديثها، ويسـمى أيضاً: جبل الزيتون، وطور زَيْتَـا، وهـو من أهم الجبال المحيطـة بالقدس، ويفصل هذا الجبل عن القدس: وادي "سـتنا مريم"، ويسمى أيضاً: "وادي جهنم"، وغير ذلك.

- انظـر: معجم البلـدان (٤/ ٥٣)، ومعجـم بلدان فلسـطين (ص٤٣٧)، وبيت المقدس والمسـجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة (ص٤٣)، وواقدساه (١/ ٢٠-٢١).

- فلا يبعد عندي أن يكون المراد بالطور في الحديث: الذي في بيت المقدس، ولعل مما يرجح ذلك: أن عيسى عليه السلام عندما يقتل الدجال؛ فإنه يكون هو وأصحابه في بيت المقدس، فانتقالهم إلى جبل الطور في بيت المقدس أيسر من انتقالهم إلى طور سيناء، والله تعالى أعلم.

٣- الحَدَب: النَّشَـزُ من الأرض؛ أي: ما ارتفع منها، وينسـلون: أي يسرعون، وقيل: هو من النَّسَلَان؛

فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا[1]، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ[2]، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ[3] نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ؛ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[4] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[5] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ؛ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[6]، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ

وهو: مقاربة الخَطْوِ مع الإسراع. انظر: المفهم (٧/ ٢٨٥)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٢)، والديباج على شرح مسلم بن الحجاج (٦/ ٢٥٣).

١- ربما أشكل على هذا: أنه سبق -في حديث الجساسة- بيان أن جفاف بحيرة طبرية من علامات ودلائل خروج الدجال، ويأجوج ومأجوج يخرجون بعد هلاك الدجال، فكيف يكون ذلك؟ يجاب عن هذا الإشكال: أنه يحتمل أن يعود إليها الماء، وتمتلئ البحيرة من جديد بعد هلاك الدجال. انظر: نهاية التاريخ (ص٩٩)، وفقه أشراط الساعة (ص١٩٨-١٩٩).

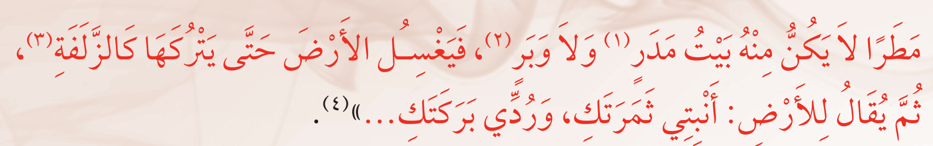
٢- سبق بيان سعة هذه البحيرة، وكثرة الماء الذي فيها، فشربهم لمائها بين عشية وضحاها فيه دلالة على كثرتهم المخيفة، وشدة إفسادهم، وتخريبهم لكل ما يعترض سبيلهم.

٣- في رواية الترمذي، رقم (٢٢٤٠): (فيرغب عيسى إلى الله)، والمراد: "يرغبون إلى الله في إهلاكهم، وإنجائهم عن مكابدة بلائهم، ويتضرعون إلى الله تعالى؛ فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف". شرح الطيبي (١١/ ٣٤٥٧)، وعنه: القاري في: المرقاة (٨/ ٣٤٦٣).

٤- دود يكون في أنوف الإبل والغنم؛ واحدتها: نغفة. ومنه يقال للرجل الحقير: إنما أنت نغفة. المعلم (٣/ ٣٧٨)، وإكمال المعلم (٨/ ٤٨٧)، والمفهم (٧/ ٢٨٥)، وزاد القرطبي: "وهي وإن كانت محتقرة، فإتلافها شديد"، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٢)، والديباج (٦/ ٢٥٣)، وللتوربشتي كلام مهم في ذلك، نعرض له في خاتمة المبحث إن شاء الله.

٥- أي: قتلى؛ واحدهم: فريس، كقتلى وقتيل، يُقال: فَرَسَ الذئبُ الشاةَ إذا كسرها وقتلها، ومنه: فريسة الأسد. انظر: المعلم (٣/ ٣٧٨)، وإكمال المعلم (٨/ ٤٧٨).

٦- أي: أعناقها في الطول والكِبَر كأعناق البُخْت، والبُخْت: الإبل طِوال الأعناق. انظر: شرح الطيبي (١١/ ٣٤٥٨)، ومرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٦٤)، ومنة المنعم (٤/ ٣٧٥-٣٧٦).



مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ[1] وَلَا وَبَرٍ[2]، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[3]، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ...»[4].

وزاد مسلم في رواية بعد قوله: «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»: «ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ[5] إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا»[6].

والنصوص المبينة للبلاء الذي يحصل بخروج هؤلاء القوم كثيرة جداً، أقتصر منها على حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون - كما قال الله تعالى ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيعُمُّون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، حتى أنهم ليمرون بالنهر

١- بيت المدر: هو البيت الذي يكون من الطين الصُّلْب، وهو بيت أهل الحضر.

٢- بيت الوبر: هو بيت الصوف، أو الشعر، وهو بيت أهل البدو، والمراد من هذا: تعميم بيوت أهل البدو والحضر. انظر لبيان المعنيين: المفهم (٧/ ٢٨٦)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٢)، وشرح الطيبي (١١/ ٣٤٥٨)، ومرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٦٤).

٣- الزَّلَقَة: رُوي بفتح الزاي واللام والقاف، وروي: الزُّلْفَة -بضم الزاي، وإسكان اللام، وبالفاء-، وروي: الزَّلَفَة -بفتح الزاي، واللام، وبالفاء-، وكلها روايات صحيحة كما ذكر القاضي عياض، والنووي، واختلفوا في المراد بها، فقال أكثر الشراح: المراد بذلك: المرآة، شبه الأرض بها لصفائها، ونظافتها، وقيل: غير ذلك، والأرجح ما ذكرناه. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٨٧)، والمفهم (٧/ ٢٨٦)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٢).

٤- سبق تخريجه (ص٢٦٩).

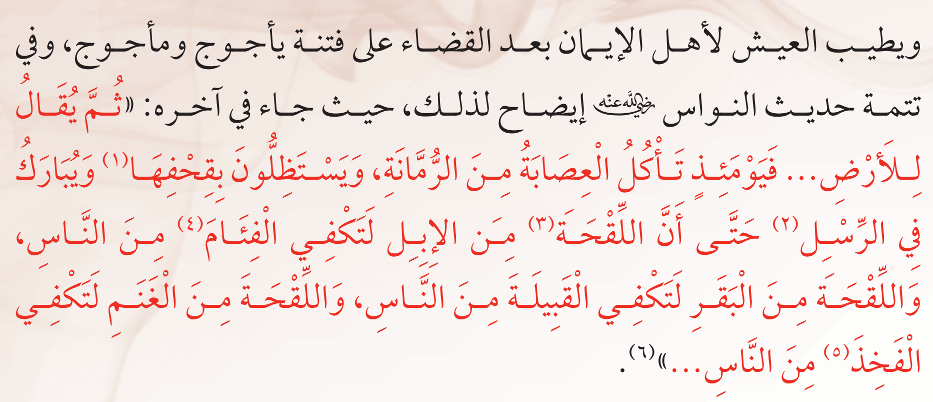
٥- جمع نُشَّابة؛ والمراد: سهامهم. مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٤٦٣)، وعنه: المباركفوري في: تحفة الأحوذي (٦/ ١٠٩).

٦- مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ص١١٧٨)، رقم (٢١٣٧) قال: حدثنا علي بن حُجْر السعدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والوليد بن مسلم -قال ابن حجر: دخل حديث أحدهما في حديث الآخر- عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، بهذا الإسناد، نحو ما ذكرنا، وزاد بعد قوله (لقد كان بهذه مرة ماءٌ):.... وذكر الزيادة.

فيشربونه، حتى ما يذرون فيه شيئاً، فيمر آخرهم على أثرهم، فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان، مرة ماء، ويظهرون على الأرض، فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، ولننازلن أهل السماء، حتى إن أحدهم لَيَهُزُّ حربته إلى السماء، فترجع مخضبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا أهل السماء، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله دواب كنغف الجراد، فتأخذ بأعناقهم، فيموتون موت الجراد، ويركب بعضهم بعضاً، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حِسًّا، فيقولون مَنْ رجلٌ يشري نفسه، وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى، فيناديهم: ألا أبشروا، فقد هلك عدوكم، فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فَتَشْكَرُ عليها، كأحسن ما شَكِرتْ من نبات أصابته قط»[1].

١- ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج (ص٦٧٨)، رقم (٤٠٧٩) واللفظ له، حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بُكَير، وأحمد (١٨/ ٢٥٧)، رقم (١١٧٣١) بنحوه، حدثنا يعقوب (وهو: ابن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف)، حدثنا أبي، كلاهما (يونس وإبراهيم) عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به.

- وأبو كريب: هو محمد بن العلاء.
- ويونس بن بكير: وثقه ابن معين، وابن نُمير، وعُبيد بن يَعيش، وابن عمار المَوصِلي، وذكره ابن حبان في الثقات.
- وقال ابن معين -في رواية-: كان صدوقاً.
- وقال العجلي: لا بأس به، وقال أبو حاتم: محله الصدق.
- وسئل أبو زرعة، أي شيء ينكر عليه؟ قال: أما في الحديث فلا أعلمه.
- وقال أبو داود: هو عندي ليس بحجة.
- وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ضعيف.
- قال الباحث: دخل يونس في شيء من عمل السلطان؛ فضعفه بعضهم لأجل ذلك.
- انظر: معرفة الثقات (٢/ ٣٧٧)، والجرح والتعديل (٩/ ٢٣٦)، والثقات (٧/ ٦٥١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٦)، وتقريب التهذيب (ص١٠٩٨).
- والذي يظهر: أن محله الصدق، كما ذهب إليه ابن أبو حاتم، وخلُص ابن حجر في التقريب إلى أنه:



ويطيب العيش لأهل الإيمان بعد القضاء على فتنة يأجوج ومأجوج، وفي تتمة حديث النواس رضي الله عنه إيضاح لذلك، حيث جاء في آخره: «ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ... فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[١] وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[٢] حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ[٣] مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ[٤] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ[٥] مِنَ النَّاسِ...»[٦].

وقفات مع فتنة يأجوج ومأجوج:

١- أن الإفساد والظلم الذي يحدثه يأجوج ومأجوج لا يمكن أن يتصوره عقل، فهو يطال كل شيء، حتى الأنهار، والأشجار، والعباد، والبلاد، فهم كالجراد المنتشر، والسيل الجارف الذي يدمر كل شيء.

ولكن ماذا كانت نهايتهم، وكيف كانت خاتمتهم؟

لقد أرسل الله تبارك وتعالى عليهم النَّغَف؛ أرذل وأحقر المخلوقات،

صدوق يخطئ.

- ومحمد ابن إسحاق: صدوق يدلس، وتدليسه مدفوع بتصريحه بالسماع. تقريب التهذيب (ص٨٢٥).
- فهذا إسناد حسن؛ لحال محمد بن إسحاق، ويونس بن بكير.
- ولو ذهبنا إلى ما يقوله ابن حجر في يونس: صدوق يخطئ، فإنه قد تابعه عند أحمد: إبراهيم بن سعد ابن إبراهيم، وهو ثقة ثبت، فيظهر بذلك أن هذا الحديث مما لم يخطئ فيه يونس، والله تعالى أعلم.

١- القِحْف -بكسر القاف-: القشر، والمراد: يستظلون بقشر الرمانة؛ لشدة كبرها. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٣٧)، وشرح الطيبي (١١/ ٣٤٥٨).

٢- الرِّسْل: هو اللبن. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٣٧)، وشرح الطيبي (١١/ ٣٤٥٨).

٣- اللِّقْحَة -بكسر اللام، وفتحها، والكسر أشهر-: الناقة الحلوب. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٣)، وشرح الطيبي (١١/ ٣٤٦٥).

٤- أي: الجماعة الكثيرة. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٣).

٥- الفخذ -بسكون الخاء-: الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٨٨)، وشرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٣).

٦- سبق تخريجه (ص٢٦٩).

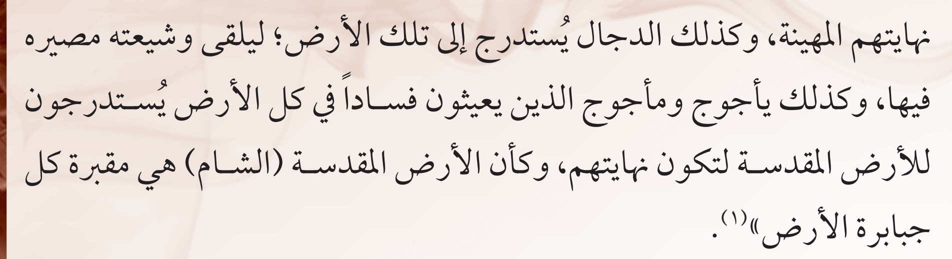
فَصُرِعوا عن آخرهم في ساعة من ليل أو نهار، وهذه نهايات الظالمين؛ مخزية حقيرة؛ «فالنمرود تصرعه وتذله بعوضة، وأبو جهل يحتز رأسه غلامان من غلمان الأنصار، وهو في قمة نشوته وانتفاشه وغروره»[1]، فهذه نهاية كل كافر، وعاقبة كل ظالم فاجر، وما أجمل ما قاله التوربشتي في ذلك، حيث قال -مبيناً المراد بقوله: فيرسل عليهم النغف في رقابهم؛ فيصبحون فرسى-: «يعني: أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء، يَفْرِسُهم دُفعةً واحدةً؛ فيصبحون قتلى، وقد نبه بالكلمتين؛ أعني: (النغف، وفرسى) على أنه سبحانه يُهلكهُم في أدنى ساعة بأهون شيء، وهو النغف؛ فيفرسهم فَرْسَ السَّبُع فريسته بعد أن طارت نُعَرَةُ[2] البغي في رؤوسهم، فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء...»[3]، نسأل الله أن يقر عيوننا، ويشفي صدورنا بنصرة هذا الدين، ومصرع الباغين الظالمين، آمين.

٢- إن المتأمل فيما سبق من الأحداث التي عرضنا لها؛ بدءاً بقتال اليهود، ثم الروم، ثم الدجال، ثم يأجوج ومأجوج؛ يدرك أن بلاد الشام تتحطم على عتباتها كل قوى الكفر والظلم والإفساد، «والعجيب في الماضي والمستقبل أن أساطين الباطل دائماً يُستدرجون إلى الأرض المقدسة، لتكون نهايتهم فيها، ففي الماضي كانت موجة التتر أو المغول المخيفة، والتي انتهت عندما استُدرِجوا إلى بلاد الشام،حيث كانت المعركة الفاصلة في عين جالوت، وكذلك الروم استُدرِجوا إلى هذه البلاد إلى أن كانت الضربة القاصمة لهم في حطِّين، والروم في آخر الزمان يستجمعون كل قوتهم، ويُستدرجون إلى الملحمة العظمى في الشام؛ حيث تكون

١- نهاية التاريخ (ص١٠١) بتصرف.

٢- المراد: خيلاء البغي وغروره، وهي هكذا في شرح الطيبي، وحُرِّفَت في المرقاة إلى: نُفْرَة.
- التصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص١٢٣ حاشية).

٣- شرح الطيبي على المشكاة (١١/ ٣٤٥٧) من غير عزو، وعزاها القاري في المرقاة (٨/ ٣٤٦٤) إلى التوربشتي.



نهايتهم المهينة، وكذلك الدجال يُستدرج إلى تلك الأرض؛ ليلقى وشيعته مصيره فيها، وكذلك يأجوج ومأجوج الذين يعيثون فساداً في كل الأرض يُستدرجون للأرض المقدسة لتكون نهايتهم، وكأن الأرض المقدسة (الشام) هي مقبرة كل جبابرة الأرض»[1].

٣- إن عيسى عليه السلام وأصحابه حين بلغ بهم الحصار كل مبلغ؛ رغبوا إلى ربهم تبارك وتعالى في كشف ما حل بهم، وتضرعوا إليه في رفع ما أصابهم، فجاء الفرج والنصر من الله تبارك وتعالى، وانكشف الضر عن المسلمين، وانتصروا على عدوهم بأعظم وأجل سلاح؛ ألا وهو سلاح الدعاء.

إن الافتقار إلى الله تبارك وتعالى، والرغبة إليه، والانكسار على بابه؛ لا ينبغي أن يفارق المسلم في وقت الأزمات والمُلِمَّات، ولله در ابن العربي حين استفاد من هذا الحديث: «أن الدعاء من الله بمكان»[2]، فينبغي على الأمة في هذا الوقت الذي فقدت فيه كل شيء، أن تفطن لهذا السلاح -بجانب سلاح الإعداد-، ولا يبرحوا باب العبودية والتذلل والانكسار لربهم تبارك وتعالى، فَثَمَّ والله النصرة والرفعة والتمكين.

١- الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٨١٩).

٢-عارضة الأحوذي (٩/ ٩٠).





المبحث الثالث
هبوب ريح من الشام تقبض أرواح المؤمنين قبل قيام الساعة

يطيب عيش المسلمين بعد هلاك يأجوج ومأجوج، ويعيش المسلمون سنوات أمن وخير وبركة، ثم يضعف الإيمان في قلوب الناس، ويبدأ نجم الحياة بالأفول، وأمارات الساعة بالظهور، فتطلع الشمس من المغرب[١]؛ إيذاناً بتغير أحوال الكون، وتخرج الدابة على الناس، فتسمهم على خراطيمهم[٢]، فيتميز أهل الكفر عن أهل الإيمان، ثم يأذن الله تعالى بهبوب ريح طيبة باردة، تقبض روح كل مؤمن، كما جاء في تتمة حديث النواس بن سمعان الذي قطعناه في المباحث السابقة، وفيه: «...فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ[٣] فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ

١- هذا هو الترتيب الصحيح لأمارات الساعة الكبرى، وهو الذي تدل عليه النصوص، ومشى عليه أكثر أهل العلم، ونص عليه الحافظ في الفتح (١١/ ٤٢٩)، وهو ظاهر صنيع جمع من أهل العلم ممن صنفوا في الفتن وأشراط الساعة، إذ إن أكثرهم بوّب على أحاديث الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج؛ قبل تبويبه على أحاديث طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة. انظر: السنن الواردة في الفتن (٦/ ١١٤٣ وما بعدها)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٦/ ١٢٨٣ وما بعدها)، والنهاية في الفتن والملاحم (ص١٢٧ وما بعدها)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص٢١٧ وما بعدها)، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ص٨٢ وما بعدها)، وممن فصل في ذلك وأجاد من المعاصرين: تركي العبدلي في: نهاية التاريخ (ص١١٣-١٣٧).

٢- أي: أنوفهم.

٣- قال ابن العربي: "لست أعلم لاختصاصها (أي الريح) بذلك الموضع (الآباط) وجهاً؛ إلا أن يكون عبارة عن انقطاع قوته من يديه، وبقائها كالعود، ويكون ذلك ابتداء الموت،= وعلامة عليه". عارضة الأحوذي (٩/ ٩٠).

تَقُومُ السَّاعَةُ...»[1].

- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2] أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا، قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ؛ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»[3].

أما تحديد مخرجها؛ فجاء مفصلاً في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ (لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا)، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ[4] جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ»[5].

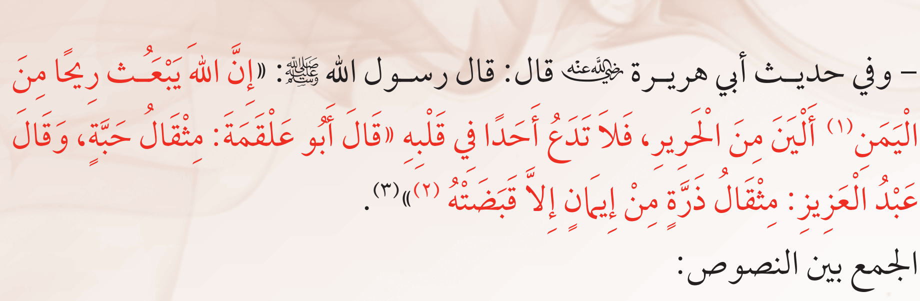
١- سبق تخريجه (ص١٦٩).

٢- سورة التوبة، آية (٣٣).

٣- مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء (ص١١٦٦)، رقم (٢٩٠٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، وَأَبُو مَعْنٍ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ (وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ)، قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، به.

٤- أي: وسطه، وداخله. شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٨).

٥- مسلم، كتاب الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه وذهاب أهل الخير... (ص١١٨٠)، رقم (٢٩٤٠) قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص... وذكر الحديث.



- وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ[1] أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ «قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ[2]»[3].

الجمع بين النصوص:

بيَّن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين مخرجها من الشام، بينما حديث أبي هريرة ﷺ ذكر أن مخرجها ومبعثها من اليمن، فكيف نجمع بين الحديثين؟

قال الإمام النووي: «ويجاب عن هذا بوجهين؛ أحدهما: يحتمل أنهما ريحان: شامية، ويَمانِيَة، ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثم تصل الآخر، وتنتشر عنده والله أعلم»[4].

ووقفت على جمعٍ بين الحديثين عند محمود عطية في كتابه « فقد جاء أشراطها»، حيث قال فيه: «ويبدو بين الحديثين تعارض، وليس كذلك والحمد لله، بل يمكن أن يكون هناك ريح من قبل الشام تقبض روح كل مؤمن بعد عيسى ﷺ، والأخرى من قبل اليمن تقبض روح كل مؤمن موجود، وذلك قبل قيام الساعة

١- هي البلد المعروف، وأخطأ من زعم أنها: اليُمْن -بضم الياء، وسكون الميم-، من البركة. انظر: فيض القدير (٢/ ٣٦٦).

٢- قال المناوي: "أي: قبضت روحه؛ بمعنى: أنه يحصل قبض روحه مع هبوبها، فلا ينافي أن القابض ملك الموت ﷺ". فيض القدير (٢/ ٣٦٦).

٣- مسلم، كتاب الإيمان، باب الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان (ص٧٢)، رقم (١١٧) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو عَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ، قَالاَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ به.

٤- شرح النووي على مسلم (٢/ ٣١٣)، وعنه: السيوطي في " الديباج " (١/ ١٣٥)، والمناوي في "فيض القدير" (٢/ ٣٦٦)؛ والسفاريني في "لوامع الأنوار البهية" (٢/ ١٥٢)، وأشار القرطبي إلى المعنى الثاني قائلاً: " يجوز أن يكون مبدؤها من قِبَل اليمن، ثم تمر بالشام، فتهب منه على من يليه". المفهم (١/ ٣٢٥).

مباشرة»[1].

والـذي يظهـر أن القبـض لأرواح المؤمنين يكون في وقت واحـد؛ وهذا ظاهر في الأحاديـث؛ ففـي حديث النواس بـن سـمعان: «فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ».

وفي حديث عائشة: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ...».

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ...».

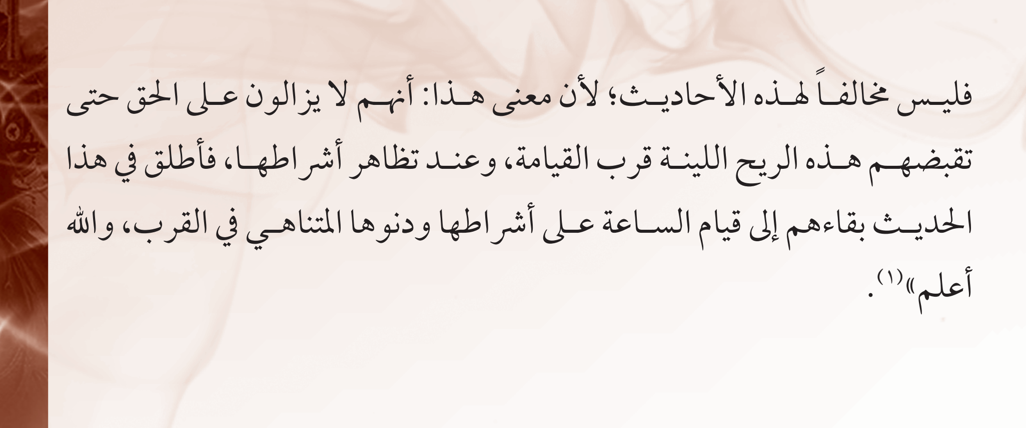
مسألة: كيف نوفق بين أحاديث الطائفة المنصورة، وأنها ظاهرة إلى قيام الساعة، وبين هذه الأحاديث التي يبين فيها النبي ﷺ قبض أرواح المؤمنين، ثم قيام الساعة على أشرار الناس؟

أجـاب عن ذلـك الصحـابي الفقيه عبـد الله بن عمرو بـن العاص، فعـن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْـنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ إِلاَّ عَـلَى شِرَارِ الْخَلْقِ؛ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّـةِ لاَ يَدْعُـونَ اللهَ بِشَـيْءٍ إِلاَّ رَدَّهُ عَلَيْهِـمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِـكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِـرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْـلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ! اسْـمَعْ مَـا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَـةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْـكِ؛ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَتْرُكُ نَفْسًـا فِي قَلْبِـهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ، إِلاَّ قَبَضَتْهُ ثُـمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[2].

وقـال الإمام النـووي –بعد أن ذكر حديث قبض الريح، وما في معناه– بقوله: «وأما الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة»،

١- (ص٤٥٣).

٢- سبق تخريجه (ص١١٦).



فليس مخالفاً لهذه الأحاديث؛ لأن معنى هذا: أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة، وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم»[1].

١- شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٣١٣)، وانظر: الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة (ص٨٦-٨٧).





المبحث الرابع
حشر الناس إلى بلاد الشام

بعد قبض الريح أرواح المؤمنين؛ يبقى في الأرض شرار الناس، وتخلو ممن يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً، فحينئذٍ تكون الدنيا قد آذنت بانقضاء، والقيامة أقرب إلى الناس يومئذٍ من شُرُكِ[1] نعالهم.

ويصور النبي ﷺ حال الناس بعد قبض الريح؛ فيقول في تتمة حديث عبد الله بن عمرو الذي أوردناه في المبحث السابق: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ[2]، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ[3]»[4].

- ويقول ﷺ في خاتمة حديث النواس بن سمعان: «فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ[5]، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ

١- جمع شراك؛ وهو سَيْرُ النعل الذي يوضع على ظهر القدم. انظر: لسان العرب (٥/ ٩٦).

٢- قال النووي: " قال العلماء: معناه: يكونون في سرعتهم إلى الشرور، وقضاء الشهوات، والفساد، كطيران الطير، وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العادية ". شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٨).

٣- وهذا النفخ يكون بعد حشر الناس إلى الشام، وهو محذوف في الحديث لوضوحه، ودلالة باقي النصوص عليه.

٤- سبق تخريجه (ص٢٩٦).

٥- قال النووي: " أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، والهرج -بإسكان الراء-: الجماع، يقال: هرج زوجته؛ أي: جامعها، يهرجها: بفتح الراء، وضمها،

السَّاعَةُ»[1].

وصحت أحاديث كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم؛ تصور حال الناس في تلك الفترة المظلمة؛ منها:

-عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللهُ اللهُ»[2].

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»[3].

وحينها يأذن الله بخروج نار من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، كما جاء مبيناً في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: (مَا تَذَاكَرُونَ؟)، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلاَثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[4].

وبيّنت الأحاديث أن هذه الأرض التي يُحشر الناس إليها هي أرض الشام، ومما جاء في ذلك:

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتَكُونُ

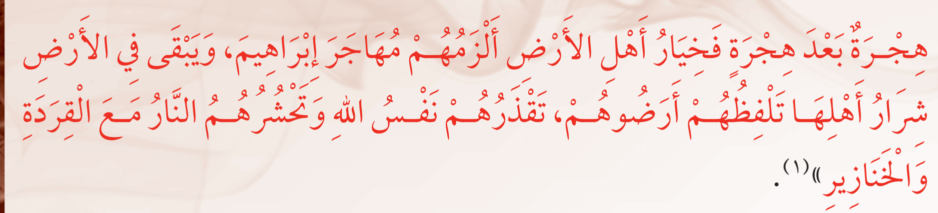
وكسرها". شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧٣).

١- سبق تخريجه (ص٢٦٩).

٢- مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (ص٨٣)، رقم (١٥٠) قال: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ به.

٣- مسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة (ص١١٨٤)، رقم (٢٩٤٩) قال: حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ (يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ)، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الأَقْمَرِ، عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ به.

٤- سبق تخريجه (ص٢٠٩).



هِجْـرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ فَخِيَارُ أَهْلِ الأَرْضِ أَلْزَمُهُـمْ مُهَاجَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَـا تَلْفِظُهُـمْ أَرَضُوهُـمْ، تَقْذَرُهُـمْ نَفْـسُ اللهِ وَتَحْشُرُهُـمُ النَّارُ مَـعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ»[1].

قـال ابـن رجب بعد إيراده هذا الحديث: «فهذا كله يدل على أن خيار الناس في آخـر الزمـان مهاجرون إلى مهاجـر إبراهيم عليه السلام (وهي الشـام) طوعاً فيجتمعون فيها، وأما شرار الناس فيحشرون كرهاً، تحشرهم النار من بلادهم إلى الشام»[2].

– وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أبيه رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَـارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»[3].

– وعن بَهْزٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: (هَاهُنَا). وَنَحَـا بِيَـدِهِ نَحْـوَ الشَّـامِ، قَـالَ: «إِنَّكُـمْ مَحْشُـورُونَ رِجَـالًا وَرُكْبَانًا وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ»[4].

– وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبدَ الله بن سـلام مَقْدَمُ رسـول الله ﷺ المدينة، فأتاه، فقـال: إني سـائلك عـن ثـلاث لا يعلمهـن إلا نبي، مـا أول أشراط السـاعة؟... فقـال رسـول الله ﷺ: «أما أول أشراط السـاعة: فنار تحشر النـاس من المشرق إلى المغرب...»[5].

وهـذا نـصٌّ عـلى أن الحـشر يكـون إلى بلاد الشـام. قـال ابن رجـب: «والمراد

١- سبق تخريجه (ص٨٠).

٢- انظر: (ص٨٣).

٣- سبق تخريجه (ص٨٣).

٤- سبق تخريجه (ص٨٥).

٥- البخـاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلـق آدم وذريته (ص٦٣٥)، رقم (٣٣٢٩) قال: حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا الفزاري، عن حميد به.

بالغرب ههنا والله أعلم: الشام»[1]، وقال ابن حجر مبيناً ذلك: «وأما جَعْل الغاية إلى المغرب، فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب»[2].

وهذا الحديث يعارض -في الظاهر- حديث حذيفة بن أسيد المذكور آنفاً من وجهين:

الأول: أنه ذكر النار هنا على اعتبار أنها أول الأشراط، وفي حديث حذيفة نصَّ على أنها آخرها، فكيف الجمع؟

قال ابن حجر: «ويجمع بينهما: بأن آخريَّتَها باعتبار ما ذُكر معها من الآيات، وأوَّليَّتَها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذُكر معها، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا...»[3].

الثاني: أنه ذكر هنا: أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وفي حديث حذيفة نصَّ على خروجها من قعر عدن، فما وجه الجمع هنا؟

قال ابن حجر: «وظهر لي في وجه الجمع: أن كونها تخرج من قعر عدن، لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب؛ وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب): إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق...»[4].

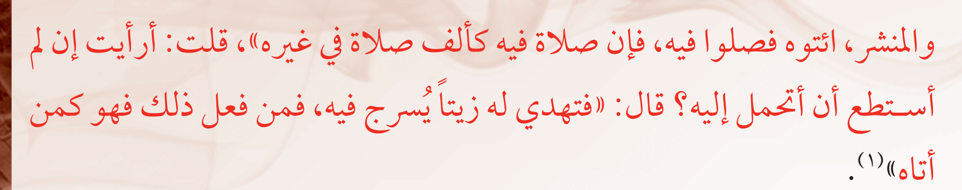
هذا ما صح في الحشر إلى بلاد الشام، وأما حديث ميمونة رضي الله عنها مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر

١- فضائل الشام (ص٢٢٥).

٢- فتح الباري (١١/ ٤٦٠).

٣- المصدر السابق (١٣/ ١٠٣).

٤- المصدر السابق (١٣/ ١٠٣).



والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»، قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتاً يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»[1].

فهذا الحديث لم يصح عن النبي ﷺ، كما هو مبيَّنٌ في الحاشية.

وكذلك حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: الصلاة في مسجدك أفضل أم الصلاة في بيت المقدس؟ فقال: «الصلاة في مسجدي مثل أربع صلوات في مسجد بيت المقدس، ولنعم المصلى هو، أرض المحشر وأرض المنشر»[2].

فهذا الحديث -أيضاً- لم يثبت عن رسول الله ﷺ.

مسألة: أي العلامتين تسبق الأخرى: هبوب الريح، أم حشر الناس إلى بلاد الشام؟

الذي يظهر وتدل عليه النصوص: أن هبوب الريح سابق لحشر الناس إلى بلاد الشام؛ وذلك أن الريح إذا هبت فلن يبقى بعد ذلك مؤمنٌ أبداً، و« لا يبقى إلا الشرار... فعليهم تقوم الساعة[3]، والذي دعاني إلى عرض هذه المسألة -مع

١- ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس (ص٢٥٠)، رقم (١٤٠٧) واللفظ له، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الله الرَّقِّي، وأحمد (٤٥/ ٥٩٨)، رقم (٢٧٦٢٦) بنحوه، حدثنا علي بن بَحْر، كلاهما عن عيسى بن يونس، حدثنا ثور بن يزيد، عن زياد بن أبي سودة، عن أخيه عثمان بن أبي سودة به.

- وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف زياد بن أبي سودة وأخيه، قال ابن القطان: " زياد وعثمان ممن يجب التوقف في روايتهما "، وقال الذهبي عن هذا الحديث: " هذا حديث منكر جداً ".

- ميزان الاعتدال (٢/ ٢٨٠)، وقال الألباني -في تعليقاته المرفقة بسنن ابن ماجه-: منكر، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وفصل القول في تضعيفه هشام العارف في كتابه: النقد والإحصا للأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل القدس والمسجد الأقصى (ص١٦-٢٠)، وصححه أبو محمد السكندري في "الإلمام بفضائل الشام" (ص٩٥)، وهو متعقَّب بما سبق.

٢- انظر -في تخريجه وبيان ضعفه-: (ص٢٢١).

٣- فتح الباري (١٣/ ١٠٧).

ظهورها ووضوحها- أن بعض من صنَّفوا في الفتن والملاحم وأشراط الساعة يرون خلاف ذلك؛ وهو أن الناس يُحشرون أولاً، ثم تهب الريح فتقبض أرواح المؤمنين منهم، وهو ظاهر صنيع الشيخ مصطفى العدوي [١]، ومحمود عطية [٢]، حيث ذكر كل منهما ما يتعلق بحشر الناس إلى الشام، ثم أتبع ذلك بذكر الريح القابضةِ أرواحَ المؤمنين، وكلاهما سار في كتابه على الترتيب الزمني لأشراط الساعة.

وصرَّح بذلك أخونا الباحث عماد الدين البراوي، حيث قال في سياق حديثه عن هبوب الريح، وبعد نقل كلام الإمام النووي[٣] في ذلك: «والذي يختاره الباحث: هو أنه كما فهمنا مما ورد في أحاديث النار التي تحشر الناس إلى أرض المحشر، فإن ذلك يعني أن الناس جميعاً قد جُمعوا على أرض الشام، فتأتيهم الريح هذه فتقبض أرواح المؤمنين منهم، ثم يبقى شرار الناس في أرض المحشر حتى يأذن الله بالنفخة»[٤].

وهذا لا يتوافق مع الأحاديث التي أوردناها، وأكثر أهل العلم على خلافه، ويرون أن هبوب الريح سابق للحشر إلى بلاد الشام[٥].

مسألة: هل هذا الحشر يكون في الدنيا أم في الآخرة؟

ذهب جماهير أهل العلم إلى أنه يكون في آخر عمر الدنيا، قبل قيام الساعة،

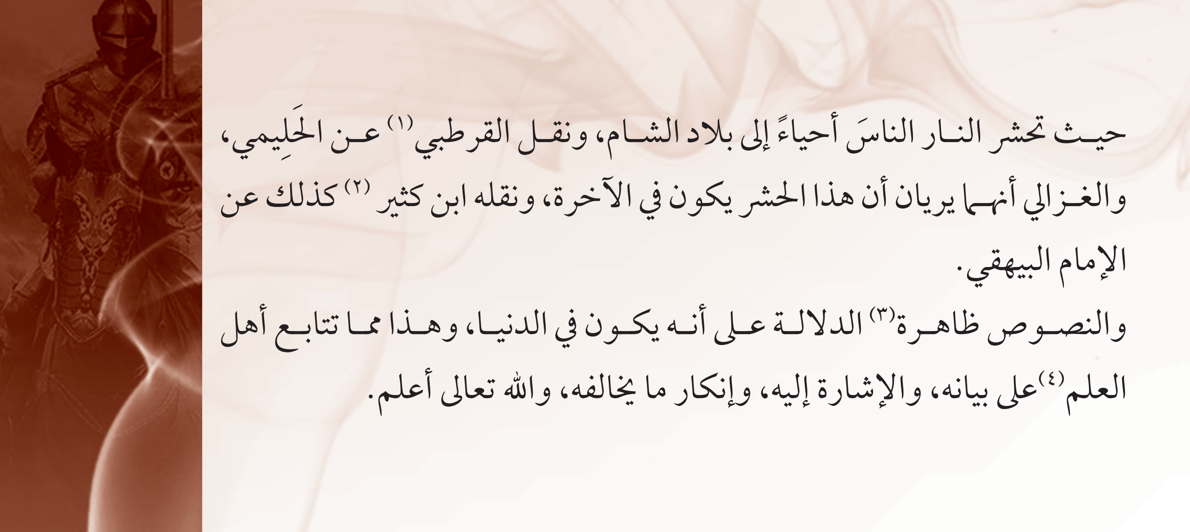
١- انظر: الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة (ص٥٥٦-٥٦٤).

٢- انظر: فقد جاء أشراطها (ص٤٤٤-٤٥٢).

٣- وهو قوله: " ويجاب عن ذلك بوجهين..."، وتقدَّم (ص٢٩٧).

٤- الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام (ص١٢١).

٥- انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٣٥٤)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص٣٠٥وما بعدها)، والإذاعة لما كان وما سيكون بين يدي الساعة (ص٩٥-٩٦)، ونهاية التاريخ (ص١٣٠-١٣٧)، وأشراط الساعة وأسرارها (ص٩٦-١٠٠) لسلامة جبر، والإذاعة بالصحيح من أشراط الساعة (ص٩٩-١٠١) لأسامة الجمَّال، والأيام الأخيرة في عمر الزمن (ص٤٧)، وغيرهم كثير.



حيث تحشر النار الناسَ أحياءً إلى بلاد الشام، ونقل القرطبي[1] عن الحَلِيمي، والغزالي أنهما يريان أن هذا الحشر يكون في الآخرة، ونقله ابن كثير[2] كذلك عن الإمام البيهقي.

والنصوص ظاهرة[3] الدلالة على أنه يكون في الدنيا، وهذا مما تتابع أهل العلم[4] على بيانه، والإشارة إليه، وإنكار ما يخالفه، والله تعالى أعلم.

١- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥١٦-٥١٨).

٢- النهاية في الفتن والملاحم (ص٨٦).

٣- ولا أظهر في الدلالة على ذلك من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ نَحْوِ حَضْرَمَوْتَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ)، والذي تقدم تخريجه (ص٨٣)، وهو صريحٌ بأن الحشر إنما يكون قبل يوم القيامة.

٤- انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٥١٨-٥٢٠)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ١٩٢)، والنهاية في الفتن والملاحم (ص١٨٦)، وفتح الباري (١١/ ٤٦٤)، والإشاعة لأشراط الساعة (ص٣١٩-٣٢٠)، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (ص٩٦-٩٧)، وإتحاف الجماعة (٣/ ٢٤٦)، ولولا خشية الإطالة لنقلت كلام الأئمة، واستدلالاتهم في ذلك.





الخاتمة

وبعد: هذا ما أردت قوله، فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وإني أستعذر إلى الله تبارك وتعالى من الخطأ والزلل، ثم إلى عباده المؤمنين، وحسبي أني ما ادخرت وسعاً في الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، ولقد انتهيت بعد هذا التطواف في كتب السنة، والفتن، والملاحم، وأشراط الساعة إلى نتائج وتوصيات:

أما النتائج، فهي:

١- أن بلاد الشام قد حباها الله بالفضائل والمكرمات، واختصها ورسولُه ﷺ بما لم يُختص به بلد من البلدان.

٢- أن عناية النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم ببلاد الشام كانت عظيمة، ولذلك توجهت همتهم إلى فتحها، وضمها تحت لواء الإسلام.

٣- أن الفتن تشتد وتعظم في آخر الزمان، وأنه كلما تقادم عهد النبوة كانت الفتن أشد وأعظم، وهذا لا ينافي ما بشر به النبي ﷺ أمته من الفتوحات والانتصارات في آخر الزمان.

٤- أن الفتن إذا أطلت برأسها، وأظلم ليلها البهيم، فإن أهل الشام أسلم الناس من الوقوع فيها، والتلبس بها، والانجرار وراءها، وبلادَهُم آمَنُ بلاد الله تبارك وتعالى من أن يصلها شرُّها ولهيبها.

٥- أن النبي ﷺ لما علم استقرار العلم والإيمان في آخر الزمان بالشام، وأن الله قد تكفل بها وحفظها وأهلَهَا؛ حث أمته حثاً أكيداً على سكناها والهجرة إليها؛ بل

أخبر ﷺ أن خيار أهل الأرض أثبتهم فيها، وألزمهم إياها.

٦- أن أهل الشام ميزان القسط الذي توزن به أمة الإسلام، فبفسادهم يفسد أهل الإسلام، وبصلاحهم يصلحون، وهذا لعمر الله يجعل التبعة على أهل الشام ثقيلة، والأمانة في أعناقهم عظيمة.

٧- أن الأمة إذا لم تحافظ على بلاد الشام بتوحيده، وتقويته، ونصرة أهله، فسيعود ذلك شؤماً على المسلمين كلهم، وستكون بلاد الشام حينها الثغرة التي تنفذ منها الأخطار، وتتسلل منها المصائب إلى أمة الإسلام.

٨- أن بلاد الشام أسعد بلاد الإسلام حظاً بالطائفة المنصورة، فهي (أي بلاد الشام) موطنها ومستقرها، لا سيما في آخر الزمان، أما في سائر الأزمان فإن الطائفة لا تنحصر في بلد معين، بل هي متفرقة في سائر البلاد، مع العلم أن بلاد الشام لا تخلو منها في أي زمن؛ للنصوص الواردة في ذلك.

٩- أن الانتماء إلى الطائفة المنصورة لا يتحقق إلا بمجموع أوصاف؛ من أهمها: العلم والقتال؛ فهما مذكورتان في أكثر النصوص، ولذلك كان قَوَامُ هذا الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾. (الفرقان:٣١).

١٠- أن العلم والإيمان، والنصر والجهاد لا زال في أهل الشام ثابتاً مستقراً مُذ طلع فجر الإسلام إلى أن يأتي أمر الله، وأن هذا الوصف ليس لغير الشام من بلاد الإسلام؛ حتى الحجاز التي هي أصل الإيمان.

١١- أن المسلمين يقاتلون اليهود قبل خروج الدجال، فيدمرون كيانهم، ويزيلون إفسادهم، ويتحول اليهود بعدها إلى أذلاء مستضعفين مشتتين في شتى البقاع.

١٢- وأنهم كذلك يقاتلونهم بعد خروج الدجال واتباعهم إياه، وفي هذه المرة الثانية يهلك اليهود عن آخرهم، وتستريح البشرية من ظلمهم وشرهم.

١٣- القول بأن الانتصار على اليهود لا يتم إلا بعد خروج الدجال، أو ظهور



المهدي قولٌ باطل، لا تسانده النصوص، بل هي دالة على خلافه.

١٤- أن الانتصار على اليهود لا يقع إلا على أيدي عباد الله المسلمين الصادقين، الذين يدخلون المعركة تحت راية الإسلام، وتحت شعار العبودية لله تبارك وتعالى، وأن الرايات العلمانية والقومية والبعثية والاشتراكية والجاهلية والعِمِّيَّة ما زادت الأمة إلا ضعفاً على ضعفها، ووهناً على وهنها.

١٥- أن الخلافة ستنزل بلاد الشام، ويتفيأ المسلمون ظلالها، وينعمون بها قبل ظهور المهدي عليه السلام.

١٦- أن بلاد الشام موطن اجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان، وليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام، وهذا إنما يقع عند اشتداد الفتن وفشوها وانتشارها.

١٧- أن المهدي إذا خرج فإنه يستقر ببلاد الشام، وأهل الشام هم أول الناس وأعظمهم نصرة لمحمد بن عبد الله المهدي.

١٨- أن الملحمة الكبرى بين المسلمين -بقيادة المهدي- والروم، تدور رحاها على ثرى بلاد الشام، وفيها يذل الله بني الأصفر، ويفتح للمسلمين بلادهم بعد الشدائد والتضحيات.

١٩- بعد انتصار المسلمين على الروم يخرج الدجال من جهة المشرق، ويتبعه اليهود، ويعيث في الأرض فساداً، وتشتد المحنة به على أهل الإيمان.

٢٠- يحاصر الدجال المسلمين في بيت المقدس، فينطلق عيسى والمهدي ومن معهما من المسلمين لنصرة إخوانهم في بيت المقدس، ويدرك عيسى عليه السلام الدجال عند باب لُد في فلسطين، ويقتله هناك، ويستريح المسلمون من أعظم فتنة مذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة.

٢١- تتتابع المحن على أهل الإيمان في آخر الزمان، فما أن يستريحوا من الدجال، حتى يخرج يأجوج ومأجوج، ويستطيلَ شرهم، ويعمَّ فسادهم، حتى يحصروا

عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين في جبل الطور، ثم يكشف الله الغمة عن أهل الإيمان بهلاكهم.

٢٢- أن عيش المسلمين يطيب بعد هلاك يأجوج ومأجوج، ويعيشون سنوات أمن وخير وبركة، ثم يضعف الإيمان في قلوب الناس، ويبدأ نجم الحياة بالأفول،

وتطلع الشمس من المغرب، وتخرج الدابة على الناس تميز أهل الكفر منهم عن أهل الإيمان.

٢٣- ثم يرسل الله تبارك وتعالى ريحاً طيبة باردة، تقبض روح كل مؤمن، فيبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فتخرج نار من أرض اليمن تحشر الناس إلى أرض المحشر بلاد الشام، وعلى هؤلاء تقوم الساعة.

وأما التوصيات:

١- فإني أوصي طلبة العلم والباحثين والدارسين بتعميق الدراسات حول ما يتعلق ببلاد الشام، واستشراف مستقبل الإسلام، وبيان المؤامرات التي تحاك ضدها في ضوء الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

٢- كما أنه ينبغي على الأمة أن تدرك الخطر المحدق ببلاد الشام، وأن تصحو من رقدتها وغفلتها، وأن تعلم أن بلاد الشام سياج أمان لها، فإن ضاعت وسقطت فعلى الأمة السلام.

٣- كما وأوصي بإصدار مجلات دورية خاصة متعلقة بالشام؛ تظهر فضلها، ومنزلتها، ودورها، وبقاعها، وعلماءها، ومستقبل الإسلام فيها،... إلخ.

٤- كما وأوصي بإصدار موسوعة تراجم لأعلام بلاد الشام وعلمائها ومجاهديها ونبلائها منذ عهد النبوة إلى عصرنا هذا، وبيان دورهم في نصرة هذا الدين، والذود عنه، وإفادة الأمة من تلك المآثر الخالدة.

الفهارس
العامة للبحث

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.





فهرس المصادر والمراجع

١- إتحاف الأنام بفضائل المسجد الأقصى والشام: هشام العارف، مركز بيت المقدس، قبرص، طـ١ - ١٤٢٥هـ.

٢- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود بن عبد الله التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢ - ١٤١٤هـ.

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، (ت٨٤٠هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، والسيد بن محمود بن إسماعيل، مكتبة الرشد، الرياض، ط١- ١٤١٩هـ.

٤- إتحاف النبلاء بسير العلماء: راشد بن عثمان بن أحمد الزهراني، دار الصميعي، الرياض، ط٢ -١٤١٨هـ.

٥- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت.

٦- أثر اختلاط سعيد بن أبي عروبة على مروياته في الكتب الستة (وهو مطبوع ضمن مجموعة رسائل حديثية): د. نافذ حسين عثمان حماد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ - ١٤٢٦هـ.

٧- أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١ - ١٤٠٢هـ.

٨- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنَّاء المقدسي البشاري (ت٣٧٥هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣ - ١٤١١هـ.

٩- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ - ١٤٠٥هـ.

١٠- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧ - ١٣٢٣هـ.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسين على بن أبي الكرم (ابن الأثير)(٦٣٠هـ)، دار الفكر، ط١- ١٤٢٣هـ.

١١- أشراط الساعة وأسرارها: محمد سلامة جبر، دار الاستامبولي، الكويت، ط١ - ١٤٠٩هـ.

١٢- أشراط الساعة: يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الدمّام، ط١٧ - ١٤٢٣هـ.

١٣- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللاكائي (ت٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط٣ - ١٤١٥هـ.

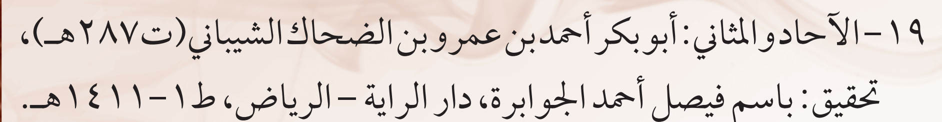
١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي، ط - ١٤٠٣هـ.

١٥- إكمال إكمال المعلم: أبو عبد الله محمد بن خلف الوشتاني الأُبي (ت٨٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٦- إكمال المعلم بفوائد مسلم: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (٥٤٤هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١ - ١٤١٩هـ.

١٧- أكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان: محمد أشرف سندهو، تحقيق: عبد القادر بن حبيب الله السندي، دار المنار، الخرج، ط٢ - ١٤١١هـ.

١٨- الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة: أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، تحقيق: عدنان عبد الله زُهَار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٢٣هـ.



١٩-الآحاد والمثاني: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية - الرياض، ط١-١٤١١هـ.

٢٠- الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر: حمود بن عبد الله بن حمود التويجري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ط١ - ١٤٠٣هـ.

٢١- الآداب الشرعية: محمد بن مفلح المقدسي (ت٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيَّام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣- ١٤١٩هـ.

٢٢- الإذاعة بالصحيح من أشراط الساعة: أسامة بن محمد الجمال، دار الصفا والمروة، الإسكندرية، طـ١ - ١٤٢٥هـ.

٢٣- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: أبو الطيب صديق بن حسن خان القنوجي (١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، طـ١ - ١٤٢٠هـ.

٢٤- الإرشاد في معرفة علماء الحديث: أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الفكر، مكة المكرمة، ط - ١٤١٤هـ.

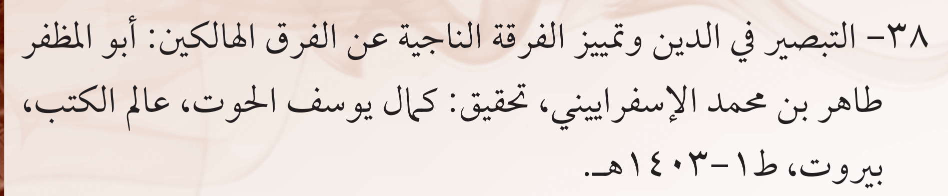
٢٥- الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل: إبراهيم العلي، منشورات فلسطين المسلمة، ط١ - ١٩٩٦.

٢٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ)، دار الفكر، ط١- ١٤٢٣هـ.

٢٧- الإسلام والقضية الفلسطينية: عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٢ - ١٤٢٣هـ.

٢٨- الأسماء والصفات: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١ - ١٤١٣هـ.

٢٩- الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول البرزنجي الحسيني (ت١١٠٣هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط -١٤٢٣هـ.
٣٠- الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ.
٣١- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة: عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم (ابن شداد) (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبَّارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط - ١٩٩١.
٣٢- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩ - ١٩٩٠.
٣٣- الإلمام بفضائل الشام: أحمد بن شحاته السكندري، دار الصفا والمروة، الإسكندرية، طـ١ - ١٤٢٦هـ.
٣٤- الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط - ١٤٠٨هـ.
٣٥- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي العليمي (ت٩٢٧هـ)، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد أبو تبانة، مكتبة دنديس، الأردن، ط١ - ١٤٢٠ هـ.
٣٦- الأيام الأخيرة في عمر الزمن: عدنان طه، دار البيارق، بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ.
٣٧- التاريخ الكبير: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، دون رقم طبعة وسنة نشر.



٣٨- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١-١٤٠٣هـ.

٣٩- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٤٠- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٢ - ١٤٢٦هـ.

٤١- الترغيب والترهيب: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١ - ١٤١٥هـ.

٤٢- التصريح بما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور شاه الكشميري الهندي (ت١٣٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام، حلب، ط١ - ١٣٨٥هـ.

٤٣- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٤٤- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٢٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ط١-١٣٨٩هـ.

٤٥- التوشيح شرح الجامع الصحيح: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ - ١٤١٩هـ.

٤٦- الجامع الصحيح المختصر من سنن رسول الله وأيامه: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط - ١٤١٩هـ.

٤٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ - ١٤٠٥هـ.

٤٨- الجامع لشعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٤٩- الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

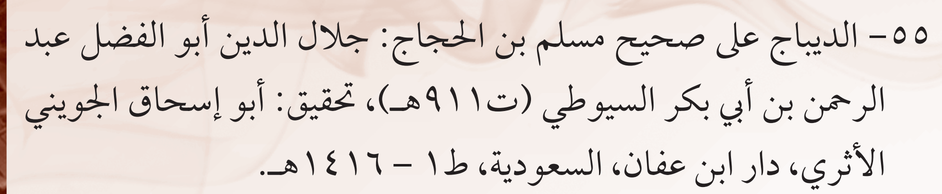
٥٠- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار البصيرة، الإسكندرية، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٥١- الجهاد والاجتهاد، تأملات في المنهج: عمر بن محمود أبو عمر، دار البيارق، الأردن، ط١ - ١٤١٩هـ.

٥٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: علي حسن ناصراً وعبد العزيز إبراهيم العسكر، وحمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، ط١ - ١٤١٤هـ.

٥٣- الخراج: يحيى بن آدم القرشي، دار المعرفة، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٥٤- الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي عليه السلام: د. سعد عبد الله عاشور، و د. نسيم شحدة ياسين، بحث لم ينشر.



٥٥- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الجويني الأثري، دار ابن عفان، السعودية، ط١ - ١٤١٦هـ.

٥٦- الروض المعطار في خبر الأقطار: محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢ - ١٩٨٤.

٥٧- السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: أبو الطيب صديق بن حسن خان القنوجي (ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد التواب هيكل، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ط١ - ١٤١٧هـ.

٥٨- السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط٢-١٤١٥هـ.

٥٩- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، دار العاصمة، السعودية، ط١ - ١٤١٦هـ.

٦٠- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة: مصطفى العدوي، مكتبة الإيمان، المنصورة.

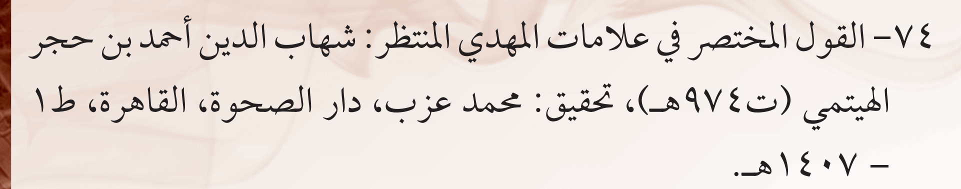
٦١- الضعفاء الصغير: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١ - ١٤٠٦هـ.

٦٢- الضعفاء والمتروكن: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ - ١٤٠٦هـ.

٦٣- الضعفاء والمتروكون: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١ - ١٤٠٦هـ.

٦٤- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط١ - ١٣٧٧هـ.

٦٥- العراق في أحاديث وآثار الفتن: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة الفرقان، دبي، طـ١ - ١٤٢٥هـ.
٦٦- العلل الواردة في الأحاديث النبوية: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ط١- ١٤٠٥هـ.
٦٧- الفائق في غريب الحديث: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، دون رقم طبعة وسنة نشر.
٦٨- الفتن: أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت٢٢٩هـ)، تحقيق: أحمد بن شعبان، محمد بن عيادى، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١ - ١٤٢٤هـ.
٦٩- القبس في شرح موطأ ابن أنس: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: أيمن الأزهري، وعلاء الأزهري، دار الكتب العلمية، ط١ - ١٤١٨هـ.
٧٠- القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١ - ١٤٢١هـ.
٧١- القدس قضية كل مسلم: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط٢ - ١٤٢١هـ.
٧٢- القناعة فيما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الوهاب العقيل، أضواء السلف، الرياض، ط١ - ١٤٢٢هـ.
٧٣- القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوقيفية، دون رقم طبعة وسنة نشر.



٧٤- القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق: محمد عزب، دار الصحوة، القاهرة، ط١ - ١٤٠٧هـ.

٧٥- القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢ - ١٤٢٤هـ.

٧٦- القيامة الصغرى: عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، ودار السلام، القاهرة، ط - ١٤٢٦هـ.

٧٧- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، قدم له وعلق عليه: محمد غوامة، وخرج نصوصه: أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١ - ١٤١٣هـ.

٧٨- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ابن الأثير) (ت٦٣٠هـ)، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١-١٤٠٧هـ.

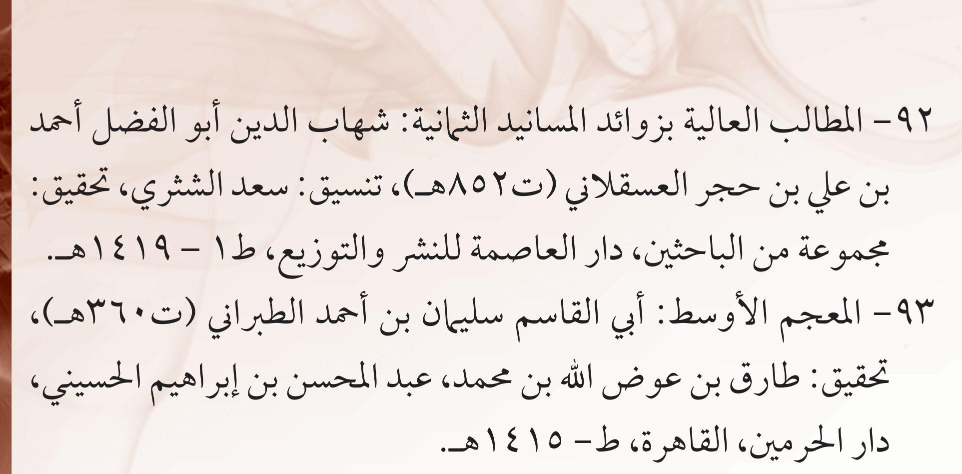
٧٩- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣ - ١٤٠٩هـ.

٨٠- الكنى: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

٨١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢-١٤٠١هـ.

٨٢- الكواكب النيرات: أبو البركات محمد بن أحمد بن يوسف الذهبي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار العلم، الكويت.

٨٣- المؤامرة الكبرى على بلاد الشام: محمد فاروق الخالدي، دار الراوي، السعودية، ط١ - ١٤٢١هـ.
٨٤- المبشرات بانتصار الإسلام: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط١ - ١٤١٧هـ.
٨٥- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط٣ - ١٤٠٤هـ.
٨٦- المختار المصون من أعلام القرون: محمد بن حسين بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١ - ١٤١٥هـ.
٨٧- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ - ١٤٢٠هـ.
٨٨- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط - ١٤١٩هـ.
٨٩- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الحديث، القاهرة، ط - ١٤٢٤هـ.
٩٠- المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، دون رقم طبعة وسنة نشر.
٩١- المصنف: أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوَّامة، دار قرطبة، بيروت، ط١ - ١٤٢٧هـ.



٩٢- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تنسيق: سعد الشثري، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١ - ١٤١٩هـ.

٩٣- المعجم الأوسط: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط- ١٤١٥هـ.

٩٤- المعجم الكبير: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، دون سنة نشر.

٩٥- المعجم الوسيط: إبراهيم مؤنس وآخرون، دار المعارف، مصر، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٩٦- المعلم بفوائد مسلم: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد الشادلي النيفر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، ط٢ - ١٩٨٨.

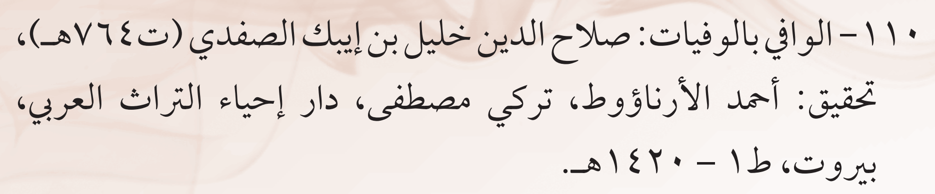
٩٧- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوقيفية، مصر، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٩٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١ - ١٤١٧هـ.

٩٩- المقالات القصار في فتاوى الأحاديث والأخبار: أبو محمد أحمد بن شحاتة السكندري، دار الصفا والمروة، الإسكندرية، ط١ - ١٤٢٦هـ.

١٠٠- الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام: عماد الدين شحتة البراوي، ط- ١٤٢٨هـ، رسالة علمية (ماجستير) لم تنشر.

١٠١- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٦ - ١٤١٤هـ.
١٠٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ت: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٧ - ١٤٢١هـ.
١٠٣- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء: عبد العليم عبد العظيم البستوي، المكتبة المكية، دار بن حزم، ط١ - ١٤٢٠هـ.
١٠٤- المهدي: محمد بن إسماعيل المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية، ط٤ - ١٤٢٥هـ.
١٠٥- الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة: عبد العليم عبد العظيم البستوي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، دار بن حزم، ط١ - ١٤٢٠هـ.
١٠٦- الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: محمد أحمد المبيض، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١ - ١٤٢٥هـ.
١٠٧- النقد والإحصا للأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضل القدس والمسجد الأقصى: أبو عبد الرحمن هشام بن فهمي العارف المقدسي، شركة النور، بيرنبالا، فلسطين، دون رقم طبعة وسنة نشر.
١٠٨- النهاية في الفتن والملاحم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، ط١ - ١٤٢١هـ.
١٠٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١ - ١٤٢١هـ.



١١٠- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ - ١٤٢٠هـ.

١١١- بذل المجهود في حل أبي داود: خليل أحمد السهارنفوري، تحقيق: محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٢- بغية الحارث عن زوائد مسند الحارث: نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، السعودية، ط١ - ١٤١٣هـ.

١١٣- بغية الزائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ط - ١٤١٢هـ.

١١٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

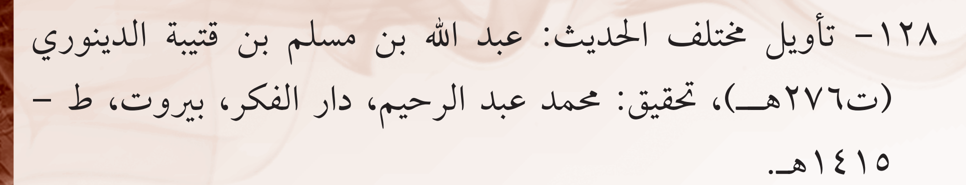
١١٥- بلاد الشام أرض رباط وجهاد وحسم إلى يوم القيامة: محمد بن سعيد البارودي، دار عمّار، عمّان - الأردن، ط١ - ١٤٢٠هـ.

١١٦- بلاد الشام ومستقبل الإسلام: سليم الهلالي وجماعة من مشايخ الأردن، الدار الأثرية، عمّان - الأردن، ط١ - ١٤٢٥هـ.

١١٧- بلدة طيبة فضائل اليمن وأهلها في الكتاب والسنة: أبو عبد الله فيصل بن عبدة قائد الحاشدي، مكتبة الألباني، صنعاء، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١ - ١٤٢٦هـ.

١١٨- بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف: سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دولة الإمارات، ط١ - ١٤٢٣هـ.

١١٩- بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة: محمد محمد حسن شراب، ط١ - ١٤١٥هـ.
١٢٠- تاريخ ابن معين، رواية عثمان الدارمي: أبو زكريا يحيى بن معين (ت٢٣٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق، ط - ١٤٠٠هـ.
١٢١- تاريخ أبي زرعة الدمشقي: أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري الدمشقي (ت٢٨١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١ - ١٤١٧هـ.
١٢٢- تاريخ أسماء الثقات: أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية، الكويت، ط١ - ١٤٠٤هـ.
١٢٣- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢-١٤١٣هـ.
١٢٤- تاريخ الدولة العثمانية: علي حسّون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ - ١٤١٥هـ.
١٢٥- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، دار الفكر، دون رقم طبعة وسنة نشر.
١٢٦- تاريخ خليفة بن خياط العصفري(ت٢٤٠هـ): تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ط - ١٤١٤هـ.
١٢٧- تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (ابن عساكر) (ت٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن عزامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط - ١٤١٥هـ.



١٢٨- تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، ط - ١٤١٥هـ.

١٢٩- تجريد أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم جرحاً وتعديلاً مقارنة مع أقوال أئمة الجرح والتعديل: عمر بن محمود أبو عمر، حسن محمود أبو هنية، مكتبة المنار، ط١ - ١٤٠٨هـ.

١٣٠- تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن: أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، مكتبة ابن عباس، مصر، مكتبة السلف الصالح، جدة، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٣١- تحرير تقريب التهذيب: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ - ١٤١٧هـ.

١٣٢- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط - ١٤٢٦هـ.

١٣٣- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق: أبو الحسن علي بن محمد الربعي (ت٤٤٤هـ)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ - ١٤٢٠هـ.

١٣٤- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، ط١-١٤١٩هـ.

١٣٥- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام: عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط١ - ١٤٠٧هـ.

١٣٦- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، اعتنى به: أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤١٦هـ.

١٣٧- تغليق التعليق على صحيح البخاري: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، الأردن، ط١- ١٤٠٥هـ.

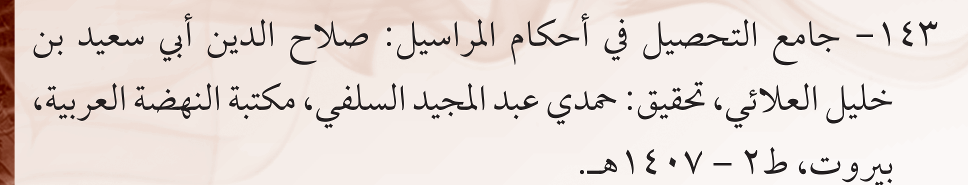
١٣٨- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، قطاع الثقافة، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٣٩- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط١ - ١٤١٥هـ.

١٤٠- تقريب التهذيب: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، ط٢ - ١٤٢٣هـ.

١٤١- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، اعتنى به: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، دار المشكاة، ط١- ١٤١٦هـ.

١٤٢- تهذيب التهذيب: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط١ - ١٤١٥هـ.



١٤٣- جامع التحصيل في أحكام المراسيل: صلاح الدين أبي سعيد بن خليل العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط٢ - ١٤٠٧هـ.

١٤٤- حاشية السندي على سنن النسائي: نور الدين أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (ت١١٣٨هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، ط٥ - ١٤٢٠هـ.

١٤٥- حاشية السيوطي على النسائي: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، ط٥ - ١٤٢٠هـ.

١٤٦- حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية: صلاح الخالدي، دار المستقبل، فلسطين، ط٣، دون سنة نشر.

١٤٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ - ١٤٠٥هـ.

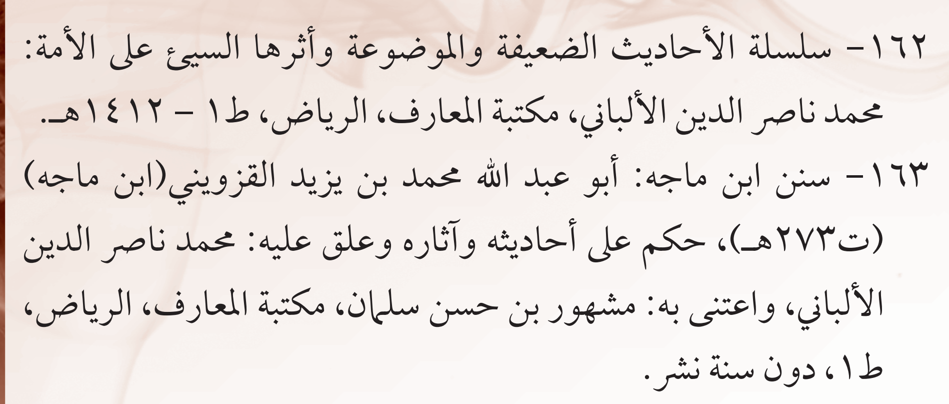
١٤٨- حمى سنة ٢٠٠٠ نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين: عبد العزيز مصطفى كامل، دار المنتدى الإسلامي، لندن، ط١ - ١٤٢٠هـ.

١٤٩- خدعة هرمجدون: محمد إسماعيل المقدم، دار بلنسية، الرياض، ط١ - ١٤٢٤هـ.

١٥٠- خطط الشام: محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط٣ - ١٤٠٣هـ.

١٥١- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، دار صادر، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٥٢- درس النكبة الثانية لماذا انهزمنا.. وكيف ننتصر: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ - ١٤٢١هـ.
١٥٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج أحاديثه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٠٨هـ.
١٥٤- دليل الفالحين: محمد بن علّان الصديقي الشافعي (ت١٠٥٧هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط١ - ١٤١٩هـ.
١٥٥- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي الولوي، دار المعراج الدولية، الرياض، دار آل بُروم، مكة، ط١-١٤١٦هـ.
١٥٦- ذيل الأضداد: رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني (ت٦٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.
١٥٧- رد السهام عن كتاب عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية.
١٥٨- رسالة إلى طلائع الطائفة المنصورة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس: إعداد مجلة البيان، الرياض، ط١ - ١٤٢٥هـ.
١٥٩- زاد المعاد في هدي خير العباد: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ابن قيم الجوزية) (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عمر الفرماوي، وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، مصر، ط١- ١٤٢٠هـ.
١٦٠- سؤالات البرقاني للدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، باكستان، ط١ - ١٤٠٤هـ.
١٦١- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط - ١٤١٥هـ.



١٦٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ - ١٤١٢هـ.

١٦٣- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ابن ماجه (ت٢٧٣هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، دون سنة نشر.

١٦٤- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، دون سنة نشر.

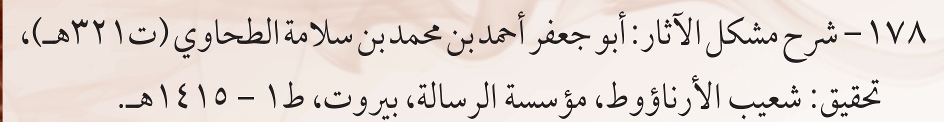
١٦٥- سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، دون سنة نشر.

١٦٦- سنن الدراقطني: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط - ١٤٢٤هـ.

١٦٧- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، دون سنة نشر.

١٦٨- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، وحققه: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١ - ١٤٢٢هـ.

١٦٩- سيرة صلاح الدين الأيوبي: أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ابن شداد) (ت٦٣٢هـ)، دار المنار، القاهرة، ط١ -١٤٢١هـ.
١٧٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ابن العماد الحنبلي) (ت١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.
١٧١- شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ - ١٤٠٣هـ.
١٧٢- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١ - ١٤١٧هـ.
١٧٣- شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين، دار البصيرة، مصر، دون رقم طبعة وسنة نشر.
١٧٤- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة العلم، القاهرة.
١٧٥- شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ابن بطال) (ت٤٤٩هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١-١٤٢٠هـ.
١٧٦- شرح علل الترمذي: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ - ١٤٢١هـ.
١٧٧- شرح كتاب التوحيد: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الاستقامة، القاهرة، ط١ - ١٤٢٦هـ.



١٧٨- شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ.

١٧٩- شرف أصحاب الحديث: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١ - ١٤١٧هـ.

١٨٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ - ١٤١٤هـ.

١٨١- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط - ١٤٠٠هـ.

١٨٢- صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط٢ - ١٤١٤هـ.

١٨٣- صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها: عبد المنعم مصطفى حليمة، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٨٤- صفة الغرباء (الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة): سلمان بن فهد العودة، مركز الصديق العلمي، صنعاء اليمن، مكتبة دار القدس، صنعاء اليمن، ط٤ - ١٤٢١هـ.

١٨٥- صلاة العيدين في المصلى هي السنة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٦هـ.

١٨٦- طبقات الشافعية: تقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر (ابن قاضي شهبة) الدمشقي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عالم الكتب، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٨٧- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ - ١٤٢٠هـ.

١٨٨- طبقات المدلسين: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد عزب، دار الصحوة، القاهرة، ط١ - ١٤٠٧هـ.

١٨٩- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٩٠- عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١- ١٤٢٧هـ.

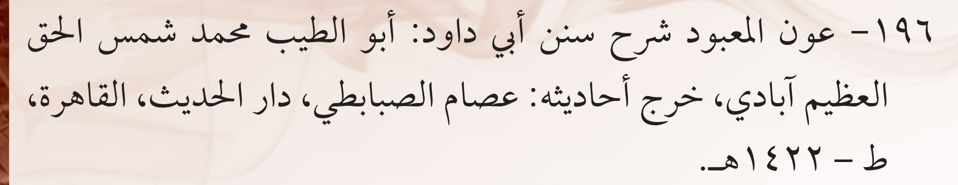
١٩١- عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر: عبد المحسن بن حمد العباد، مكتبة السنة، مصر، ط١ - ١٤١٦هـ.

١٩٢- علامات الساعة دراسة تحليلية: رفاعي سرور، دار الفرقان، الإسكندرية، دون رقم طبعة وسنة نشر.

١٩٣- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير(مختصر تفسير القرآن العظيم): أحمد شاكر، دار الوفاء، ط٢- ١٤٢٦هـ.

١٩٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٢١هـ.

١٩٥- عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوقيفية، مصر، ط٢ - ١٤١٧هـ.



١٩٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، خرج أحاديثه: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط - ١٤٢٢هـ.

١٩٧- غريب الحديث: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١ - ١٤٠٥هـ.

١٩٨- غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي (ابن الجوزي) (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ١٩٨٥ هـ.

١٩٩- غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١ - ١٤٠٢هـ.

٢٠٠- غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ -١٣٩٦هـ.

٢٠١- غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١ - ١٣٩٧هـ.

٢٠٢- فتاوى من أجل فلسطين: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، مصر، ط١ - ١٤١٧هـ.

٢٠٣- فتح العليم العلام بالرد على كتاب هرمجدون: عادل زكي، دار المحجة، أبو ظبي، ط١ - ١٤٢٥هـ.

٢٠٤- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٤ - ١٤٢٢هـ.

٢٠٥- فتح المنعم شرح صحيح مسلم: موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٢٠٦- فضائل الشام: أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، طـ١ - ١٤٢٢هـ.

٢٠٧- فضائل الشام: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، طـ١ - ١٤٢٢هـ.

٢٠٨- فضائل الشام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت٧٤٤هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، طـ١ - ١٤٢٢هـ.

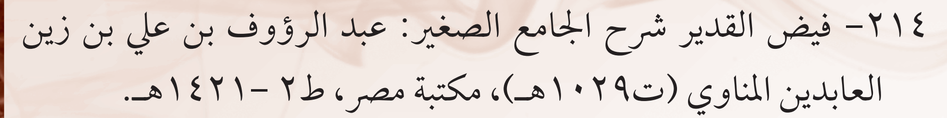
٢٠٩- فضائل الشام: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي الأسيوطي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، طـ١ - ١٤٢٢هـ.

٢١٠- فقد جاء أشراطها: محمود عطية محمد علي، تقديم: حسين العوايشة، دار المعالي، عمَّان، ط٣ - ١٤١٩هـ.

٢١١- فقه أشراط الساعة: محمد بن إسماعيل المقدّم، الدار العالمية، الإسكندرية، طـ١ - ١٤٢٥هـ.

٢١٢- فلسطين التاريخ المصور: طارق سويدان، مكتبة دار الإعلام، نابلس، ط٥ - ١٤٢٦هـ.

٢١٣- فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى: صالح الرقب، ط١ - ١٤١٨هـ.



٢١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين المناوي (ت١٠٢٩هـ)، مكتبة مصر، ط٢ -١٤٢١هـ.

٢١٥- قبل الكارثة نذير ونفير: عبد العزيز بن مصطفى كامل، المنتدى الإسلامي، لندن، ط١ - ١٤٢١هـ.

٢١٦- قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمّان، الأردن، طـ١ - ١٤٢١هـ.

٢١٧- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ - ١٤٠٥هـ.

٢١٨- كتاب الإيمان: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (ت٣٩٥هـ)، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ - ١٤٠٦هـ.

٢١٩- كتاب التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ت: نصر الدين تونسي، شركة القدس، القاهرة، ط١- ٢٠٠٧.

٢٢٠- كتاب المدلسين (وهو مطبوع ضمن مجموعة رسائل حديثية): ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت٨٢٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١-١٤٢٦هـ.

٢٢١- كتب في ميزان الشرع: محمد أحمد المبيض، ط١ - ٢٠٠٣.

٢٢٢- كشف الكربة في وصف أهل الغربة: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، خرج أحاديثه: فريد بن محمد فويله، دار ابن رجب، مصر، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٢٢٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين: أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي (ابن الجوزي) (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البوَّاب، دار الوطن، ط١-١٤١٨هـ.

٢٢٤- كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن: محمود رجب حمادي الوليد، دار ابن حزم، بيروت، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٢٢٥- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ)، دار الحديث، مصر، ط -١٤٢٣هـ.

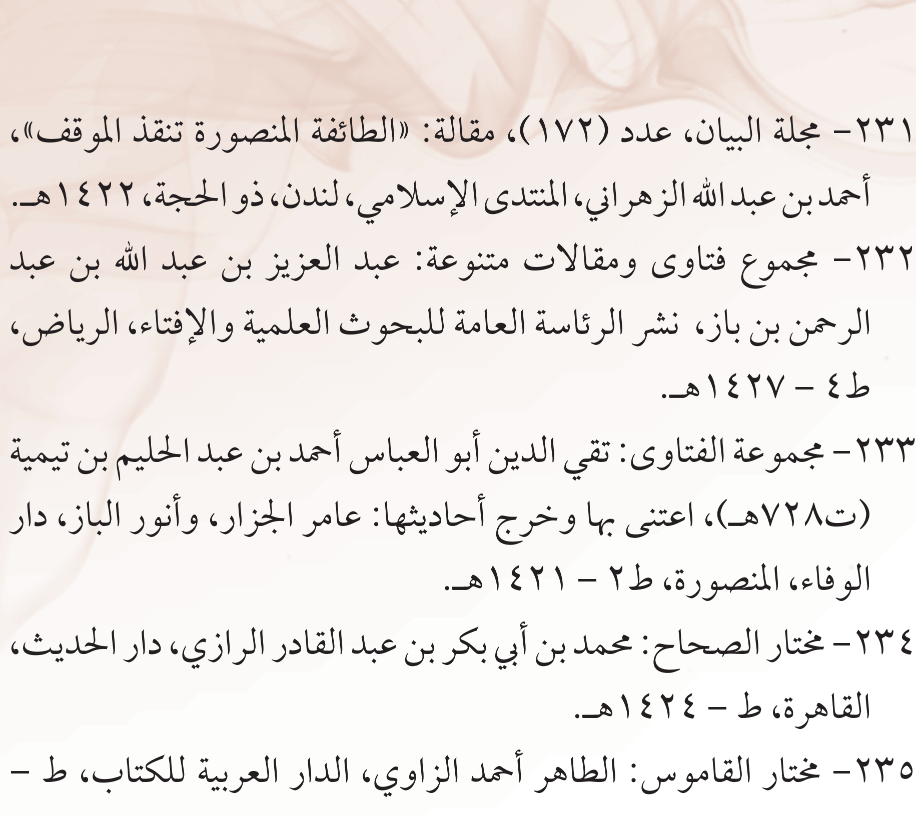
٢٢٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١-١٤٢٠هـ.

٢٢٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢ - ١٤٠٢هـ.

٢٢٨- مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام: شهاب الدين أحمد بن محمد بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي (ت٧٦٥هـ)، تحقيق: أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ.

٢٢٩- مجلة البيان، العدد (٤٩)، مقالة: « في موسم الجفاف يُجتث نخلنا وينمو غرقدهم »، خالد السيف، المنتدى الإسلامي، لندن، رمضان، ١٤١٢هـ.

٢٣٠- مجلة البيان، عدد (١٥١)، مقالة: « دولة اليهود آخر الزمان »، محمد الأمين الشنقيطي، ربيع الأول، ١٤٢١هـ.



٢٣١- مجلة البيان، عدد (١٧٢)، مقالة: «الطائفة المنصورة تنقذ الموقف»، أحمد بن عبد الله الزهراني، المنتدى الإسلامي، لندن، ذو الحجة، ١٤٢٢هـ.

٢٣٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٤ - ١٤٢٧هـ.

٢٣٣- مجموعة الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ)، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ط٢ - ١٤٢١هـ.

٢٣٤- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الحديث، القاهرة، ط - ١٤٢٤هـ.

٢٣٥- مختار القاموس: الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ط - ١٩٨٣.

٢٣٦- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد (ابن الملقن) (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: سعيد بن عبد الله آل حميد، دار العاصمة، الرياض، ط١-١٤١١هـ.

٢٣٧- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١ -١٤٢٢هـ.

٢٣٨- مسائل الإمام أحمد، رواية ابن هانئ النيسابوري: تحقيق: زهير الشايش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١ -١٤٠٠هـ.

٢٣٩- مسالك الممالك: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (ت٤٣٦هـ)، دار صادر، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٢٤٠- مستقبل الإسلام دراسة تحليلية موضوعية في ضوء الكتاب والسنة: نزار عبد القادر محمد ريان، رسالة علمية (دكتوراة) لم تنشر.

٢٤١- مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر.

٢٤٢- مسند أبي يعلى الموصلي: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

٢٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢ - ١٤٢٠هـ.

٢٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: شرحه ووضع فهارسه: أحمد شاكر، وأكمله: حمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، ط١ - ١٤١٦هـ.

٢٤٥- مسند الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي (ت٢١٩هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار السقا، دمشق، ط١ - ١٩٩٦.

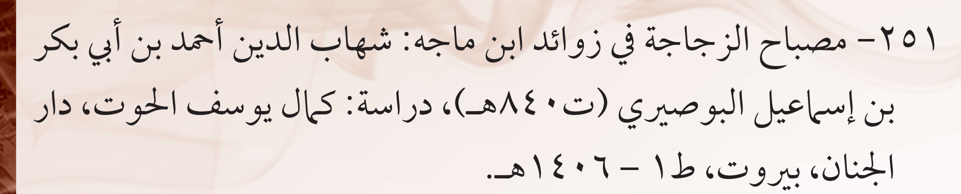
٢٤٦- مسند الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت٢٥٠هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، ط١ - ١٤٢١هـ.

٢٤٧- مسند الشاميين: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ - ١٤٠٩هـ.

٢٤٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٢٤٩- مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط - ١٩٥٩هـ.

٢٥٠- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٥هـ.



٢٥١- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت٨٤٠هـ)، دراسة: كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، ط١ - ١٤٠٦هـ.

٢٥٢- مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية: أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، مصر، ط٣ - ١٣٨٣هـ.

٢٥٣- معالم السنن: أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ)، طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١ - ١٣٥١هـ.

٢٥٤- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: فريد عبد العزيز الجُندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤١٠هـ.

٢٥٥- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، دون رقم طبعة وسنة نشر.

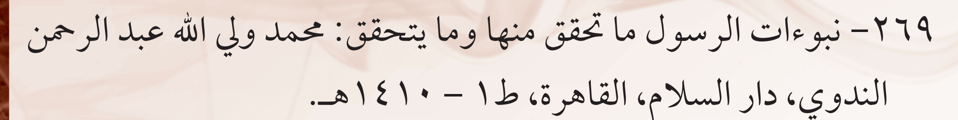
٢٥٦- معجم المقاييس في اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط٢ - ١٤١٨هـ.

٢٥٧- معجم بلدان فلسطين: محمد محمد حسين شراب، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان، ط٢ - ٢٠٠٠.

٢٥٨- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ - ١٤١٧هـ.

٢٥٩- معرفة الثقات: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت٢٦١هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١ - ١٤٠٥هـ.

٢٦٠- معرفة الصحابة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ومسعد عبد الحميد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ١٤٢٢هـ.
٢٦١- مقالات في المنهج (المجموعة الثانية): سلمان بن فهد العودة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ - ١٤٢٦هـ.
٢٦٢- مكمل إكمال الإكمال: أبو عبد الله محمد بن محمد السنوسي الحسيني (ت٨٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، دون رقم طبعة وسنة نشر.
٢٦٣- من كلام الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل في علل الحديث ومعرفة الرجال، رواية المروذي، والميموني، وصالح بن أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ - ١٤٠٩هـ.
٢٦٤- منة المنعم في شرح صحيح مسلم: صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ - ١٤٢٩هـ.
٢٦٥- موسوعة أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين جمعاً وتخريجاً وشرحاً ودراسةً: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ - ١٤٢٨هـ.
٢٦٦- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة: حسين بن محسن الحازمي، أضواء السلف، الرياض، طـ١ - ١٤٢٠هـ.
٢٦٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، فتحية علي البجاوي، دار الفكر العربي، دون رقم طبعة وسنة نشر.
٢٦٨- نبوءات الرسول أشراط الساعة وما حصل منها للآن وما لم يحصل: حسام سليمان الأسعد، دار النفائس، الأردن، ط١ - ١٤٢٥هـ.



٢٦٩- نبوءات الرسول ما تحقق منها وما يتحقق: محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي، دار السلام، القاهرة، ط١ - ١٤١٠هـ.

٢٧٠- نبوءات النبي في فتن آخر الزمان والرد على كتاب هرمجدون: محمد بيومي، دار الهدى، مصر، ط١ - ١٤٢٣هـ.

٢٧١- نهاية الاغتباط بمن رُمي من الرواة بالاختلاط (دراسة وتحقيق وزيادات على كتاب الاغتباط بمن رُمي بالاختلاط لسبط بن العجمي): علاء الدين علي رضا، دار الحديث، القاهرة، ط١ - ١٤٠٨هـ.

٢٧٢- نهاية التاريخ دراسة شرعية تأصيلية جادة: تركي بن عيسى العبدلي، غِرَاس، الكويت، طـ١ - ١٤٢٥هـ.

٢٧٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار: محمد بن علي الشوكاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٢٧٤- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: علي بن حسن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم، الدمام، ط١ - ١٤٢٢هـ.

٢٧٥- هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام: أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوقيفية، دون رقم طبعة وسنة نشر.

٢٧٦- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس: ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، دبي، ط٣ - ١٤٢٣هـ.

٢٧٧- واقدساه «تذكير النفس بحديث القدس»: سيد بن حسين العفّاني، مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، مصر، طـ١ - ١٤٢١هـ.

٢٧٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١- ١٩٩٤.

فهرس الموضوعات





تلخيص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا بحثٌ بعنوان: «الفتن والملاحم وأشراط الساعة في بلاد الشام دراسة موضوعية في السنة النبوية»، تناولتُ فيه ما يتعلق بهذه البلاد الطيبة المباركة، من منزلة ومكانة، وفضائلَ ومآثر، وأحداث ووقائع، وفتنٍ وملاحم، وغير ذلك مما هو مبين في ثناياه.

وقسمته إلى: تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة:

أما التمهيد: فبينت فيه معنى الشام، وتسميته، وأصل اشتقاقه وحده، وعرَّجت على فضائله، وحرص الصحابة والتابعين عليه، ثم ختمت ببيان معنى الفتن والملاحم وأشراط الساعة لغة واصطلاحاً.

وأما الفصل الأول: فبينت فيه اختصاص الشام بالإيمان عند وقوع الفتن، ووصية النبي ﷺ بسكنى الشام، والهجرة إليها، ثم ختمت مبيناً أن أهل الشام هم ميزان القسط الذي توزن به أمة الإسلام صلاحاً وفساداً.

وأما الفصل الثاني: فأفردته للحديث عن الملاحم في بلاد الشام،



فبينت فيه اختصاص الشام بالطائفة المنصورة المقاتلة، لا سيما في آخر الزمان، وأنها عقر دار المؤمنين، ثم أشرت إلى قتال المسلمين لليهود والروم في بلاد الشام، وانتصارهم عليهم في آخر الزمان، وأشرت كذلك إلى خروج المهدي واستقراره في بلاد الشام.

وأما الفصل الثالث: فكان للحديث عن أشراط الساعة الصغرى الواقعة في بلاد الشام، فذكرت منها: فتح بيت المقدس، وطاعون عمواس، والتضييق على أهل بيت المقدس، والحصار الاقتصادي على بلاد الشام، ونزول الخلافة، واجتماع أهل الإيمان في آخر الزمان بالشام.

وأما الفصل الرابع: فذكرت فيه ما يتعلق بأشراط الساعة الكبرى الواقعة في بلاد الشام، وهي: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وهبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، ثم ختمت بذكر الحشر الذي يسبق يوم القيامة، وبينت ارتباط ذلك كله ببلاد الشام.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي انتهيت إليها، والحمد لله رب العالمين.



The Second Chapter: to talk about individual sagas in the Levant, it outlined the jurisdiction of the wide-Sham militant Mansoura, especially in the last decade, and they own Dar-believers, then I have to fight for Jews and Muslims conquered the Levant, and their victory in the last decade, and I also For the exit of the Mahdi and stability in the Levant.

The third Chapter: It was to talk about micro-Signs pm in the Levant, which stated: Fatah Jerusalem, the plague of Emmaus, and to crush the people of Jerusalem, and the economic embargo on the Levant, descending succession, and meeting people of faith in the last decade Levant.

The fourth Chapter: she is very great respect Beshrat am located in the Levant, namely: the Antichrist,and exit of Gog and Magog, Blowing Wind, which receivedυexit, going down Isa the lives of believers, then concluded by mentioning Hashr that precedes Easter Day, showed link all knew Levant.

The conclusion: They are the most important findings and recommendations finished it, and thank God the Lord of the Worlds.



Summarize

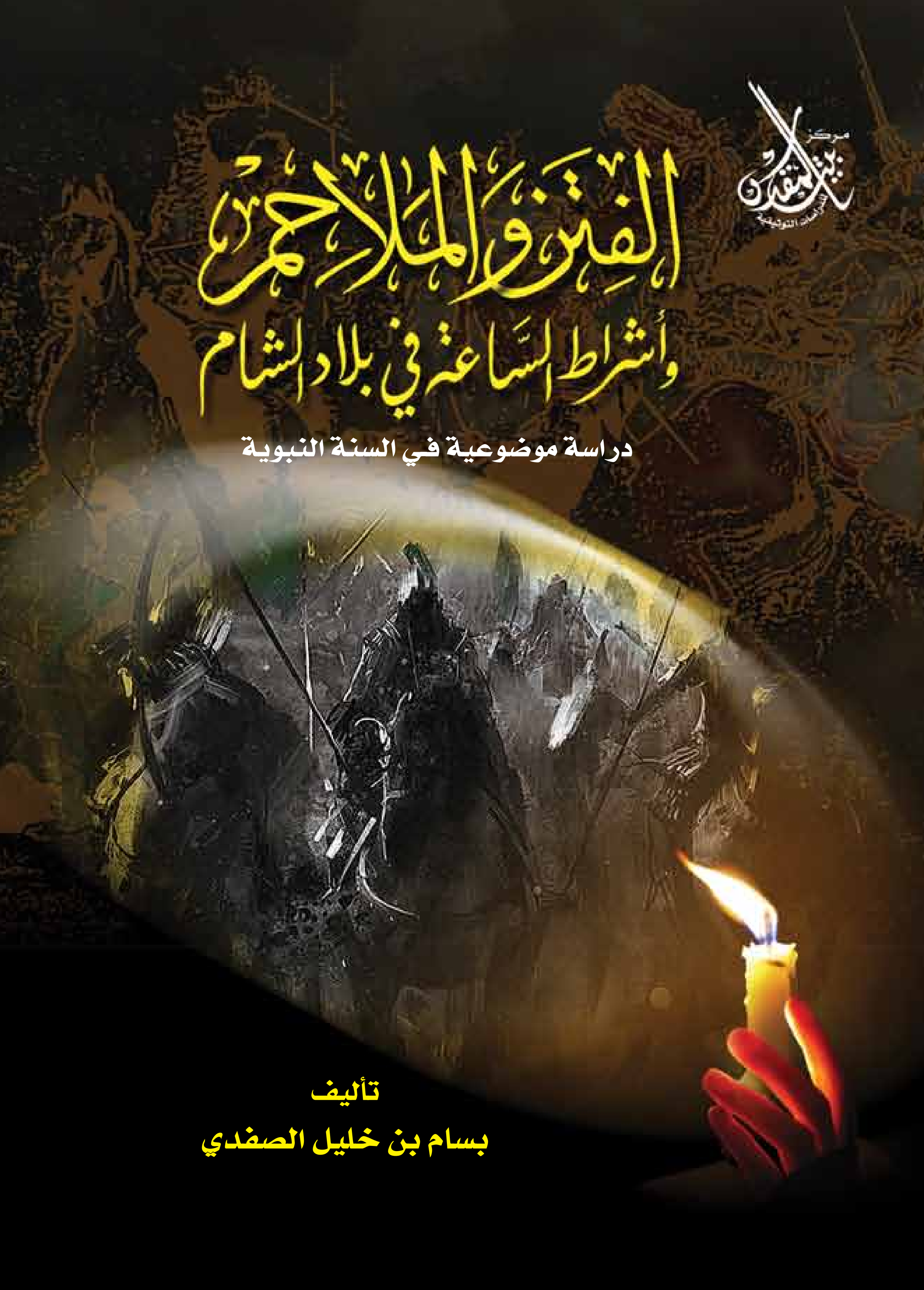
Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Ashraf senders, his family and companions, and after:

This research entitled: "sedition and sagas and the Signs of hours in the Levant objective study in the Sunnah," which dealt with respect to this blessed country the kind, from his home location, virtues and the exploits, events and facts, strife and Successive, other than what is indicated with it. And apportioned to: paving, and four chapters, and Conclusion:

The preface: it outlined the meaning of the Levant, and named, continued to derive unit, nominally the attributes, and was keen companions and followers him, and then concluded a statement on sedition and sagas and the Signs at the Convention ,and language.

The first chapter: it outlined the jurisdiction of the Levant faith at the time of strife, and housing of the Levant, immigration,and then concluded by testament Prophet noting that the people of Sham balance installment, which are weighed by the Nation of Islam reform and corruption.

تم بحمد الله


الفتن والملاحم
وأشراط الساعة في بلاد الشام
دراسة موضوعية في السنة النبوية
تأليف
بسام بن خليل الصفدي